مؤلفات الشيخ الإمام

محمد بن عبد الوهاب

صنفها وأعدها للتصحيح تمهيداً لطبعها

عبد العزيز بن زيد الرومي   د. محمد بلتاجي   د. سيد حجاب

ملحق المصنفات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بعد أن تقرر أن تعقد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مؤتمراً باسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب – شكلت أمانة للإعداد لهذا المؤتمر وتقديم تصور مفصل عنه ثم وضعه موضع التنفيذ .

وقد بدأت الأمانة عملها بتحديد الهدف العام للمؤتمر بأنه التعريف بالشيخ وتجلية حقيقة دعوته على مستوى العالم الإسلامي ، وكشف الشبهات التي أثيرت حولها في بعض البلدان الإسلامية وفي ظل ظروف تاريخية معينة .

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف – بصورة علمية صحيحة – رأت الأمانة ضرورة جمع كافة ما كتبه الشيخ من مؤلفات ، وتحقيق نسبتها إليه ، وتوثيقها ثم نشرها في طبعة خاصة باسم الجامعة ، لترسل نسخ منها بعد ذلك إلى الهيئات والباحثين الذين ستوجه إليهم الدعوة للإسهام في المؤتمر .

وقد راعت الأمانة في ذلك أن كثيراً من الباحثين في البلدان الإسلامية لا تتوافر لديهم مؤلفات الشيخ وآثاره العلمية مما يكون له أثر واضح بلا شك في قصور أو نقص أو خطأ بعض ما قد يكتبونه عن دعوة الشيخ ، ومن ثم

فلا بد أن تتوافر لديهم آثار الشيخ الصحيحة بصورة موثقة حتى يمكنهم التعرف على حقيقة دعوته والكتابة الموضوعية العلمية عنها .

ومن ثم انطلقت الأمانة تجمع كل ما تيسر لها من مؤلفات الشيخ المطبوعة والمخطوطة وتبحث عنها في كافة مظانها عند أفراد من أسرة الشيخ ، وفي المكتبات العامة والخاصة في أنحاء المملكة وخارجها .

وفي هذا المجال نشير بصفة خاصة إلى المجموعة الكبيرة من مخطوطات مؤلفات الشيخ التي وجدت في المكتبة السعودية بدخنة بالرياض ، وقد قامت الأمانة بتصوير هذه المخطوطات . كما قامت باستحضار نسخ من مؤلفات الشيخ المطبوعة وذلك بطريق الشراء والهبة ، وبطريق الاتصال الشخصي والاستعارة من الأفراد والهيئات بالنسبة لبعض المطبوعات التي يقل وجودها أو يندر .

وأيضاً قامت الأمانة بنشر وإذاعة إعلان ترجو فيه من يملك شيئاً مخطوطاً من مؤلفات الشيخ أن يتقدم به إليها . كما قامت بإرسال رسائل بنفس المعنى إلى عدد كبير من الشخصيات ذات الصلة في داخل المملكة وخارجها .

وأيضاً قامت بالاتصال الشخصي ببعض الأفراد الذين لهم اهتمام خاص بالشيخ ودعوته ومؤلفاته أو كتبوا فيها شيئاً ذا قيمة .

كما قام بعض أعضاء الأمانة في إجازة صيف١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) بمراجعة المكتبات الهامة في مصر وغيرها للتعرف على ما قد يكون للشيخ فيها من مؤلفات ثم العمل على استحضار ما ييسر للأمانة مهمتها من هذه المؤلفات .

ومن حصيلة ذلك كله تجمعت في أمانة المؤتمر نسخ كثيرة من مؤلفات الشيخ مطبوعة ومخطوطة وفي صورة ميكروفيلم . فألفت من بين أعضائها لجنة لتصنيف هذه المؤلفات ، تضمنت مهمتها ما يلي :

(أ) النظر في كل مؤلف مطبوع أو مخطوط والاستيثاق من أنه حقاً من مؤلفات الشيخ .

(ب) حصر الموجود من نسخه المطبوعة والمخطوطة ووصف كل نسخة .

(ج) تسجيل القسم الذي يوضع فيه (العقيدة — الفقه — السيرة — الرسائل ...) .

وأيضاً ألفت عدة لجان للتصحيح تضمنت مهمتها ما يلي :

(أ) مقابلة النسخ المخطوطة والمطبوعة من كل مؤلف بعضها على بعض ، للحصول على نسخة كاملة متكاملة هي التي تعد للطبع.

(ب) ترقيم الآيات ، وذكر سورها ، وضبطها شكلا .

(ج) وضع علامات الترقيم والبدء بالفقرات وإبراز العناوين حسب النظام الحديث في الكتابة والطبع .

(د) تحقيق الأمر في صحة نسبة المؤلفات التي تقدم لجنة التصنيف شكاً حول صحة نسبتها .

وقد حرصت أمانة المؤتمر على أن تؤلف كل لجنة من لجان التصحيح من العلماء المتخصصين ذوي الصلة الوثيقة بنوع وطبيعة المؤلف الذي يراجعونه،

كما حرصت على أن تجمع كل لجنة عدداً من العلماء ذوي الخبرات المتكاملة في مجموعها من حيث صلتها بمهمة التصحيح وإتقانها قدر الاستطاعة . وفي هذا استعانت الأمانة ببعض العلماء ذوي الخبرة من غير أعضائها .

... وبعد فهذه مؤلفات الشيخ تقدمها أمانة المؤتمر متكاملة موثقة كأول ثمرة من ثمار تكوينها وعملها . وقد قصدتْ بجهودها فيها تجلية حقيقة دعوة الشيخ وتيسير الاطلاع عليها ومراجعتها من مجموع ما كتبه دون إضافة أو حذف أو تعليق ، لتتيح للدارسين المنصفين الباحثين عن الحقيقة في ذاتها أن يصلوا إليها بأوثق طريق ، بعيداً عن كل تزييف أو تشويه أو ادعاء باطل يحاول صاحبه أن يلبسه ثوب الحق .

وترجو الأمانة أن تكون قد وفقت في عملها هذا كفاء ما بذلته من جهـــود .

والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى خير سبيل .

أمانة المؤتمر

هذه مسائل

لخصها الإمام الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

من كلام شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

رحمهما الله تعالى

آمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد : —

فقد كلفتنا الأمانة العامة لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمراجعة كتاب جمعه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه من كلام الإمام أبي العباس تقي الدين شيخ الإسلام والمسلمين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي رحمه الله ، وقد راجعنا النسخة المصورة من مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ويوجد أصلها في المكتبة السعودية بدخنة في المخطوطات برقم ٦٧٨/٨٦

والكتاب شامل لمسائل عديدة في التوحيد بجميع أنواعه وفي الفقه وأصوله والتفسير وعلومه لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب من غالب كتب شيخ الإسلام وقد تبين لنا من خلال قراءة الكتاب أنه غير منتظم العبارات ويوجد فيه انقطاع في بعض الكلام ويرجع ذلك والله أعلم إلي تصرف بعض الناسخين وقد قمنا بإصلاح ما قدرنا على إصلاحه بمراجعة بعض كتب شيخ الإسلام وجعلنا ذلك بين مربعين صغيرين كما قمنا بترقيم الآيات ، وبعض التعليقات اليسيرة .

والله نسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجه مقرباً إليه وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد .

١٠ ـ ٥ ـ ١٣٩٨ هـ

محمد بن عبد العزيز النمي

فهـــد بن حمين الفهـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) إن قوله : « إنما الأعمال بالنيات » عام ، خلافاً لما عليه أكثر الشراح . .

(٢) قوله في العزل : « لا عليكم » .. ثم ذكر القدر .. أن هذا لا حجة فيه على ترك السبب .. لأن الحمل يحصل مع العزل .

(٣) قوله : « لا يصيب المؤمن قضاء إلا كان خيراً له » ، ورد عليه المعاصي ، فأجاب بأن المراد ما أصاب العبد لا ما فعله ، وأنه يصير بعد التوبة خير منه قبل الخطيئة .

(٤) قوله : « من سعادة بن آدم الاستخارة والرضاء الخ » . . مع ما تقدم قبله قال : الاستخارة قبله ، والرضا بعده . . وهذا أعلى من الضر والصبر .. فلذلك ذكر فيه الرضا .

(٥) ذكر أن الصدق لايكون إلا بالإيمان النافي للريب والجهاد قال : وهذا هو العهد المأخوذ على الأمم له صلى الله عليه وسلم « ليؤمنن به ولينصرنه » .

(٦) ذكر أن أصل الإيمان الصدق ، وأصل النفاق الكذب ، وذكر أنه يكون في الأقوال وفي الأعمال أيضاً ، كما يقال حملة صادقة .

(٧) حديث محاجة آدم وموسى .. أن موسى إنما لام على المصيبة لا على الخطيئة .

(٨) قوله « عصفور من عصافير الجنة ، مع أن الأطفال المسلمين في الجنة .. أن المراد الفرق بين المعين وغيره كما يقال : المؤمنون في الجنة ولا يشهد لمعين .

(٩) بكاؤه صلى الله عليه وسلم عند موت الطفل ، وضحك الفضيل عند موت ابنه .. ألا ؟ كمل الصبر مع الرحمة .. بخلاف من يبكي على فوات حظه من الميت .

(١٠) قال : « إن السلف جعلوا سورة الإخلاص أصلاً في الرد على المشبهة والمعطلة من قوله : « الله أحد الله الصمد » .

(١١) قوله : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ... الخ » . الذي ينفع هو العبادة أو مباح يستعان به عليها وكذلك « إن الله يلوم » يلوم على العجز ... الخ .

(١٢) قراءته صلى الله عليه وسلم على أبي لم تكن قراءة إبلاغ له بخصوصه .

(١٣) اليهود تشبه الخالق بالمخلوق ، والنصارى تشبه المخلوق بالخالق ..

(١٤) ذكر أن محبة الله أكثر ما تجيء باسم العبادة .. وإلا فقد ذكر الله محبته في القرآن في مواضع ، ومحبة الصالحين من محبته ، وإن كانت المحبة التي لا يستحقها غيره ، فلهذا جاءت مذكورة بما يختص به من العبادة والإنابة والتبتل ونحو ذلك .. فكل هذه الأسماء تتضمن محبته ، وكما أنها أصل الدين فكماله بكمالها ، كقوله : (وذروة سنامه الجهاد) .. وهو

لازم المحبة الكاملة ، لقوله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم الآية) (١) وقال في صفة المحبين : (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)(٢) .

(٢) وهم الذين يرضى الله لرضاهم ، ويغضب لغضبهم ، كما قال لأبي بكر : (لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) .. إذ هم إنما يرضون لرضاه ، ويغضبون لغضبه ، وقال ما ترددت في شيء .. الخ .. لأن التردد تعارض إرادتين ، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ، ويكره ما يكره ، وقد قضى بالموت وهو يريد إماتته ، فسماه ترددا .

(١٥) كل مولود على الفطرة ، فإنه سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله عز وجل ، وإلا فكلما أحبه المحب يجبه في نفسه أن قلبه يطلب سواه ويحب أمرا غيره يتأله ويضمه إليه ، ويطمئن إليه ، ويرى ما يشبهه من أجناسه . . ولهذا قال : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٣) ..

(١٦) أين المتحابون بجلالي .. تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب ، وهؤلاء هم الذين جاء فيهم (وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في .. الخ. قاله : رداً على من ترك الخوف مع المحبة (٤) .

(١٧) رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه بعيني رأسه لم يثبت عنه ، ولا عن أحد من الصحابة ، ولا الأئمة المشهورين لا أحمد ولا غيره ، لكن ثبت

---

(١) سورة التوبة – الآية ٢٤ .
(٢) سورة المائدة – الآية ٥٤ .
(٣) سورة الرعد – الآية ٢٩ .
(٤) مراده الرد على من زعم أنه لا يجمع بين الخوف والمحبة .

عن الصحابة كأبي ذر وابن عباس وغيرهما ، وأحمد بن حنبل أنه رآه بفؤاده كما في صحيح مسلم .. عن أبي عباس « رأى محمد ربه بفؤاده مرتين » وثبت عن عائشة الإنكار ، فمن العلماء من قال : أنكرت رؤية العين ، فلا منافاة ومنهم من جعلها قولين ، فمن قال : لا يرى في الآخرة فهو جهمي ضال ، ومن قال يرى في الدنيا بالفؤاد لغيره صلى الله عليه وسلم ، فهو مبتدع ضال ، ومن قال أنه صلى الله عليه وسلم رآه بعينه فهو غالط ، والحلولية والاتحادية يجمعون بين النفي والإثبات .

(١٨) قال في الرد على متصوفة ينتسبون إلى التحقيق والتوحيد ويجرون مع القدر سبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافه ، كما ضاق نطاق القدرية عنه ، فأثبتوا الأمر والنهي فقط ، وأولئك أثبتوا القضاء فقط ، وفي حق من شهد القدر ، وهؤلاء شر من القدرية ، ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد ، ولا ريب أن المشركين يترددون بين بدعة تخالف الشرع وبين احتجاج بالقدر على مخالفة الأمر .. فهؤلاء الأصناف فيهم شبه من المشركين ، وفيهم من يجمع بين الأمرين ، كما قال تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة) (١) .. الآية .. وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوا من الدين الذي فيه تحليل الحرام ، والعبادة التى لم تشرع في الأنعام والأعراف ، وعمدة الكل اتباع آرائهم وأهوائهم ، وجعلهم ذلك حقيقة نظير جعل المتكلمين ما ابتدعوا حقائق عقلية وأصل ضلال الكل تقديم القياس علي النص ، واختيار الهوى على اتباع الأمر .

---

(١) سورة الأعراف — الآية ٢٨ .

(١٩) عطف الخاص على العام يكون لأسباب ، تارة لكون له خاصة ليست لسائر أفراد العام ، كما في قوله : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك .. الآية) (١) .. وتارة يكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم كقوله : (والذين يؤمنون بالغيب) .. ثم قال : (والذين يؤمنون بما أنزل إليك .. الآية) (٢) ..

(٢٠) العبادة يدخل فيها الدين كله .. ولهذا كانت ربوبية الله سبحانه عامة وخاصة ولهذا كان الشرك أخفى من دبيب النمل ، وفي الصحيح تعس عبدالدينار ... الخ . ووصفه بأنه إذا أعطي رضي ، وإن منع سخط .. وهذا في المال والجاه والصور .. وغير ذلك قال الخليل عليه السلام (فابتغوا عند الله الرزق (٣) ... الآية) .

ودلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق ، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع وكلما قوي طمع العبد في فضل الله قويت عبوديته له ، كما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له .. ويأسه يوجب غنى قلبه عنه ، وإعراض قلبه عن الطلب من الله يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله ، لاسيما من كان يرجو المخلوق ولايرجو الخالق.. وإذا ذاق طعم الإخلاص انقهر له هواه بلا علاج .

قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)(٤) .. وإذا قلت(٥)

---

(١) سورة الأحزاب – الآية ٧ .
(٢) سورة البقرة – الآية ٣ ، ٤ .
(٣) سورة العنكبوت – الآية ١٧ .
(٤) سورة العنكبوت – الآية ٤٥ .
(٥) لعلها قويت .

المحبة استلزمت إرادة المحبوبات ، فإن قدر عليها حصلها ، وإن فعل المقدور عليه .. فله كأجر الفاعل (كمن دعي إلى هدر) .. وكقوله : (إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً إلا وهم معكم حبسهم العذر) .

فإذا ترك المقدور من الجهاد دل على ضعف المحبة، ومعلوم أن المحبوبات لا تنال إلا باحتمال المكروهات ، كما في أهل الرياسة والمال .

ومن المعلوم أن المؤمن أشد حباً لله .. والإسلام أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فمن أسلم لله ولغيره فمشرك ، ومن لم يسلم فمستكبر .. والكبر ينافي العبودية كما قال : (العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني في واحد منهما عذبته) فهما من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة .. فلهذا جعلها كالرداء .

والشرك غالب على النصارى ، والكبر غالب على اليهود .

وفي الصحيح لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا .. الخ . قاله قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته ، فإن فيه من تمام تحقيق مخالته لله التي أصلها محبة الله العبد خلافاً للجهمية ، ومن ذلك تحقيق توصية الله رداً على أشباه المشركين وفيه رد على من بخس الصديق حقه (١) (وهم أضل) المنتسبين إلى القبلة وهم شر البشر .

والحديث الذي فيه ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .. الخ . جعله بثلاثة أمور تكمل المحبة ، وتفريغها، ودفع ضدها، وكره من كره من أهل

---

(١) كالرافضة ونحوهم الذين يقدمون عليا على أبي بكر وعمر .

العلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية .. ولهذا وجد في المتأخرين من (أفضى به) ذلك إلى ما ينافي العبودية ، ومديد إلى نوع من الربوبية،ويدّعي أحدهم ما يتجاوز حدود الأنبياء ، ويطلب من غير الله مالا يصلح إلا لله ، وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينتها الرسل ، وحررها الأمر والنهي الذي جاءوا به ، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته ، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى(نحن أبناء الله وأحباؤه(١)) .. فإن تعذيبهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين .. لأن من أحبه الله استعمله فيما يحبه ، لأن فعل الكبائر واحد(٢) .. فإن الله يبغض منه ذلك ، ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه ، فهو كمن ظن أن السم لا يضره من مداومته عليه لصحة مزاجه .. ولو تدبر الأحمق ما قصه الله في كتابه من توبة الأنبياء ، وما جهر لهم من البلاء الذي فيه تطهير لهم(دل)على ضرر الذنوب بأصحابها ، ولو كانوا أرفع الناس .

واتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله ، وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلى عموم ربوبيته أو متبعاً لبعض البدع .. فإن دعوى هـــذه محبة من جنس دعوى اليهود والنصارى .. بل قد تكون شراً منها .. بل فيهم من النفاق الذي يكون به في الدرك الأسفل من النار .

وفي التوراة والإنجيل من ذكر محبة الله ما هم متفقون عليه حتى أن عندهم إذ ذلك أعظم وصايا الناموس .. ففي الإنجيل أن المسيح قال : أعظم وصايا

---

(١) سورة المائدة – الآية ١٨ .

(٢) المعنى أنه لا تفريق في فعل الكبائر بين أحد من الناس .. بل الله يبغض فعل الكبائر من كل أحد .

المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك.. والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة لمـــا فيه من الزهد والعبادة وهم برءاء من محبة الله إذ لم يتبعوا ما أحب الله ، بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم .

وكثيرا من الذين اتبعوا أشياء من الزهد والعبادة وقعوا في بعض ذلك من دعوى المحبة مع مخالفة الشريعة وترك الجهاد ، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التى لايعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن معصوما ، وكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله ، وكل عمل لم يوافق شرعه ، لم يكن له ، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين .. قال تعالى : (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ...) (١) الآية ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .. وقال : « إنما الأعمال بالنيات » .. وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسبه تحقيقه يكون تحقيق الدين وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وهي قطب الدين الذي تدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، كما في الحديث أخفى من دبيب النمل ، وكثير ما يخالط النفوس من الشهوات ما يفسد عليها تحقيق ذلك ، كما قال شـــداد بن أوس « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية ، قال أبو داود هي حب الرياسة وفي الحديث « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

---

(٣) سورة البقرة – الآية ١١٢ .

يبين أن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص ، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة الإخلاص لم يكن شيء أحب إليه منه ، فيصير القلب منيبا إلى الله خائفاً منه ، كما قال تعالى : (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) .. (١) .

وإذا أخلص العبد اجتباه ربه فأحي قلبه ، وجذبه إليه ، بخلاف القلب الذى لم يخلص ، فإن فيه طلباً وإرادة ، تارة إلى الرياسة فترضيه الكلمة ولو كانت باطلا وتغيظه الكلمة ولو كانت حقاً ، وتارة إلى الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك فيتخذ إلهه هواه ومن لم يكن مخلصاً لله بحيث يكون أحب إليه مما سواه ،(وإلا) استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين .. وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه ، فالقلب إن لم يكن حنيفا وإلا كان مشركا (فأقم وجهك للدين حنيفا) .. (٢) الآيتين ..

وقد جعل الله آل إبراهيم أئمة للحنفاء، كما جعل آل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم .

(٢١) بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى ذي أهواء متفرقة وقلوب متشتتة ، فألف الله به بين القلوب ، وجمع به الشمل ، ثم أنه سبحانه بين أن هذا الأصل وهو الجماعة عماد لدينه : فقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)(٣) .. (واعتصموا بحبل

---

(١) سورة ق – الآية ٣٣ .

(٢) سورة الروم – الآيتين ٣٠ ، ٣١ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٠٢ .

الله جميعا ولا تفرقوا) إلى قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا إلى قوله خالدون) . . وفي الآية الأخرى : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) .. (١)

فبرأ الله نبيه منهم وقد كره صلى الله عليه وسلم من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق ، فخرج على قوم من أصحابه وهم يتجادلون في القدر فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان وقال : أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم . . الخ . ثم ذكر ثلاثا وسبعين فرقة ثم قال : في صف الفرقة الناجية بأنهم المستمسكون بسنته وأنهم هم الجماعة .

(٢٢) مسألة رؤية الكفار ربهم في القيامة انتشر الكلام فيها بعد الثلاثمائة من الهجرة وأمسك عن الكلام فيها قوم من العلماء وتكلم فيها آخرون ، فاختلفوا على ثلاثة أقوال والكلام فيها قريب من مسألة محاسبة الكفار .. هل يحاسبون أم لا ؟ والحساب يراد به عرض الأعمال على الكفار وتوبيخهم وزيادة العذاب ونقصه بزيادة الكفر ونقصه .. فهذا ثابت بالاتفاق ويراد به وزن الحسنات والسيئات ليتبين أيهما أرجح . . فالكافر لا حسنات له ، وأنما توزن أعماله لتظهر خفة موازينه .

هذا المراد بالحساب .. هل الله يكلمهم أم لا .. فالقرآن والحديث يدل على أنه يكلمهم كلام توبيخ فيكاد الخلاف يرتفع والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار : أحدها أن الكفار لا يرونه بحال لا المظهر ولا المسر وهو قول أكثر المتأخرين .. الثاني أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمن ومنافق قاله

---

(١) سورة الأنعام - الآية ١٥٩ .

ابن خزيمة وغيره .. الثالث أن الكفار يرونه رؤية تعذيب كاللص إذا رأى السلطان ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم وهذا مقتضى قول من فسر اللقاء في كتاب الله بالرؤية ومن أقوى ما يتمسكون به ما روى مسلم عن أبي هريرة « قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكره وفيه فيلقى العبد فيقول أفظننت أنك ملاقي قال لا وفيه ثم ينادى مناد ألا تتبع كل أمة ما كانت تعبد . . فيقال ظاهرة أن الخلق كلهم يرونه لكن قال ابن خزيمة اللقا هنا غير الترائي وهؤلاء يقولون أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكافر يلقى ربه فيوبخه ، ثم تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، ثم يراه المؤمنون يبينه ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وفيه فيأتيهم في صورته التى يعرفون وليس فيه الرؤية إلا بعد التتبع كل أمة .. الخ . وفي حديث ابن مسعود الطويل (أن المؤمنين يقولون : أن لنا ربا ما رأيناه بعد) ففيه أنهم لم يروه قبلها والآخرون يقولون معناه لم نره في هؤلاء الآلهة التى يتبع الناس ويدل عليه أن في الصحيحين أيضا عن أبي سعيد (فيأتيهم الجبار في صورة غير الصورة التى رأوه فيها أول مرة) ففيه أنهم رأوه قبل ذلك وهي الرؤية العامة .

وأبين من هذا كله أن الرؤية الأولى عامة كما في حديث أبي رزين (فتنظرون إليه وينظر إليكم فقلت كيف وهو شخص واحد ونحن ملأ الأرض .. الخ . ففيه أنه لعموم الخلق كما دل عليه السياق ، والرؤية متباينة تباينا عظيما لا يكاد ينضبط طرفاها ولا يجوز إطلاق القول بأن الكفار يرونه من غير تقييد ، لأن الرؤية قد صار يفهم منها الكرامة ، ففي إطلاقها إيهام ، وليس لأحد أن يطلق ما يوهم خلاف الحق إلا أن يكون مأثورا ..

ولأن الحكم إذا كان عاماً وفي تخصيص بعضه خروجا عن القول الجميل لم يقل فإن الله خالق كل شيء ولا يقال يا خالق الكلاب مثلا ، فلا يخرج أحد عن الألفاظ المأثورة ، وإن وقع نزاع في بعض معناها فإن هذا لابد منه في الأمة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢٣) وإذا اشتبه عليه هل هذا الفعل مما يهجر المسلم عليه أم لا .. فالواجب ترك العقوبة لقوله : « أدرأوا الحدود بالشبهات » . . فإنك إن تخطىء في العفو خير لك من أن تخطيء في العقوبة .

(٢٤) ذكر في حديث الأفك نفقة أبي بكر على مسطح .. لأن أمه بنت خالته وقال تعالى : (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) .. (١) الآية . فجعله من ذوي القربى وهو من بعد من ذوي الأرحام الذين ليس لهم فرض ولا تعصيب .. فيستدل به على أحد القولين في مذهب أحمد أن ذوي الأرحام يستحقون النفقة . . فإن سبب النفقة القرابة المورثة ، وكل قرابة مورثة على المشهور ، لكن أصلا أو بدلا ، فمن لا فرض له ولا تعصيب ورث بدلا والحديث نص في أنهم من ذوي القربي فيدخلون في قوله : (وآت ذا القربى حقه) (٢) ونظائرها وأقل ذلك النفقة على المحتاج ، وقد ذكر الله الوفاء بالعهد وصلة الرحم في آيات متعددة فهذه العمومات توجب صلة كل رحم قريبة أو بعيدة ، كما أن قوله : (وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض) .. (٣) يعم ميراث كل ذي رحم ، ولا فرق ، بل في الإحسان

---

(١) سورة النور – الآية ٢٢ .

(٢) سورة الإسراء – الآية ٢٦ .

(٣) سورة الأنفال – الآية ٧٥ .

والنفقة أولى .. وعلى هذا ما ورد من حمل الخال للعقل ، وقوله : (ابن أخت القوم منهم) .. وقوله : (مولي القوم منهم) .

ونحن في أحد القولين نورث المولى من أسفل إذا عدم من هو أولى منه ، ونظيره في الولاء قولنا في أحد القولين بالتوريث بالعهد عند انتفاء الرحم كما كان صلى الله عليه وسلم يورث بين المهاجرين والأنصار ، ثم نسخ تقديمهم على ذوي الرحم . . فأما مع عدمهم فليس في الكتاب والسنة ما ينسخ ذلك .. بل قوله : (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) (١) يقتضي توريثهم وهو قول كثير من فقهاء العراق وغيرهم فعقد المواخات نظير عقد النكاح وإسلامه علي يديه نظير إعتاقه له واشتراكهم في الديوان وهو التناصر والجهاد كاشتراكهم في النسب .

(٢٥) اتفق على أن الأرض لا تخلو عن خراج وعشر لكن قال أبو حنيفة لا يجتمعان والجمهور يقولون العشر حق الزرع لقوله تعالى : (ومما أخرجنا لكم من الأرض) ... (٢) والخراج عند أبي حنيفة هي التي يملك بيعها وهبتها وتورث ..والجندي لا يملك ذلك اليوم في أرض مصر ،فمن قال أنها خراجية لا عشر عليها فقد أخطأ علي أبي حنيفة وخالف الإجماع ، ومن أفتى بخلو الأرض عن العشر والخراج استتيب ، فإن تاب وإلا قتل ومن زعم أن الجهاد الذي على الجندي عوض عن الخراج فقد أخطأ لأنهم لا يملكون بيعها ولا هبتها ، وأيضاً ما يعطونه ليس خراجا ولا أجرة بل لجندهم

(١) سورة النساء – الآية ٣٣ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٦٧ .

المستحقون للخراج .. وإن قيل الإمام أسقط عنهم لقتالهم قبل هذا لا يسقط الزكاة لوجوه :ـ منها أن ذلك لو جعلها كالخراجية لملكوا بيعها وهبتها ، ومنها أن غايتهم أن يكونوا بمنزلة الملاك ، ومعلوم أن كل أرض أسلم عليها أهلها أنه لا خراج عليهم مع وجوب العشر وتعيين الجهاد عليهم من تلك الأموال ، كما تعين الجهاد على الأنصار ، وكان صلى الله عليه وسلم يوجب عليهم العشر في الزرع والثمار ، ويوجب عليهم الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، ولم يكن لهم رزق من بيت المال ، فإذا كان جهادهم بأموالهم لا يسقط عنهم العشر الواجب لأهل الصدقات ، فكيف يسقط عن هؤلاء ولو أسقط الجهاد العشر لكانوا أحق ، لما كانوا فيه من قلة المال وكثرة العدو وتعدد المغازي .

(٢٦) صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ببيت المقدس قيل أنها اللغوية ، وهي الدعاء والذكر ، وقيل الصلاة المعروفة ، وهذا أصح ، لأن اللفظ يحمل على حقيقة الشرعية ، وكانت الصلاة واجبة قبل الإسراء ، وكان واجباً قيام بعض الليل ، كما في سورة المزمل ثم نسخ بعد سنة بما ذكر الله في آخر السورة : فاقرؤا ما تيسر منه ثم نسخ قيام الليل ليلة الإسرا ووجبت الخمس .

(٢٧) زين الشيطان لأهل الضلالة اتخاذ عاشوراء مأتما ، لإثارة الفتن والفساد ولم يعرف في طوائف الإسلام أكثر كذبا وفتنا ومعاونة للكفار على المسلمين من الرافضة ، وهم شر من الخوارج ، وهؤلاء قال فيهم صلى الله عليه وسلم (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) وأولئك يعاونون اليهود والنصارى على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأمته المؤمنين كما أعانوا المشركين من الترك على ما فعلوه ببغداد وغيرها بأهل البيت من ولد العباس وغيرهم فعارضهم قوم إما من النواصب المعتصبين على الحسين ، وأما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد ، فوضعوا آثارا في توسيع النفقة على العيال وغير ذلك ، وإن كان أولئك أشر قصدا ،وأعظم جهلا وأظهر ظلما ،لكن الله يأمر بالعدل والإحسان .

(٢٨) المطالبة في الآخرة لصاحب المال المغصوب منه لا لورثته ، كما في الصحيح (من كان عنده لأخيه مظلمة في دم أو مال أو عرض فالورثة يخلفونه في الدنيا ، فما أمكن استيفاؤه في الدنيا فللورثة وما لم يمكن فليتحلله منه) الخ فبين أن المطالبة للمظلوم نفسه ولم يجلعها لورثته فالطلب للمظلوم نفسه .

(٢٩) ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج بل العالم يعلم الشيء ويكتبه ويتكلم به وليس لذاته في الخارج وجود وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه المذكور في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم ، وغير ذلك وهو معنى قوله (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) أى كنت نبياً حينئذ وهذا والله أعلم لأن هذه الحال فيها يقع التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة الخلق قبل نفخ الروح ، كما في حديث ابن مسعود فلما أخبر أن الملك يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد حينئذ وآدم هو أبو البشر كان من المناسب أن يكتب بعد خلق جسده ما يكون منه ومحمد سيد ولده وقد جاء هذا المعنى مفسرا في حديث العرباض(أني عند الله مكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجد لي في طينته وسأخبركم بأول أمري دعوة إبراهيم

وبشارة عيسى ورؤيا أمي الخ) وقوله منجد لي أيمطروح على وجه الأرض، وهذا العلم والكتاب هو الذي ينكره القدرية الذين كفرهم الأئمة (١) ، وقد بينه الكتاب والسنة وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال الوارد عليه وهو ترك العمل لأجله .

(٣٠) لكل شيء أربع مراتب وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان ولهذا أول ما نزل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (٢) الخ . فذكر الجميع بوجودها العيني عموما ثم خصوصا ثم قال « اقرأ وربك الأكرم » الخ . فخص التعليم للإنسان بعد تعميم التعليم بالقلمُ هو الخط ، وهو مستلزم . التعليم للفظ فإن الخط يطابق وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم العلم ، لأن العبارة تطابق المعنى ، فصار تعليمه بالقلم مستلزما للمراتب الثلاث الرسمي واللفظي والعلم بخلاف مالو أطلق التعليم وذكر تعليم العلم فقط لم يكن مستوعبا للمراتب .

(٣١) أعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقل أن ينقله على وجه متصور تصورا حقيقيا فإن هذا لا يكون إلا للحق ، فأما القول الباطل فبيانه يظهر فساده ، حتى يقال كيف اشتبه على أحد ويتعجب من اعتقاده ، ولا ينبغي للإنسان أن يتعجب فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل إلا وذهب إليه فريق ، ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات ، وأنهم صم بكم ، وأنهم في قول مختلف ، وأنهم لا يعقلون .

---

(١) كالك وأحمد والشافعي حتى قال الشافعي : (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا) .

(٢) سورة العلق الآية ١ .

(٣٢) قوله : (مثل أمتي كمثل الغيث) الخ . تكلم في إسناده وبتقدير صحته أنه يكون في آخرها من يقارب أولها حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير ، كطرفي الثوب (مع القطع) بأن الأول خير من الآخر ، ولهذا قال : لا يدرى ، ومعلوم أن هذا السلب ليس عاما ، فإنه لابد أن يكون معلوما أيهما أفضل .

(٣٣) الآية مثل العلامة ، والدلالة ، أخبر أنه جعل في هذه المصنوعات آيات ، وتارة يسميها أنفسها آية (كقوله : وآية لهم الأرض الميتة) (١) فإذا قيل : تجلى بها وظهر بها (٢) كما يقال علم وعرف كان صحيحا ، ولكنه غير مأثور ، وفيه إبهام وإجمال ، فإن الظهور والتجلي يفهم منه الظهور المعيني وهو مذهب الاتحادية فالذي في القرآن هو الحق .

(٣٤) قوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (٣) دلت على علمه بالأشياء من وجوه تضمنت البراهين المذكورة لأهل النظر العقلي : أحدها أنه خالق لها ، والخلق هو الإبداع بتقدير ، فتضمن تقديرها في العلم قبل تكوينها الثاني : أنه مستلزم للإرادة والمشيئة فيلزم تصور المراد ، وهذه الطريقة المشهورة عند أكثر أهل الكلام ، الثالث : أنها صادرة عنه وهو

---

(١) سورة ياسين – الآية ٣٣ .

(٢) الضمير فيها عائد إلى الرب جل وعلا فالمعنى أن المفهوم من معنى تجلى بها وظهر بها كالمفهوم من معنى علم وعرف ولكن لا يقال تجلى بها .. الخ لأن فيه إبهام وإجمال لأن التجلي والظهور يفهم منه الظهور العيني وهو مذهب الاتحادية الذين يقولون أن الله ذاته في مخلوقاته تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

(٣) سورة الملك – الآية ١٤ .

سببها التام ، والعلم بالأصل بوجوب العلم بالفرع ، فعلمه بنفسه يستلزم بكل ما يصدر عنه ، الرابع : أنه لطيف يدرك الدقيق خبير يدرك الخفي ، وهذا هو المقتضى للعلم بالأشياء فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام .

(٣٥) قوله : (حجابه النور) الخ . فمن سبحاته تحرق السموات — والأرض لولا الحجاب أيكون نوره يحفظ بالسماء(١) ؟ .

(٣٦) قوله : « إن الله يمسك السموات والأرض(٢) » الخ . وذكر آيات ثم قال : وقد ثبت في الصحاح أنه يقبض السموات والأرض بيده فمن يكونان في قبضته وكرسيه وسعهما ، « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره (٣) » فبأمره يقومان ، وهو الذى يمسكهما أن تزولا ، أيكون محتاجا إليهما ؟ » .

(٣٧) قوله : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا (٤) » الخ . هكذا يريد هؤلاء المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين ، فيدعون من دون الله ما لا ينفع ولا يضر من كل عبد من دون الله ،ويريد ويريدون أن يرتد المؤمنون على أعقابهم عن الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ويصيرون حائرين كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران .

---

(١) يريد الشيخ بذلك الرد على المعطلة المنكرين لصفات الرب جل وعلا .

(٢) سورة فاطر — الآية ٤١ .

(٣) سورة الروم — الآية ٢٥ .

(٤) سورة الأنعام — الآية ٧١ .

(٣٨) تكليم الله للعباد على ثلاثة أوجه :

١ – من وراء حجاب كموسى .

٢ – وبإرسال رسول كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء .

٣ – وبالإيحاء وهذا للأولياء فيه نصيب ، والمرتبتان الأوليتان للأنبياء خاصة .

(٣٩) قوله : (إن هي إلا أسماء سميتموها(١) الخ . أخبر أنهم ابتدعوا أسماء لا حقيقة لها فيعبدون أسماء لا مسميات لها لأنه ليس في المسمى من الألوهية ولا العزة ولا التقدير شيء ، ولم ينزل الله سلطاناً بهذه الأسماء .

(٤٠) قوله : (كان الله ولا شيء معه ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء) ينفي وجود المخلوقات من السموات والأرض وما فيهما لا ينفي وجود العرش ، ولهذا ذهب كثير من السلف إلى أن العرش متقدم على اللوح والقلم مستدلين بهذا الحديث ، وحملوا قوله : (أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب) الخ . على هذا الخلق المذكور في قوله : « وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه (٢) على الماء هذا نظير حديث أبي رزين « أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ » قال : كان في عماء ، ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على المـــاء، فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه العما ، وذكر بعضهم أن هذا

---

(١) سورة النجم – الآية ٢٣ .

(٢) سورة هود – الآية ٧ .

هو السحاب المذكور في قوله : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل »(١) الخ . وفيه آثار معروفة .

(٤١) العبد مأمور بالصبر على المقدور وأن يطيع المأمور ، وإذا أذنب استغفر كما قال تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك (٢)) الآية فمن احتج بالقدر على ترك الأمر وجزع مما يكره من القدر فقد عكس الإيمان والدين وإن ادعى أنه من أكبر الأولياء المحققين ، تجد أحدهم أجبر الناس إذا قدر وأذل الناس إذا قهر ، وأعظمهم جزعا ، لما جربه الناس من أصناف الناس ، والمؤمن إذا قدر عدل وأحسن ، وإذا قهر صبر واحتسب كما قال كعب :

ليسوا مفاريحا إن نالت رماحهم .

وقال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شياء (٣)) الآية وكذلك في آخر السورة وفي وسطها وفي يوسف (إنه من يتق ويصبر (٤)) الآية فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور ، والتقوى فعل المأمور وترك المحظور ، فمن جمع هذا وهذا فقد جمع له الخير ، بخلاف من عكس .

(٤٢) لأهل التعطيل شبهات في العلو يعارضون بها الكتاب والسنة ، والإجماع والفطر ، والدلائل العقلية ، فإنها متفقة على أنه سبحانه فوق

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢١٠ .

(٢) سورة غافر – الآية ٥٥ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٢٠ .

(٤) سورة يوسف – الآية ٩٠ .

مخلوقاته ، وقد فطر الله على ذلك العجايز والصبيان ، كما فطرهم على الإقرار بالخالق ، قال صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة) الخ . هذا معنى قول عمر بن عبد العزيز عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب أي أن الله فطرهم على الحق ، والرسل بعثوا بتكميل الفطرة ، وتقديرها ، وأعداؤهم يريدون تغييرها ، ويوردون شبهات لايفهمها كثير من الناس .

(٤٣) ليس لأحد أن يتبع عورات العلماء ، ولا له أن يتكلم فيهم ، فمن عدل عن الحجة إلى الظن والهوى فهو ظالم ، وكذلك كل من آذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، ومن عظم حرمات الله ، وأحسن إلى عباد الله ، فهو من أولياء الله .

(٤٤) الذين استحلوا الدرهم بدرهمين يدا بيد، أجل قدرا ممن استحل النبيذ فهؤلاء فهموا من الربا نوعا ، وهؤلاء فهموا من الخمر نوعا ، وهكذا من فهم من الميسر نوعا ، وشمول الميسر لأنواعه كشمول الربا والخمر لأنواعهما .

(٤٥) رجح رحمه الله فعل ذوات الأسباب في أوقات النهي الأمر بتحية المسجد عام ، ونهيه عن الصلاة فيه عموم ، لكن رأيناه نهي عن الصلاة عند الخطبة وهو متفق عليه ، وهذا أشد من النهي في الأوقات ، فأمره بعد أن قعد أن يقوم يركع ركعتين ثم بين العموم بقوله : « إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما والمنازع من أصحاب (١) يوافق عليهما ولكن أصحاب أبي حنيفة ومالك طردوا قولهم فمنعوهما

---

(١) لعله من أصحاب أحمد .

ولكن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حجة لكل أحد وعليه ، بنصه وشبيهه فدل نصه على التحية وقت الخطبة وقياس الأولى على التحية بعد البردين (١) ، وعلى أن الأمر بالركعتين مخصص كما خصص هنا وأولى وفي الصحيحين أنه قال : لجابر « صل ركعتين » أي تحية المسجد فقد أمره بالصلاة ولم يعلله بالقعود ، وقوله في الآخر فلا يقعد لأن العادة أنه يقعد ، واحتج النسائي على عدم وجوبهما بحديث كعب بن مالك وفيه فلما سلمت قال : « تعال فجئت فجلست » الخ ثم ذكر حديث الرجلين اللذين لم يعيدا في مسجد الخيف ، وهذا يبين أن هذا متأخر وأنه ليس بمنسوخ بل لو قدر التعارض لكان هو الناسخ ويبين أن قوله : مسجد جماعة المراد به الجماعة الراتبة سواء كانت تفعل في ذلك المكان دائما أو أحيانا ، فإن مسجد الخيف إنما يصلي فيه في الموسم فهذا نص صحيح صريح خاص أنه أمره بالإعادة وأخبر أنها نافلة كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ، والإمام أحمد أعلمهم بالنصوص ، وأتبعهم لها ، فلا يكاد يخالف نصا صريحا ، وإنما قوله حيث فقد ذلك فقضى بالعامة على الخاصة من غير نزاع واختلف فيما عدا ذلك ، بخلاف غيره الذين لم يبلغهم ما بلغه وقوله لا صلاة في يوم مرتين يؤكد ما قلنا ، فإنه إذا نهى عن ذلك ، وثبت عنه في الأحاديث الصحيحة الكثيرة أن إعادة الصلاة نافلة لسبب ، وأمره بإعادتها لسبب ، وجب اتباع أمره كله ، ولم يجز أن نؤمن ببعضه ، ونكفر ببعضه ، فنعجل السنة عضين .

---

(١) البردين العصر والفجر .

(٤٦) المنهى عنه من العادات والعبادات ثلاثة أنواع : أحدها ما لايباح بحال كالكفر بالقلب ، ومن هذا لو أكره على محرم كالميتة ، وقلنا يباح كقول الأكثر وهو الأصلح وقيل لاتباح الأفعال المحرمة بالإكراه ، وقال تعالى :

(ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم (١)) أي لمن يكره على الفاحشة لكن اعتقاد التحريم والكراهة للفعل لابد منها فإن إنكاره للمنكر من فعل غيره — بالقلب لابد منه ، فكيف فعله ؟ ولهذا يكره الإنسان ابتداء على ذلك ثم يفعلها باختياره ، كما في الإكراه على الحق ، فإن الحربي يقاتل حتى يسلم ، ثم ينشرح صدره للإسلام ، فينفعه هذا دون الأول ، كذلك الإكراه على المعاصي وهذا أصل عظيم يجب مراعاته .. الثاني ما يباح عند الضرورة كالميتة ، وليس له أن يعتقد تحريمها حينئذ ، ولا يكرهها .. الثالث المباح للحاجة كالحرير للنساء ويسيره للرجال ، والله أرسل رسوله رحمة للناس ، فإذا كان من المحرمات ما يحتاج إليه ورجحت المصلحة أبيح ، فالصلاة وقت النهي من هذا القسم فإن جنسها مباح بالإجماع ، كالعصر عند الغروب والجنايز بعد الفجر والعصر ، فامتنع أنه من الذي لا يباح بحال ، أو يباح ضرورة ، فإذا كانت الحاجة لمصلحة دنيوية يكون حاجة ، فالدينية أولى ، فإن ما يفوت الزوجة من عدم لباسها الحرير لا نسبة إلى ما يفوته من مصالح هذه العبادات ، قال تعالى : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض (٢)) الآية وبهذا يظهر الفرق بين ذات السبب

(١) سورة النور — الآية ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء — الآية ٢١ .

وغيرها فإنه يمكن تأخيره بلا فوات مصلحة لأنه لا يمكن ولا يشرع استيعاب الأوقات بالصلاة فأحق ما اعتبره للترك ، الوقت الذي فيه مفسدة مشابهة المشركين .

(٤٧) النزول في القرآن ثلاثة نزول مقيد بأنه منه ، فهذا لم يرد إلا في القرآن ونزول مقيد بالسماء وهي اسم جنس كل ما علا ، فإذا قيد بمعين تعين ونزول مطلق ، كالسكينة والميزان ، والجمهور على أنه العدل ، وعن مجاهد ما يوزن به ولا منافاة وإنزال هذا هو إنزاله في القلوب ، والملائكة تنزل على قلوب المؤمنين بما يجعل فيها .

(٤٨) شريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده تعبيد الخلق لربهم ، كما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإخلاصية والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية كما سمى قيوم عبد القيوم .

(٤٩) قوله : (والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون (١)) الآية يعم البخل كل ما ينفع في الدين والدنيا من مال وعلم وغير ذلك ، فالبخيل بالعلم الذي يمنعه والمختال أما يختال فلا يطلبه ، وأما يختال على بعض الناس فلا يبذله ، وهذا كثيرا ما يقع ، وضده التواضع في طلبه ، والكرم ببذله .

(٥٠) قوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله(٢)) الآية بعد قوله

---

(١) سورة الحديد - الآية ٢٤ .

(٢) سورة النساء - الآية ٧٩ .

قل كل من عند الله لو اقتصر على الجمع أعرض العاص عن ذم نفسه ، والتوبة من الذنب ، والاستعاذة من شره ، وقام بقلبه حجة إبليس فلم تزده إلا طردا ، كما زادت المشركين ضلالا حين قالوا « لو شاء الله ما أشركنا » ولو اقتصر على الفرق لغابوا به عن التوحيد ، والإيمان بالقدر ، واللجاء إلى الله في الهداية ، كما في خطبته صلى الله عليه وسلم الحمد لله نسيعينه ونستغفره فيشكره ويستعينه على طاعته ، ويستغفر من معصيته ، ويحمده على إحسانه ، ثم قال ونعوذ بالله من شرور أنفسنا الخ . لما استغفر من المانع استعاذ من الذنوب التى لم تقع ، ثم قال ، ومن سيئات أعمالنا أى من عقوباتها ثم قال من يهده الله فلا مضل له الخ . شهادة بأنه المتصرف في خلقه ففيه إثبات الصفات الذي هو نظام التوحيد كل هذا مقدمة بين يدي الشهادتين فإنما يتحققان بحمد الله وإعانته واستغفاره واللجاء إليه والإيمان بأقداره فهذه الخطبة عقد نظام الإسلام والإيمان .

(٥١) كون الحسنات من الله إلى عبده فخلق الحياة وأرسل الرسل وحبب إليهم الإيمان وإذا تدبرت هذا شكرت الله فزادك وإذا علمت أن الشر لا يحصل إلا من نفسك تبت فزال ، الثالث أن الحسنة تضاعف ، الرابع أن الحسنة يحبها الله ويرضاها فيحب أن ينعم ويحب أن يطاع ، ولهذا تأدب العارفون فأضافوا النعم إليه والشر إلى محله ، كما قال إمام الحنفاء « الذي خلقني فهو يهديني » (١) إلى قوله وإذا مرضت فهو يشفيني ، الخامس أن الحسنة مضافة إليه ، لأنه أحسن بها بكل اعتبار ، وأما السيئة فما قدرها إلا لحكمة ، السادس أن الحسنات أمور وجودية متعلقة بالرحمة والحكمة ،

---

(١) سورة الشعراء – الآية ٨٠ .

لأنها أما فعل مأمور ، أو ترك محظور ، والترك أمر وجودي فتركه لما عرف أنه ذنب ، وكراهته له ومنع نفسه منه أمور وجودية ، وأنما يثاب على الترك على هذا الوجه ، وقد جعل صلى الله عليه وسلم البغض في الله من أوثق عرى الإيمان ، وهو أصل الترك ، وجعل المنع لله من كمال الإيمان ، وهو أصل الترك ، وكذلك براءة الخليل قومه من المشركين ومعبوديهم ليست تركا محضا بل صادرا عن بغض وعداوة .. وأما السيئات .. فمنشأها من الجهل والظلم وفي الحقيقة كلها ترجع إلى الجهل ، وإلا فلو تم العدم بها لم يفعله فإن هذا خاصة العقل ، وقد يغفل عن هذا كله بقوة وإرادة الشهوة والغفلة ، والشهوة أصل الشر ، كما قال تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) (١) الآية السابع إن ابتلاءه بالذنوب عقوبة له على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه ، الثامن أن ما يصيبه من الخير والنعم لا تنحصر أسبابه يحصل بعمله وبغير عمله وعمله من إنعام الله عليه ، فيرجع في ذلك إلى الله ولا يرجو إلا هو ، فهو مستحق الشكر التام الذي لا يستحقه غيره ، وإنما يستحق غيره من الشكر جزاء على ما يسره الله على يديه لكن لا يبلغ أن يشكر بمعصية الله (٢) ، فإنه المنعم بما لايقدر عليه مخلوق ونعمة المخلوق منه أيضا ، وجزاه على الشكر والكفر لا يقدر أحد على مثله ، فإذا عرف أن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده صار توكله ورجاؤه إلى الله وحده ، وإذا علم

---

(١) سورة الكهف – الآية ٢٨ .

(٢) لعل الصواب بما يختص بالله .

ما يستحق من الشكر الذي لا يستحقه غيره صار (١) ، والشر انحصر سببه في النفس ، فعلم من أين يؤتى فتاب واستعان بالله ، كما قال بعض السلف لايرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه وقد تقدم قول السلف ابن عباس وغيره أن ما أصابهم يوم أحد مطلقا كان بذنوبهم لم يستثن أحد وهذا من فوائد تخصيص الخطاب لئلا يظن أنه عام مخصوص ، والتاسع أن السيئة إذا كانت من النفس ، والسيئة خبيثة كما قال : (الخبيثات للخبيثين(٢)) الآية قال جمهور السلف ، الكلمات الخبيثة للخبيثين وقال : (ومثل كلمة خبيثة(٣) (وقال) إليه يصعد الكلم الطيب(٤)) والأقوال والأفعال صفات القائل الفاعل ، فإذا اتصفت النفس بالخبث فحملها ما يناسبها ، فمن أراد أن يجعل الحيّات يعاشرن الناس كالسنانير لم يصلح بل إذا كان في النفس خبث طهرت حتّى تصلح للجنة كما في الصحيح من حديث أبي سعيد وفيه (حتّى إذا هذبوا ونقوا إذن لهم في دخول الجنة) فإذا علم الإنسان أن السيئة من نفسه لم يطمع في السعادة التامة مع ما فيه من الشر بل تحقيق قوله : (من يعمل سوأ يجز به(٥)) (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره(٦)) الخ . وعلم أن الرب حليم ، عليم ، رحيم ، عدل ، وأفعاله على قانون العدل والإحسان ، كما في الصحيحين ، يمين الله ملأ إلى قوله والقسط بيده الأخرى ،

---

(١) بياض في الأصل ، ولعله تمامه الشكر كله له .

(٢) سورة النور — الآية ٢٦ .

(٣) سورة إبراهيم — الآية ٢٦ .

(٤) سورة فاطر — الآية ١٠ .

(٥) سورة النساء — الآية ١٢٣ .

(٦) سورة الزلزلة — الآية ٧ .

وعلم فساد قول الجهمية الذين يجعلون الثواب والعقاب بلا حكمة ولا عدل إلى أن قال ومن سلك مسلكهم غايته إذا عظم الأمر والنهي أن يقول كما نقل عن الشاذلي يكون الجمع في قلبك مشهودا ، والفرق على لسانك موجودا ، كما يوجد في كلامه وكلام غيره ، أقوال وأدعية تستلزم تعطيل الأمر والنهي مما يوجب أن يكون عنده أن يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، ويدعون بأدعية فيها اعتداء كما في حزب الشاذلي ، وآخرون من عوامهم يجوزون أن يكرم الله بكرامات الأولياء لمن هو فاجر أو كافر ، ويقولون هذه موهبة يظنونها من الكرامات وهي من الأحوال الشيطانية التى يكون مثلها للسحرة والكهان ، كما قال تعالى : (ولما جاءهم رسول الله من عند الله إلى قوله هاروت وماروت(١)) وصح قوله صلى الله عليه وسلم : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » فعدل كثير من المنتسبين إلى الإسلام إلى أن نبذ القرآن وراء ظهره ، واتبع ماتتلوا الشياطين ، فلا يعظم أمر القرآن ونهيه ولا يوالي من أمر القرآن بموالاته ، ولا يعادي من أمر القرآن بمعاداته بل يعظم من يأتي ببعض الخوارق ، ثم منهم من يعرف أنه من الشيطان لكن يعظمه لهواه ، ويفضله على طريقة القرآن ، وهؤلاء كفار كما قال الله فيهم (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (٢)) الآية .

(٥٢) قوله : من نفسك فمن الفوائد أن المتعلم لا يطمئن إلى نفسه ، ولا يشتغل بملام الناس وذمهم ، بل يسأل الله أن يعينه على طاعته ، ولهذا

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٠١ .

(٢) سورة النساء – الآية ٥١ .

كان أنفع الدعاء وأعظمه الفاتحة وهي مفتاح إلى الهدى كل لحظة ويدخل فيه من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه ، ويبينه أن الله سبحانه لم يقض علينا في القرآن قصة إلا لنعتبر ، وأنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول فلولا أن في النفوس ما في نفوس المكذبين للرسل لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بمن لانشبهه قط ، ولكن الأمر كما قال تعالى : (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك (١)) وقوله : (أتواصوا به) (٢) وقوله : (تشابهت قلوبهم) (٣) ولهذا في الحديث « لتسلكن سنن من كان قبلكم » الحديث وقد بين القرآن أن السيئات من النفس وأعظم السيئات جحود الخالق والشرك به ، وطلب النفس أن تكون شريكة له ، وكلا هذين وقع ، قال بعضهم ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف أحوال الناس رأى من يبغض نظيره ، واتباعه حسدا كما فعلت اليهود لما بعث الله من يدعو إلى مثل ما دعى إليه موسى ، ولهذا أخبر عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون كما قال : (إن فرعون علا في الأرض (٤)) الآية وقال : (وقضينا إلى بني إسرائيل(٥)) الآية .

(٥٣) قوله في الحديث الذي في الترمذي وصحيح الحاكم : « للجن أحسن ردا منكم الخ » يذكر تعالى آياته الدالة على قدرته وربوبيته ، وآياته

---

(١) سورة فصلت – الآية ٤٣ .

(٢) سورة الذاريات – الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة – الآية ١١٨ .

(٤) سورة القصص – الآية ٤ .

(٥) سورة الإسراء – الآية ٤ .

التي فيها إحسانه إلى عباده ، وآياته المبينة لحكمته ، وهي متلازمة ، فكما خلق فهو نعمة ودليل على قدرته وحكمته لكن نعمة الرزق في المأكل والمشرب واللباس والسكن ظاهر لكل أحد ، فلهذا استدل بها كما في سورة النحل وتسمى سورة النعم ، وكل ما خلقه فهو نعمة على المؤمنين يستحق أن يحمدوه ويشكروه عليه، وهو من آلائه ، ولهذا قال : (فبأي آلاء ربك تتمارى (١)) وكذلك ختم كل آية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فجميع المخلوقات أنعام من جهة أنها آيات بها هدايتهم التي يسعدون بها في الدارين ، فتدلهم عليه ، وعلى وحدانيته ، وقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، ورحمته ، وهذه أفضل النعم نعمة الإيمان قال ابن قتيبة : « لما ذكرهم آلاءه ، ونبههم على قدرته ، جعل كل كلمة فاصلة بين نعمتين ليفهمهم النعم ويقرراهم بها » .

(٥٤) إذا كان الحمد لايقع إلا نعمة فقد ثبت أنه رأس الشكر فهو أول الشكر والحمد وإن كان على نعمته وعلى حكمته فالشكر بالأعمال على نعمته ، وهو عبادة له لآلهيته التي تتضمن حكمته ، فصار المجموع داخلا في الشكر ، ولهذا عظم القرآن أمر الشكر ، ولم يعظم أمر الحمد مجردا إذا كان نوعا من الشكر وشرع الحمد الذي هو الشكر المقول أمام كل خطاب مع التوحيد .

(٥٥) المؤمن يرى أن عمله لله : لأنه إياه يعبد ، وأنه بالله ، لأنه إياه يستعين فلا يطلب جزاء ولا شكورا من غير الله ، ولا يمن ولا يؤذي لعلمه أن الله هو المانّ عليه ومن الناس من يحسن إلى غيره ليمن عليه أو يجزيه

---

(١) سورة النجم – الآية ٥٥ .

بطاعة أو تعظيم أو غيره ، فلا عمل لله ، ولا بالله ، فهو كالمرائي وقد أبطل الله صدقة المنان والمرائي .

(٥٦) أما نعمة الضراء فاحتياجها إلى الصبر ظاهرا ، وأما نعمة السراء — فتحتاج إلى الصبر على الطاعة فيها ، فإن فتنة السراء أعظم ، وفي الحديث : « أعوذ بك من فتنة الفقر ، وشر فتنة الغنى ، والفقر يصلح عليه خلق كثير ولا يصلح على الغنى ألا أقل منهم ، ولهذا أكثر من يدخل الجنة المساكين لأن فتنة الفقر أهون وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر ، ولكن لما كان في السراء اللذة والضراء الألم ، اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء ، قال تعالى : (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة (١)) إلى قوله (إلا الذين صبروا) الآية ، فصاحب السراء أحوج إلى الشكر ، وصاحب الضراء أحوج إلى الصبر ، فإن صبر هذا واجب إذا ترك استحق العقاب ، وكذلك شكر ذاك ، وأما صاحب السراء فقد يكون مستحباً إذا كان عن فضول الشهوات وقد يكون واجبا لكن لإتيانه بالشكر يغفر ما يغفر ، وكذلك صاحب الضر قد يكون الشكر في حقه مستحبا إذا كان شكرا يصير به من السابقين المقربين ، وقد يغفر له ما قصر في الشكر لإتيانه بالصبر ، فإن اجتماع الصبر والشكر جميعا يعسر على كثير من الناس .

(٥٧) أمر الله الرسل أن يكون دينهم واحداً لا يتفرقون فيه ولهذا يصدق بعضهم بعضا لا يختلفون مع تنوع شرائعهم ، فمن كان من المطاعين من العلماء ، والأمراء متبعا للرسل أمر بما أمروا به ودعا إليه ،

---

(١) سورة هود — الآية ١١ .

وأحب من دعا إليه ، لأن قصده عبادة الله وحده وأن يكون الدين لله ، ومن كره أن يكون له نظير يدعوا إلى ذلك فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود ، وله نصيب من حال فرعون ، فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون ، ومن طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله .

(٥٨) جميع الولايات مقصودها أن يكون الدين كله لله ، فإنه سبحانه إنما خلق الخلق لذلك ، وذلك هو الخير ، والبر ، والتقوى ، والحسنات ، والقربات .. والباقيات الصالحات والعمل الصالح ، وإن كان بين هذه الأسماء فروق لطيفة ولا تتم المصلحة في الدين والدنيا إلا بالإجتماع ، وإذا اجتمعوا فلابد من أمور يفعلونها لمصلحتهم ، وأمور يجتنبونها لدفع المفسدة ، ويكونون مطيعين للآمر بها والنهي عنها ، فلا بد من آمر وناهي ، وإذا كان لا بد من ذلك فدخول المرء تحت طاعة الله ورسوله الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث خير له ، وأخبر أنه أنزل الكتاب بالحق والميزان وأنزل الحديد ليقوم الناس بالقسط ، ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم أمته بتولية ولاة الأمور عليهم ، وأمر ولاة الأمور أن يؤدوا الأمانة ، وأن يحكموا بالعدل ، وأمر بطاعتهم فلأبي داود عن أبي سعيد مرفوعاً إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » وله عن أبي هريرة مثله ففيه تنبيه على الوجوب فيما هو أكثر من ذلك .

(٥٩) من المتولين من هو بمنزلة الشاهد المؤتمن والمطلوب منه الصدق مثل ولاية الأموال ، والعريف الذي يخبر ولي الأمر بالأحوال ، ومنهم من هو بمنزلة الآمر المطاع والمطلوب منه الصدق وبالصدق في الأخبار ،

والعدل في الإنشاء من الأقوال والأعمال تصلح جميع الأحوال ، وهما قرينان قال تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » (١) وقال في الحديث « من صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم .. » إلى آخره .

(٦٠) الأدلة العقلية الشرعية إنما تدل على الحق وهذا ظاهر يعرفه كل أحد لأن الدليل الصحيح لايدل إلا على حق يبقي الكلام في أعيان الأدلة ، وبيان انتفاء دلالتها على الباطل ، ودلالتها على الحق هو تفصيل هذا الإجمال، والمقصود هنا شيء آخر ، وهو أن نفس الدليل الذي يحتج به المبطل هو بعينه إذا أعطى حقه تبين أنه يدل على فساد قول المبطل في نفس ما احتج به عليه ، وهذا عجيب قد تأملته فيما شاء الله من الأدلة السمعية ، والمقصود هنا أن الأدلة العقلية كذلك فأما السمعية فقد ذكرت أمورا مما احتج به الجهمية والرافضة وغيرهم مثل الله أحد ، الله الصمد ، وبينت أنها تدل على نقيض مطلوبهم ، وهذا مبسوط في الرد على الرازي في كتاب تأسيس التقديس ، فإني لم أر لهم مثله ، جمع فيه عامة حججهم ، وكذلك . احتجاجهم على نفي الرؤية بقولهم له « لا تدركه الأبصار » (٢) وكذلك قوله : (ليس كمثله شيء (٣)) ونحو ذلك ، وكذلك احتجاج الشيعة بقوله : (إنما وليكم الله)(٤) الآية وبقوله : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ونحو ذلك كما بسط في منهاج أهل السنة ، والمقصود هنا

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١١٥ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ١٠٣ ..

(٣) سورة الشورى – الآية ١١ .

(٤) سورة المائدة – الآية ٥٥ .

العقليات فإن كل من له معرفة يعرف أن السمعيات إنما تدل على الإثبات ، وأما الرافضة فعمدتهم على السمعيات لكن كذبوا أحاديث كثيرة جداً راج كثير منها على أهل السنة ، وعسر تمييزها إلا على الأئمة العارفين بعلل الحديث متنا وسندا ، كما أن الجهمية أتوا بحجج عقلية اشتبهت على أهل السنة إلا على قليل ممن له خبرة بذلك .

والصفات والقدر ، ويسميان التوحيد والعدل هما أعظم وأجل ما فيه في الأصول ، والحاجة اليهما أعم ومعرفة الحق فيها أنفع .

(٦١) الأقوال التي ترغب في الفجور وتهيج القلوب إليها ، وكل ما فيه إعانة على الفاحشة وترغيب فيها حرام أعظم من تحريم الندب والنياحة ، لأن ذلك يثير الحزن وهذا يثير الفسق ، والحزن قد يرخص فيه بخلاف الفسق ، بل هذا من جنس القيادة وفي الصحيح (لاتنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها) ، وبلغ عمر أن نصرا تغنت به امرأة فأخذ شعره(١) ثم رآه جميلا فنفاه ، فكيف لو رأى من يغني بهذه الأقوال المروية في المردان مع كثرة الفجور ؟ ! فإن هؤلاء من المضادين لله ولرسوله ، ولدينه ، يدعون إلى ما نهى الله عنه ، ويصدون عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا والمخالط لهم إذا ادعى السلامة لم يقبل منه ، فإنه إما أن يفعل معهم ، وأما أن يقرهم ، وعلى كل حال فهو مستحق للعقوبة ، وقد رفع إلى عمر بن عبد العزيز

(١) أي فحلق رأسه لأنه إنما اتخذه لقصد الفتنة والفساد مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ربما ترك رأسه فلما علم أمير المؤمنين عمر أن نصرا لم يترك رأسه تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم عاقبه بحلقه وكذا من يتركه في الوقت الحاضر من المخنفسين المريدين للفساد ينبغي معاقبتهم بحلق رؤسهم .

أقوام يشربون الخمر فقيل إن فيهم صائما فقال ابدؤا به فأجلدوه ألم يسمع قول الله تعالى : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله) (١) الآية فنهى سبحانه عن القعود مع الظالمين فكيف بمعاشرتهم ؟ والرسول بعث بإصلاح العقول والأديان ، وتكميل نوع الإنسان وحرم ما يغير العقل من جميع الألوان .

(٦٢) الوسواس في الصلاة نوعان : أحدهما لا يمنع من تدبر الكلم الطيب والعمل الصالح ، بل بمنزلة الخواطر فلا يبطل لكن من سلم منه فهو أفضل ممن لم يسلم منه ، الأول شبه حال المقربين ، والثاني : شبه حال المقتصدين .

وأما الذي يمنع الفهم بحيث يصير الرجل غافلا فلا ريب أنه يمنع الثواب ، كما في حديث عمار ، وغيره ، والنصوص والآثار إنما تدل على أن الثواب مشروط بالحضور ، ولم تدل على وجوب الإعادة لا باطنا ولا ظاهرا ، كما في حديث الصوم : (من لم يدع قول الزور والعمل ... الخ) وهذا هو المأثور عن أحمد وغيره من الأئمة .

(٦٣) لم يكن أحد من الأنبياء نبيا قبل أن ينبأ وقوله : (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) وذلك أن في الصحيح أن الجنين إذا خلق كتب الملك رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد قبل نفخ الروح فيه ، فبين خلقه ونفخ روحه . بقدر حاله في صحف الملائكة في تلك الحال ما سيكون من

---

(١) سورة النساء - الآية ١٤٠ .

أمره ، وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا (١)) الآية وقال : (وعلمك مالم تكن تعلم(٢)) وقال (وإن كنت من قبله لمن الغافلين(٣)) ففي هذه النصوص وغيرها يخبر بإنعامه عليه ، وبه يتبين عظم نعم الله عليه ، وعظم قدرة الله سبحانه .

(٦٤) الأذكار والدعوات من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على الإتباع وليس لأحد أن يسن منها غير المسنون ، ويجعله عادة راتبة ، يواظب الناس عليها بل هذا ابتداع دين لم يأذن به الله . بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله سنة .

(٦٥) كل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقأ به فضلا عن أن يدعو به ولو عرف معناه كره الدعاء بغير العربية ، وأنما يرخص فيه لمن لا يحسن العربية ، فأما جعل الألفاظ العجمية شعارا فليس من دين الإسلام .

(٦٦) من اعتدى على شريف أو غيره عوقب بالقصاص ، والتعزيز ، أو حد القذف ويعاقب المعتدي أيضا وإن كان شريفا ، فما يشرع فيه القصاص لا فرق فيه بين الشريف وغيره ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

(٦٧) ما ذكر من حياة الشهداء ورزقهم قيل إنه مختص بهم ، والصحيح الذي عليه الأئمة أنه ليس مختصا كما دلت عليه النصوص وخص الشهيد

---

(١) سورة الشورى – الآية ٥٢ .

(٢) سورة النساء – الآية ١١٣ .

(٣) سورة يوسف – الآية ٣ .

بالذكر ، لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد ، كما نهى عن قتل الأولاد خشية الإملاق .

(٦٨) اختلف في ولاية أبي بكر هل هي بنص أو إجماع والتحقيق أنه صلى الله عليه وسلم دلهم عليها بأمور متعددة من أقواله ، وأفعاله ، وأخبر بها إخبار راض حامد ، وعزم أن يكتب بها عهدا ، ثم علم أن المسلمين يجتمعون ، ولهذا قال : (يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر) لأن النزاع أنما يكون لخفاء العلم أو لسوء القصد وكلاهما منتفي ، وهذا أبلغ من العهد ، فصارت ثابتة بالنص والإجماع ، المستند إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله له ، وأنه أحق ، وأن الله أمر بها وأن المؤمنين يختارونها .

(٦٩) خلق الله الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التى باعتبارها كان فعله حسنا متقنا كقوله : (الذي أحسن كل شيء خلقه) (١) (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (٢) فلهذا لا يضاف إليه الشر مفردا إلا أن يدخل في العموم ، كقوله (خالق كل شيء)(٣) أو يضاف إلى السبب كقوله : (من شر ماخلق)(٤) ، أو يحذف الفاعل كقوله (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض)(٥) الآية وقوله : (أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)(٦) فذكر أنه فاعل النعمة ، وحذف فاعل الغضب ، وأضاف

---

(١) سورة السجدة – الآية ٧ .
(٢) سورة النمل – الآية ٨٨ .
(٣) سورة الأنعام – الآية ١٠٢ .
(٤) سورة الفلق – الآية ٢ .
(٥) سورة الجن – الآية ١٠ .
(٦) سورة الفاتحة – الآية ٧ .

الضلال إليهم ، فالرب تعالى لا يمثل بخلقه ، لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل له المثل الأعلى .

(٧٠) وقال في احتجاج الرافضة بآية الميراث : ليس في عمومها ما يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم يورث ولا قصد بها بيان صفة المورث والوارث ، وأنما قصد بها أن المال الموروث يقسم بين الوارثين على هذا التفصيل ، ولهذا لو كان الميت مسلما وهؤلاء كفارا لم يرثوا بالإتفاق ، وكذلك بالعكس في قول الجماهير ، وكذلك القاتل عند عامة المسلمين . وهب أن لفظ الآية عام مخصوص بأدلة أضعف من كونها لم تعمه صلى الله عليه وسلم يعني في المسائل المتقدمة آنفا ، وإذا خصت بنص أو إجماع خصت بنص آخر بالإجماع وقد ثبت أنه لا يورث بالسنة المقطوع بها بإجماع الصحابة ، وقد جرت العادة بأن الملوك الظلمة إذا تولوا بعد من أحسن إليهم وقد انتزعوا الملك منهم أعطوهم ما يكفهم عنهم وأما منع الميراث فلا يعلم أن أحدا من الملوك فعله ، فعلم أن ما جرى خارجا عن العادة الطبيعية في الملوك كما خرج عن العادات الشرعية في المؤمنين لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بما لم يخص به غيره ، وقوله ، (وورث سليمان داود(١)) لا يدل على محل النزاع ، لأن الإرث اسم جنس تحته أنواع فيستعمل في أرث العلم والنبوة وغير ذلك قال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا)(٢) الآية وداود له أولاد غير سليمان فلا يختص بما له ، والمراد أرث العلم والنبوة ونحو ذلك ، وأرث المال من الأمور المشتركة كالأكل

---

(١) سورة النمل – الآية ١٦ .

(٢) سورة فاطر – الآية ٣٢ .

والشرب فلايقص مثله عن الأنبياء، وقوله (يرثني ويرث من آل يعقوب)(١) كذلك لأنه لا يرث من آل يعقوب أموالهم ، والنبي لا يطلب ابنا ليرث ماله ، وهذا لايصدر إلا ممن هو أقل الناس عقلا ودينا .

(٧١) قوله : (ما أقلت الغبراء الخ) بتقدير ثبوته لم يرد به أنه أصدق الناس ، فإنه يلزم أن يكون أصدق منه صلى الله عليه وسلم ، ولكن معناه ليس غيره أكثر تحريا للصدق منه ، والصادق شيء والصديق شيء ليس لكونه صادقا بل لكونه صدق الأنبياء ، فالصديق ليس فضيلته في مجرد الصدق بل إنه علم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلا وصدق ذلك تصديقا كاملا في العلم والقصد والقول والعمل ، وأبو ذر لم يعلم ما أخبر به صلى الله عليه وسلم كما علمه أبو بكر ، فإنه أعرف منه ، وأعظم حبا لله ورسوله ، وأعظم نصرا لله ورسوله ، وأعظم جهادا بنفسه وماله ، إلى غير ذلك من الصفات التي هي كمال الصديقية .

(٧٢) وقال في قول الرافضي : إذاعة سر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل السنة في هذا الباب قائمون بالقسط شهداء لله قولهم لايتناقض ، وأما أهل البدع ففيهم من التناقض ما ننبه على بعضه وذلك أن عندنا أن أهل بدر كلهم في الجنة ، وكذلك أمهات المؤمنين لكن ليس من شرط ذلك سلامتهم من الخطأ والذنوب ، فما يذكر عن الصحابة من السيئات كثير منه كذب ، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه ، وما قدر أنه ذنب فهو مغفور إما بتوبة أو حسنات ، أو غير ذلك ، فإنه قد قام الدليل على أنهم في الجنة ،

---

(١) سورة مريم - الآية ٦ .

ولو لم يقم لم يجز لنا القدح في استحقاقهم الجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين والكلام بلا علم حرام ، ولهذا كان الإمساك عما شجر بينهم خير من الخوض فيه بغير علم بحقيقة الأحوال إذ كثير منه أو أكثره بغير علم ، وهو حرام ، لو لم يكن فيه هوى ومعارضة للحق وقال : (القضاة ثلاثة الخ) فإذا كان هذا في قضاء بين اثنين في قليل المال وكثيره فكيف بين الصحابة في أمور كثيرة ، فمن تكلم في هذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم من الحق استوجب الوعيد ، ولو تكلم بحق للهوى أو عارض به حقا آخر استوجب الوعيد ، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام ، وإلا وقع في كذب وجهل وتناقض ، ثم ذكر إنكار الرافضة توبة الأنبياء والأئمة وخطبة علي لابنة أبي جهل ، وغضبه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية لما لم يحلقوا ، ثم قال والرافضة تعمد إلى قوم متقاربين تريد أن تجعل أحدهم معصوما والآخر مأثوما ، فيظهر جهلهم وتناقضهم ومن عمد إلى التفريق بين المتماثلين أصابه مثل هذا كاتباع العلماء والمشايخ .

(٧٣) مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله فيصلى خلفهم ، ويجاهد معهم ، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن حكم منهم بعدل نفذ حكمه ، وإن أمكن تولية بر لم يجز تولية فاجر فيجتهدون في الطاعة بحسب الإمكان ، كما قال (فاتقوا الله ما استطعتم (١)) ويعلمون أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بصلاح العباد ، فإذا اجتمع صلاح وفساد رجحوا الراجح

(١) سورة التغابن – الآية ١٦ .

منهما وقلّ من خرج على دين سلطان إلا كان ماتولد عن فعله من الشر أعظم من الخير ، فلا أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا ، وإن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين ، وهذا مما يبين أن ما أمر به صلى الله عليه وسلم من الصبر على جور الأئمة هو الأصلح ، فالشارع أمر كلا بما هو أصلح له وللمسلمين ، فأمر الولاة بالعدل والنصح لرعيتهم ، وأمر بالصبر على استيثارهم ومنازعتهم الأمر والفتن في كل زمان بحسب رجاله ، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه ففيهما من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل ، حتّى لايتميز لكثير من الناس ، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق ، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير ، ولهذا يقال : « فتنة عميا صما » .

(٧٤) لآله صلى الله عليه وسلم على الأمة حق لا يشركهم فيه غيرهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحق سائر قريش وقريش يستحقون مالا يستحق غيرهم من القبائل ، كما أن جنس العرب يستحقون من ذلك مالا يستحقه سائر أجناس بني آدم ، على هذا دلت النصوص : تفضيل الجملة على الجملة لايقتضي تفضيل كل فرد كالقرن الأول على الثاني ، والثاني على الثالث ، وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة ومدح الله للمعين وكرامته عنده فهذا لا يؤثر فيه النسب ، وهذا لا ينافي ما ذكرنا قبله ، كما قال : (الناس معادن .. الخ) فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة فالأول خير ، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فإن تعطل ولم يخرج ذهبا كان ما يخرج الفضة أفضل منه ، ولهذا كان في بني هاشم النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يماثله أحد في قريش ، وفي قريش الخلفاء وغيرهم مالا نظير له في العرب وفي العربمن السابقين الأولين مالا نظير له

في سائر الأجناس . . فالأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ، ودون من ظن أن الله مفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في التقوى وكلا القولين خطأ وهما متقابلان ، فالفضل بالنسب للمظنة والسبب ، وبالتقوى لليقين .. والتحقيق والغاية فالأول سبب وعلامة ، والثاني يفضل به لأنه تحقيق وغاية والثواب يقع على هذا لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه ، ولهذا كان رضى الله عن السابقين أفضل من الصلاة على آل محمد ، لأن الأول إخبار بما حصل والثاني سؤال مالم يحصل ، ومحمد أخبر الله تعالى أنه يصلي عليه وملائكته فالفضيلة بنوع لا يستلزم الأفضلية مطلقا ، ولهذا كان في الأغنياء من هو أفضل من جمهور الفقراء كإبراهيم وداود وأمثالهم وعيسى ويحيى أفضل من أكثر الأغنياء .

(٧٥) إذا تكلم فيمن دون الصحابة كالملوك المختلفين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل ، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال والظلم محرم مطلقا لا يباح بحال ، قال تعالى : (ولا يجر منكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا (١)) وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به فإذا كان هذا قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه ، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهه أو هوى ، والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ، والظلم مما اتفقوا على ذمه ، والله أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط ، وأخبر أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة

---

(١) سورة المائدة – الآية ٨ .

ودعى المؤمنون بقوله : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (١)) فقال قد فعلت فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وأن المخطىء والناسي لايؤاخذ وقال (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا(٢)) الآية فمن آذى مؤمنا حيا أو ميتا بغير ذنب يوجب ذلك دخل في الآية ومن كان مجتهدا لا إثم عليه فأذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب ، ومن أذنب وتاب أو غفر له بسبب آخر فآذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب .

(٧٦) ذكر غير واحد الإجماع على أن الصديق أعلم الأمة ، وهذا بين فإنهم لم يختلفوا في مسألة في ولايته إلا فصلها بحجة من الكتاب والسنة ، كما بين لهم موته صلى الله عليه وسلم ، وموضع دفنه ، وقتال مانعي الزكاة ، وأن الخلافة في قريش واستعمله صلى الله عليه وسلم على أول حجة حجت من مدينته وعلم المناسك ــ أدق العبادات ــ ولولا سعة علمه بها لم يستعمله ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة ، وكتاب الصدقة التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ماروي فيها ، وفي الجملة لايعرف مسألة غلط فيها ، وعرف لغيره مسائل كثيرة وتنازعوا بعده في مسائل الجد والإخوة ، والعمريتين والعول ، وغير ذلك من مسائل الفرائض ومسألة الحرام ، والطلاق الثلاث بكلمة ، والخلية ، والبرية ، والبته ، وغير ذلك من مسائل الطلاق وفي مسائل صارت نزاعا إلى اليوم لكنه في خلافة عمر نزاع محض وقوي النزاع في خلافة عثمان حتى حصل كلام غليظ من بعضهم لبعض ، وفي خلافة علي صار النزاع

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٦ .

(٢) الأحزاب - الآية ٥٨ .

بالسيف ، ولم يُعْلم أنه استقر بينهم نزاع في خلافة أبي بكر في مسألة واحدة ، وذلك لكمال علمه ، ثم التى خولف فيها بعد موته قوله فيها أرجـــح .

(٧٧) مذهب أبي ذر رضي الله عنه أن الزهد واجب وأن ما أمسك عن الحاجة فهو كنز واحتج بأية براءة ، فلما توفي عبد الرحمن بن عوف وخلف مالا جعل أبو ذر ذلك من الكنز ، وخالفه الجمهور ، واستدلوا بقوله : (ليس فيما دون خمسة أو سق صدقة . . الخ) ولا يحول الحول على مال عند أحد إلا وهو فضلة عن حاجة ، وقالوا الكنز : المال الذي لا تؤدى حقوقه وقد قسم الله المواريث في القرآن وقد كان غير واحد له مال على عهده صلى الله عليه وسلم ، وكان غير واحد من الأنبياء لهم مال ، وكان أبو ذر يريد أن يوجب مالا أوجبه الله مع أنه مجتهد في ذلك ، وكان عمر يقوم رعيته فلا يتعدى لا الأغنياء ولا الفقراء فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه توسع الأغنياء في الدنيا ، وتوسع أبو ذر في الإنكار ، وهذا من أسباب الفتن بين الطائفتين .

(٧٨) الغاية الممكنة ذكر الأمور الكلية كما قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت بجوامع الكلم » ثم النظر في دخول الأعيان فيها أو دخول نوع خاص تحت أعم منه لابد فيه من نظر المتولي ، وقد يصيب تارة ويخطىء أخرى ، فنص صلى الله عليه وسلم على الكليات ، كما جاء فيما يحرم ويحل من النساء ، وكذلك الأشربة حرم كل مسكر ، وأمثال ذلك ، بل قد حصر المحرمات في قوله : (قل أنما حرم ربي الفواحش)(١) .. الآية . فكل ما يحرم تحريما

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٣٣ .

عاما مطلقا ذكره فيها وما سواه وإن حرم في حال أبيح في أخـــرى ، كالدم .. الخ ، وجميع الواجبات في قوله : (قل أمر ربي بالقسط)(١) فلا مصلحة في عصمة الإمام إلا وهي حاصلة بعصمة الرسول ، ولله الحمد والمنة ، وكل من كان إلى اتباع السنة والحديث واتباع الصحابة أقرب كان مصلحتهم في الدين والدنيا أكمل ، ومن كان أبعد كان بالعكس ولما كانت الشيعة من أبعد الطوائف عن اتباع المعصوم تجدهم من أبعد الناس عن مصلحة دينهم ودنياهم حتّى يوجد من هو تحت سياسة أظلم الملوك أحسن حالا منهم ، ولهذا أشبهوا اليهود في أحوال كثيرة منها أنهم ضربت عليهم الذلة ، فلا يعيشون إلا أن يتمسكوا بحبل بعض الولاة الذي ليس بمعصوم ، فالرافضة وحدهم لا يقوم أمرهم كاليهود .

(٧٩) قوله تعالى : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع(٢) ..) الآية الذي يهدي إلى الحق مطلقا هو الله تعالى ، والذي لا يَهِدِّي صفة كل مخلوق ، وهذا هو المقصود بالآية ، فإنه افتتح الآيات بقوله : (قل من يرزقكم من السماء والأرض ... الخ(٣)) .

(٨٠) حديث الكسا صحيح ولا دليل فيه على العصمة ولا الإمامة لأن الإرادة نوعان : إرادة دينية كقوله : (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم(٤)) (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٢٩ .
(٢) سورة يونس – الآية ٣٥ .
(٣) سورة يونس – الآية ٣٢ .
(٤) سورة المائدة – الآية ٦ .

ويتوب عليكم)(١) وإرادة كونية كقوله : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره (٢)) .. الآية أخبر الله أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ، وأن يطهرهم وفيهم من تاب ومن لم يتب ، ومن تطهر ومن لم يتطهر ، فلا يلزم بالآية ثبوت دعوى العصمة والإمامة ، ثم أزواجه صلى الله عليه وسلم مذكورات بالآية والخطاب ، وتنازعوا في آل محمد قيل : أمته ، وقيل المتقون منهم ، والصحيح أنهم أهل بيته وأزواجه من آله ، وفي الصحاح أنه قال : وددت أني رأيت إخواني قالوا : أو لسنا إخوانك قال : « بل أنتم أصحابي ، وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني » وإذا كان كذلك فأولياؤه المتقون بينه وبينهم قرابة الإيمان ، والقرابة الدينية أعظم من القرابة الطينية ، والقرب بين القلوب والأرواح أعظم من القرب بين الأبدان ، ومن كان فاضلا من آله فهم أولياؤه بهذا الاعتبار ، لا لمجرد النسب ، والقرآن لا يدل على ثبوت الطهارة وإذهاب الرجس ودعاؤه صلى الله عليه وسلم يدل على وقوعه ، فإن دعاءه مجاب ، ولفظ الرجس أصله القذر ، ويراد به الشرك كقوله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان(٣)) ويراد به الخبائث المحرمة ، كقوله (أو لحم خنزير فإنه رجس(٤)) ونحن نعلم أن الله أذهب عنهم الرجس والخبائث ، وقوله : (وطهركم تطهيرا) سؤال مطلق ، فمن تاب أو وقع ذنبه مكفرا أو مغفورا فقد طهره الله تطهيرا .

---

(١) سورة النساء – الآية ٢٦ .
(٢) سورة الأنعام – الآية ١٢٥ .
(٣) سورة الحج – الآية ٣٠ .
(٤) سورة الأنعام – الآية ١٤٥ .

(٨١) قول موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيرا من أهلي [١]) قاله قبل أن يبلغ الرسالة ، ليعاونه عليها ، ونبينا صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وحده وكان أبو بكر أول من آمن به ، ودعى معه إلى الله ، وأسلم على يده ستة من العشرة ، ومع هذا فما دعى أن يشد أزره به ، بل قام مطيعا لربه متوكلا عليه ، صابرا له كما أمره بقوله : (ولربك فاصبر [٢]) .

(٨٢) وقال في الكلام على (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، نفى عنهم عبادة معبوده ، لأنهم إذا أشركوا لم يكونوا عابدين معبوده ، وأيضا لو عينوا الله بما ليس هو وقصدوا عبادة الله معتقدين أنه هو كأصحاب العجل ، والذين عبدوا عيسى والدجال ، والذين يعبدون أهواءهم ، ومن عبد من هذه الأمة غير الله فهم عند أنفسهم إنما يعبدون الله ، لكن هذا المعبود ليس هو الله ، وأن قصد العابد الله وأيضا إذا وصفوه بما هو برىء منه كالصاحبة والولد وعبدوه كذلك فهو بريء من هذا المعبود ، فإنه ليس هو الله ، كما قال صلى الله عليه وسلم : «ألا ترون كيف يصرف الله عني سب قريش يسبون مذمما ، كذلك عبادة أمثالهم واقعة على موصوفهم أيضا من لم يؤمن بما وصف به الرسول ربه فهو في الحقيقة لم يعبد ماعبده الرسول ، وقس على هذا فلنتأمل هذه المعاني ولنتهذب .

(٨٣) وقال في دعاء آخرِ البقرة الذنوب والمعاصي قد تكون سببا لعدم العلم بالحنيفية السمحة، فلا يعلم أنه مرفوع عنه، أو لعدم من يفتيه بالرخصة،

---

(١) سورة طه – الآية ٢٠ .

(٢) سورة المدثر – الآية ٧ .

فلا يكون مقتضى هذا الدعاء حاصلا في حقه ، لعدم العلم لا لنسخ الشريعة ، كما يعاقب بأن يخفى عليه من الطعام الطيب ما هو موجود وأن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، قد قال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب(١) » وهذا مما يعلم به قوله :(ومن يعمل سوءاً يجز به(٢)) (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره(٣)) .. الآية وفي آخر خلافة عثمان فصاروا في فتنة قال الله فيها (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)(٤) الخ وصار ذلك سببا لمنعهم كثيرا من الطيبات ، وصاروا يختصمون في متعة الحج ونحوها ، وبعضهم يعاقب من تمتع ، وكل منهم لا يعتقد مخالفة الرسول ، لكن خفي العلم بسبب الذنوب ، والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شرٍّ وإن كان الحق واحدا فقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه لما في ظهوره من الشدة ، ويكون من باب قوله : (لا تسألوا عن أشياء (٥) .. الخ ، وهكذا ما يوجد في الأسواق من الطعام والثياب) .

(٨٤) قوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)(٦) وما قبله ، فيه ثلاثة أصول الأول .. لاتزر وازرة وزر أخرى ، الثاني .. ليس له إلا ما سعى ، الثالث .. أن سعيه يرى ويجزاه الجزاء الأوفي وهذه أصول

---

(١) سورة الطلاق – الآية ٣ .
(٢) سورة النساء – الآية ١٢٣ .
(٣) سورة الزلزلة – الآية ٨ .
(٤) سورة الأنفال – الآية ٢٥ .
(٥) سورة المائدة – الآية ١٠١ .
(٦) سورة النجم – الآية ٣٩ .

الإيمان بالوعد والوعيد ، وهي نتيجة الإيمان بالأمر والنهي ، بل نتيجة الجزاء في الدارين ، وقد غلط فيها من غلط ، أخفهم من غلط في الأصل الأول فأنكر أن الميت يعذب ببكاء الحي لتوهمهم أن الميت يحمل أزر النائحة ، وليس كذلك ، بل يصل إليه ألمٌ بنياحتها كما يعذب الإنسان بالرائحة المؤذية ، والأمور المفزعة ، والحكم فيه كسائر ما يعذب به بعد الموت ، مثل مسألة منكر ونكير ، وأعظمهم غلط من غلط في الثالث ، فأحبط حسانته بالكبيرة الواحدة ، وأوسطهم من غلط في الأوسط ، فظنوا أنه لا ينتفع إلا بسعيه ومعلوم أنه ينتفع بالصلاة عليه والدعاء له وغير ذلك وليس مناقضا للآية ، ولا مخصصا وهو شامل لنا ، وإلا لم يكن في قوله أم لم ينبأ .. الخ .. فائدة ، وأيضا فإنه خبر ،والأخبار لا تنسخ وقال ابن عباس في الآية ، وفي رواية الوالبي ، فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة ، ولم يذكر نسخا ، ولو ذكره فمراده نسخ ما يلقى الشيطان في معنى الآية على غير الصواب فبين أنه لم يرد أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره ، وهذا أحسن ما قيل فيها ، وسائر الأقوال ضعيفة جدا ، والله سبحانه يرحم العباد بغير سعيهم أكثر مما يرحمهم بسعيهم .

(٨٥) قوله تعالى : (فلولا كانت قرية آمنت(١)) الآية لولا : هلا ؛ هذا قول أئمة العربية ، وعن ابن عباس : لم يكن ؛ فذكر أنه لم يكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ، وهذا حق ، وقتادة ظن أن المعنى أنه نفعهم دون غيرهم ، وليس كذلك ، بل غيرهم لم يؤمن إيمانا ينفع ، وهؤلاء آمنوا إيمانا ينفع والاستثناء حجة لنا ، لأنه منقطع ، ولو اتصل

(١) سورة يونس – الآية ٩٨ .

لرفع ، وهو كالاستثناء في قوله : (فلولا كان من القرون) (١) .. الآية ومما يبين ذلك أنها تخصيص وذم لمن لم يفعل ، وهو يقتضي أن القرى لو آمنوا نفعهم لكن لم يؤمنوا ، وهذا هو الصواب ، لأنه تعالى قال : (فلما رأوا بأسنا(٢)) .. الآيات فأخبر أن هذه سنته ، وسنته لا تبديل لها ، وقال : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات (٣)) .. الآية ، وهذا نفي عام ، فلو استثنى أحد لكان أمة نبي التوبة وقد وسع لهم في التوبة ما لم يوسع على بني إسرائيل ، وهاتان الأمتان فضلوا على العالمين ، وأيضا فإنه سبحانه عدل لا يفرق بين متماثلات ، وكشف العذاب عنهم حق رأوه أم لا ، فإنه نوعان نوع يتيقن معه الموت ، ونوع لا يتيقن ، ومن تاب كشف عنه هذا العذاب ، والمريض تقبل توبته مالم يغرغر ، وإن كان مرضا مخوفا ، وقوله : (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا (٤)) يبين أن المكشوف عذاب في الدنيا ولو لم يفسر فهو مجمل ، والقرآن فرق بين النوعين فقوم يونس آمنوا إيمانا نفعهم وآمنوا قبل حضور الموت ، وغيرهم إما أن يكون كاذبا في إيمانه كقوم فرعون ، وإما بعد حصول الموت كالذين قال فيهم : (فلم يك ينفعهم إيمانهم (٥)) .. الآية ، وقال تعالى : (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم (٦)) الآيات وفسر الازدياد كفرا بالإصرار

---

(١) سورة هود – الآية ١١٦ .

(٢) سورة غافر – الآية ٨٤ .

(٣) سورة النساء – الآية ١٨ .

(٤) سورة يونس – الآية ٩٨ .

(٥) سورة غافر – الآية ٨٥ .

(٦) سورة آل عمران – الآية ٨٦ .

إلى الموت ، فلم تقبل توبتهم عند الموت لأنه لا يمكن الرجوع عن السيئات ، فينقص أو يذهب فقوله ازدادوا كقوله : استمروا ونظيرها (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا (١)) الآية .. فهنا قال : (لم يكن الله ليغفر لهم) وهناك قال : (لن تقبل توبتهم) فإنه لو تاب من ردته قبلت توبته ، فإذا ارتد ثانية حبط الإيمان الذي غفر به ذلك الكفر فبقى عليه إثم الكفر الأول والثاني فازداد كفرا وأصر إلى الموت لم يغفر له ، وذكر في أولها الذي ازداد كفرا بعد الكفر الأول ، فذكر الكفر المفرد ، والمكرر بينهما ازدياد ، ولما قال هناك (لن تقبل توبتهم) عند الموت ففيه تنبيه على أن الثاني لا يغفر بطريق الأولى ، ولما ذكر في الثاني أنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا كان مفهومه أنهم لو تابوا قبل الازدياد قبلت توبتهم ، وإن كرروا فدل على أن قوله في الأول : (ازدادوا) أراد به الإصرار ، وإلا لكان من كفر وأقام مدة ثم تاب لم تقبل ، وهو خلاف قوله : (إلا الذين تابوا) الآية وخلاف مفهوم آية التكرير فإن قيل ازدياده أن يأتي بما يغلظ ردته كابن أبي سرح وابن خطل قيل هذا من مسائل الاجتهاد ، والكلام فيه في غير هذا الموضع وابن آدم لم يكن ندمه ندم توبة ،وثمود قيل أنهم موعودون بالعذاب إذا عقروها ، وعذاب الدنيا لا يندفع بمثل هذه التوبة فإن أصحاب العجل توبتهم بقتل أنفسهم ، وهم لم يتوبوا إلا خوفا من عذاب الدنيا ، أو يقال توبتهم من جنس توبة آل فرعون إذا رفع عنهم العذاب نكثوا ، فقوله نادمين لا يدل على توبة صادقة ثابتة ، وقوله : (فلما أحسوا بأسنا) الآيات لم يذكر توبة بل اعترافا بالظلم ، والكفار

---

(١) سورة النساء – الآية ١٣٧ .

والعصاة يعرفون أنهم ظالمون مع الأحرار ، ومجرد العلم ليس توبة ، بل رجوع القلب عن الذنب إلى الله وطاعته ، والتوبة عند نزول العذاب لاتكون صادقة ، بل كآل فرعون باللسان من غير عمل ، وقال بعض العلماء فيمن تاب عند السيف : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده » الآيات وهؤلاء كآل فرعون أو هذا العالم رأى معاينة القتل المتحتّم مثل معاينة الملك ، ولكن هذا مثل من قطعت حشوته فأيقن بالموت وهذا تقبل توبته على الصحيح ، وتنفذ وصاياه فإن عمر أوصى في هذه الحال وغايته أنه أيقن بالموت بعد زمن ، وكل أحد موقن بالموت بعد زمن طويل أو قصير ، إلا أن يقال من هؤلاء من يضطرب عقله فلا يمكنه توبة صحيحة ، ومن المذنبين من لايتوب صادقا بعد معاينة عذاب الآخرة فكيف بعذاب الدنيا ؟ قال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار (١)) الآيتين ومن الناس من يقول : أن من الذنوب ما لا يزول بالتوبة ، كالذين أعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، والذين قيل لهم : (لن تخرجوا معي أبدا) وقال الأكثرون أن ذلك لكونهم لم يتوبوا توبة تمحو مثل ذلك فقوله : (إن الله يغفر الذنوب جميعا (٢)) وقال أيوب السختياني وغيره المبتــدع لايرجع ، واضح بحديث الخوارج وهذا الحال من أعقبهم نفاقا في قلوبهم ، ولكن ليس وصف جميعهم فليست البدعة أعظم من الردة ، لكنه مظنة ، كالذين أسلموا منهم ، كان الصحابة يحذرون منهم خوفا من بقايا الردة ، فهذا هو العدل في هذا الموضوع ، وقد تاب خلق كثير من رأى الخوارج والجهمية والرافضة وغيرهم ،

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٢٧ .

(٢) سورة الزمر – الآية ٥٣ .

لكن التوبة من الاعتقاد الذي كثر ملازمة صاحبه له يحتاج إلى ما يقابله من المعرفة والعلم والأدلة ، ومما يناسب هذا قوله : (لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة (١)) .. الآية وقوله : (والله عليم حكيم) يدل على أنه سبحانه يعلم من القلوب مايناسب هذا وهو حكيم في حكمه أنه لا يزال بنيانهم .. الخ ، والذنوب لابد فيها من توبة أو تعذيب ولو بنقص الحسنات ، وكثير من الذنوب يحتاج صاحبها إلى معالجة قلبه ومجاهدة نفسه كحال الثلاثة الذين خلفوا فكيف غيرهم ؟ .

(٨٦) قال رحمه الله هذا تفسير آيات أشكلت حتى لاتوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ ، منها قوله تعالى : (وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون(٢)) .. والآية بعدها أشكلت قراءة الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة ، وليس كذلك لكنها داخلة في خبر أن ، والمعنى إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون وأنا نفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقا بل قد يكون كذبا ، وهو ظاهر الكلام المعروف أنها أن المصدرية ، ولو كان ونقلب الخ . . كلام مبتدأ ألزم أن كل من جاءته آية قلب فؤاده ، وليس كذلك ، بل قد يؤمن كثير منهم ومنها قوله : (وعبد الطاغوت (٣)) الصواب عطفه على قوله « من لعنه الله » فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية ، لكن المتقدمة الفاعل الله مظهرا ومضمرا ، وهذا الفاعل اسم « من عبد الطاغوت » وهو

---

(١) سورة التوبة – الآية ١١٠ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ١٠٩ .

(٣) سورة المائدة – الآية ٦٠ .

الضمير في عبد ، ولم يعد حرف (من) لأن هذه الأفعال صفة لصنف واحد وهم اليهود .

ومنها قوله : « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء(١) » ظن طائفة أن (ما) نافية وهو خطأ بل هي حرف استفهام فإنهم يدعون معه شركاء كما أخبر عنهم في غير موضع ، فالشركاء يوصفون في القرآن بأنهم يدعون ، لا أنهم يتبعون وأنما يتبع الأئمة ، ولهذا قال : (إن يتبعون إلا الظن) ولو أراد النفي لقال إن يتبعون إلا من ليسوا شركاء بل بين أن المشرك لا علم معه ، إن هو إلا الظن والخرص ، كقوله : (قتل الخراصون (٢)) .

ومنها قوله : (بأيكم المفتون (٣)) حار فيها كثير والصواب المأثور عن السلف قال مجاهد الشيطان ، وقال الحسن هم أولى بالشيطان من نبي الله فبين المراد وإن لم يتكلم على اللفظ كعادة السلف في الاختصار مع البلاغة وفهم المعنى ، وقال الضحاك : المجنون فإن من كان به الشيطان ففيه الجنون وعن الحسن الضال ، وذلك أنهم لم يريدوا بالمجنون الذي يخرق ثيابه ويهذي بل لأن النبي خالف أهل العقل في نظرهم ، كما يقال : « ما لفلان عقل » ومثل هذا رموا به أتباع الأنبياء ، كقوله : (إذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) (٤) ومثله في هذه الأمة كثير يسخرون من المؤمنين ، ويرمونهم

(١) سورة يونس – الآية ٦٦ .

(٢) سورة الذاريات – الآية ١٠ .

(٣) سورة ن – الآية ٦ .

(٤) سورة المطففين – الآية ٣٢ .

بالجنون والعظائم التي هم أولى بها منهم ، قال الحسن : لقد رأيت رجالا لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوكم لقالوا هؤلاء شياطين ، ولو رأوا أخياركم لقالوا هؤلاء لا خلاق لهم ولو رأوا شراركم لقالوا هؤلاء قوم لايؤمنون بيوم الحساب وهذا كثير في كلام السلف يصفون أهل زمانهم وماهم عليه ــ مِن مخالفة ــ مَن تقدم ، فما الظن بأهل زماننا ؟! والذين لم يفهموا هذا قالوا الباء زائدة قاله ابن قتيبة وغيره وهذا كثير كقوله : (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر(١)) (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين(٢)) الآيات (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه(٣)) الآية ، ومنها قوله : (لنخرجنك ياشعيب)(٤) .. الآية وما في معناها : التحقيق أن الله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حسن في النسب ، كما في حديث هرقل من نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم إذا كان معروفا بالصدق والأمانة وفعل ما يعرفون وجوبه وترك ما يعرفون قبحه ، قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا(٥)) فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب ، وليس في هذا ما ينفي عن القبول منهم ، ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحا ، وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع ، وإن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر ،

---

(١) سورة القمر – الآية ٢٦ .
(٢) سورة الشعراء – الآية ٢٢٣ .
(٣) سورة هود – الآية ٢٩ .
(٤) سورة الأعراف – الآية ٨٨ .
(٥) سورة الإسراء – الآية ١٥ .

والرسل قبل الوحي لاتعلمه فضلا أن تقر به قال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره(١)) الآية ، وقال : (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) (٢) فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق ، كلاهما عرفوه بالوحي ، وما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم .. بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي ، فإنه سيد ولد آدم ، والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى ، وبالنص والقهر كما كان نوح ، وإبراهيم ؛ ولهذا يضيف الله الأمر إليهما في مثل قوله : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم(٣)) الآية (أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم(٤)) الآية ، وذلك أن نوحاً أول رسول بعث إلى المشركين ، وكان مبدأ شركهم من تعظيم الموتى الصالحين ، وقوم إبراهيم مبدأه من عبادة الكواكب ذاك الشرك الأرضي وهذا السماوي ، ولهذا سدّ صلى الله عليه وسلم ذريعة هذا ، وهذا ، ومنها قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا) (٥) الآية بين سبحانه وصف أهل النجاة والسعادة من الأولين والآخرين وهو الذي يدل عليه اللفظ ، ويعرف به معناه من غير تناقض ، ومناسبته لما قبلها وما بعدها ويعرف به قدرها وهو المعروف عن السلف ويدل عليه ما ذكروه من سبب نزولها فروى ابن أبي حاتم بالأسانيد الثابتة عن سفيان عن أبي نجيح

---

(١) سورة النحل - الآية ٢ .
(٢) سورة غافر - الآية ١٥ .
(٣) سورة الحديد - الآية ٢٦ .
(٤) سورة آل عمران - الآية ٣٣ .
(٥) سورة البقرة - الآية ٦٢ .

عن مجاهد قال سلمان : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكر من عبادتهم فنزلت ولم يذكر فيه أنهم من أهل النار ، كما روى بأسانيد ضعيفة ، وهذا هو الصحيح كما في مسلم : إلا بقـــايا من أهل الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يجيب بما لا علم عنده ، وقد ثبت أنه أثنى على من مات في الفترة ، كزيد بن عمرو وغيره ولم يذكر ابن أبي حاتم في الآية خلافا عن السلف ، لكن ذكر عن ابن عباس ثم أنزل الله (ومن يبتغ غير الإسلام دينا(١)) .. الآية ومراده أن الله بين أنه لا يقبل إلا الإسلام من الأولين والآخرين ، وكثير من السلف يريد بلفظ النسخ رفع ما يظن أن الآية دالة عليه ، فإن من المعلوم بالاضطرار من دين الرسل أن من كذب رسولا واحدا فهو كافر ، فلا يتناوله قوله : « من آمن بالله » الخ .. لكن ظن بعض الناس أن الآية فيمن بعث إليهم محمد خاصة ، فغلطوا ثم افترقوا على أقوال متناقضة ومنها قوله : (من جاء بالحسنة فله خير منها (٢)) الآية ذكر أن المشهور عن السلف أن الحسنة « لا إله إلا الله » وأن السيئة الشرك ، ثم ذكر عن السدي قال : ذلك عند الحساب ألقى بدل كل حسنة عشر سيئات ، فإن بقيت سيئة واحدة فجزاءه النار إلا أن يغفر الله له . قلت تضعيف الحسنة إلى عشر وإلى سبعمائة ثابت في الصحاح ، وأن السيئة مثلها ،وأن الهم بالحسنة : حسنة ، والهم بالسيئة لا يكتب ، فأهل القول الأول قالوه لأن أعمال البر داخلة في التوحيد فإنه عبادة الله بما أمر به ، كما قال : (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن(٣)) .. الآية وقال تعالى :

(١) سورة آل عمران – الآية ٨٥ .

(٢) سورة القصص – الآية ٨٤ .

(٣) سورة البقرة – الآية ١١٢ .

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة (١)) .. الآية فالكلمة الطيبة هي التوحيد ، وهي كالشجرة ، والأعمال ثمارها في كل وقت ، وكذلك السيئة هي العمل لغير الله ، وهذا هو الشرك ، فإن الإنسان حارث همام لا بد له من عمل ، ولا بد له من مقصود يعمل لأجله ، وإن عمل لله ولغيره فهو شرك ، والذنوب من الشرك ، فإنها طاعة للشيطان ، قال : (أني كفرت بما أشركتموني من قبل (٢)) .. الآية و (ألم أعهد إليكم يابني آدم (٣)) الآية وفي الحديث « وشر الشيطان وشركه » لكن إذا كان موحدا وفعل بعض الذنوب نقص توحيده كما قال : « لايزني الزاني » الخ . ومن ليس بمؤمن فليس بمخلص ، وفي الحديث « تعس عبد الدينار » الخ وحديث أبي بكر « قل : اللهم أني أعوذ بك أن أشرك بك شيا وأنا أعلم » الخ لكن لم يعدل بالله غيره فيحبه مثل حب الله بل الله أحب إليه ، وأخوف عنده ، وأرجأ من كل مخلوق ، فقد خاص من الشرك الأكبر ، ومنها قوله : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته(٤)) الآية ذكر أن المشهور أن السيئة الشرك ، وقيل : الكبيرة يموت عليها قاله عكرمة قال مجاهد : هي الذنوب فتحيط بالقلب ، قلت : الصواب ذكر أقوال السلف ، وإن كان فيها ضعيف فالحجة تبين ضعفه ، فلا يعدل عن ذكر أقوالهم لموافقتها قول طائفة من المبتدعة ، وهم ينقلون عن بعض السلف أن هذه

---

(١) سورة إبراهيم – الآية ٢٤ .

(٢) سورة إبراهيم – الآية ٢٢ .

(٣) سورة يس – الآية ٦٠ .

(٤) سورة البقرة – الآية ٨١ .

الآية أخطأ فيها الكاتب كما قيل في غيرها ومن أنكر شيئا من القرآن بعد تواتره استتيب فإن تاب وإلا قتل ، وأما قبل تواتره عنده فلا يستتاب لكن يبين له ، وكذلك الأقوال التي جاءت الأحاديث بخلافها فقهاً وتصوفاً واعتقاداً وغير ذلك ، وقول مجاهد صحيح كما في الحديث الصحيح « إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء » الخ .. والذي يغشى القلب يسمى رينا ، وطبعا ، وختما ، وقفلا ، ونحو ذلك فهذا ما أصر عليه ، وإحاطة الخطيئة أحداقها به ، فلا يمكنه الخروج ، وهذا هو البسل بما كسبت نفسه ، أي تحبس عما فيه نجاتها في الدارين فإن المعاصي قيد وحبس لصاحبها عن الجولان في فضاء التوحيد ، وعن جني ثمار الأعمال الصالحة ومن المنتسبين إلى السنة من يقول : أن صاحب الكبيرة يعذب مطلقا ، والأكثرون على خلافه ، وأن الله سبحانه يزن الحسنات والسيئات ، وعلى هذا دل الكتاب والسنة ، وهو معنى الوزن ، لكن تفسير السيئة بالشرك هو الأظهر ، لأنه سبحانه غاير بين المكسوب والمحيط ، فلو كان واحدا لم يغاير ، والمشرك له خطايا غير الشرك أحاطت به ، لأنه لم يتب منها ، وأيضا قوله سيئة نكرة ، وليس المراد جنس السيئات بالاتفاق ، وأيضا لفظ السيئة قد جاء في غير موضع مراد به الشرك ، وقوله : سيئته أي حال سيئته ، ومكان سيئته ونحو ذلك كما في قوله : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة (١)) أي حالا حسنة تعم الخير كله ، وهذا اللفظ يكون صفة ، وقد ينقل من الوصفية إلى الاسمية ويستعمل لازماً أو متعدياً يقال ساء هذا الأمر ، أي قبح ويقال ساءني هذا ، قال

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٠١ .

ابن عباس في قوله ـ « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها (١) » : عملوا الشرك ، لأنه وصفهم بهذا فقط ، ولو آمنوا لكان لهم حسنات وكذا لما قال : « كسب سيئة » لم يذكر حسنة ، وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى(٢)) أي فعلوا الحسن وهو ما أمروا به كذلك السيئة تتناول المحظور فيدخل فيها الشرك .

(٨٧) تواترت الأحاديث بخروج من قال : لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة ، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها ، وتواترت أنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله ، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص ، واليقين ، ويموت عليها ، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال ، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت ، وغالبهم إنما يقولها تقليدا أو عادة ، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء ، كما في الحديث سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم ، وهم أقرب الناس من قوله : (إنا وجدنا آباءنا على أمة (٣)) الآية فلا منافاة بين الأحاديث ، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها امتنع أن ترجح سيئاته ، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر فهو غير مصر على ذنب ، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها

---

(١) سورة يونس - الآية ٢٧ .

(٢) سورة يونس - الآية ٢٦ .

(٣) سورة الزخرف - الآية ٢٢ .

شيء من السيئات فترجح بها الحسنات ، كما في حديث البطاقة ، وهذا خلاف من رجحت سيئاته ، لأن معه الشرك الأصغر وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فترجح سيئاته ، فإن السيئات تضعف الإيمان ، واليقين ، فيضعف قول لا إله إلا الله ، فيمتنع الإخلاص في القلب ، فيصير المتكلم بها كالهادي ، أو النائم ، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة فالذي قالها بيقين وصدق تام أما ألا يكون مصراً على سيئة ، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناتهم ، والذين دخلوا النار فاتهم أحد الشرطين .

(٨٨) سورة تبت نزلت في هذا وامرأته ، وهم من أشرف بطنين في قريش وهو عم علي بن أبي طالب ، وهي عمة معاوية اللذان تداولا الخلافة في الأمة هذان البطنان بنوا أمية ، وبنوا هاشم ، وأما أبو بكر وعمر فمن قبيلتين أبعد عنه صلى الله عليه وسلم ، واتفق في عهدهما ما لم يتفق بعدهما ، وليس في القرآن ذم من كفر به صلى الله عليه وسلم باسمه إلا هـــذا وامرأته ، ففيه أن الأنساب لا عبرة بها بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم ، كما قال : (يا نساء النبي من يأت منكن (١)) .. الآية قال النحاس: تبت يدا دعاء عليه ، وتب خبر ، وفي قراءة عبد الله وقد تب ، وقوله : « وما كسب » أي ولده فإن قوله وما كسب يتناوله ، كما في الحديث « ولده من كسبه » واستدل بها على جواز الأكل من مال الولد ، ثم أخبر أنه سيصلى أخبر بزوال الخير وحصول الشر ، والصلي الدخول والاحتراق جميعا ، وقوله حمالة الحطب إن كان

(١) الأحزاب – الآية ٣٠ .

مثلا للنميمة ، لأنها تضرم الشر ، فيكون حطب القلوب وقد يقال ذنبها أعظم ، وحمل النميمة لايوصف بالحبل في الجيد ، وإن كان وصفا لحالها في الآخرة ، كما وصف بعلها هو يصلى وهي تحمل الحطب عليه كما أعانته على الكفر ، فيكون من حشر الأزواج ، وفيه عبرة لكل متعاونين على الإثم أو على إثم ما أو عدوان ما ويكون القرآن قد عم الأقسام الممكنة في الزوجين وهي الأربعة كإبراهيم وامرأته ، وأما هذا وامرأته ، وأما فرعون وامرأته ، وإما نوح ولوط ، ويستقيم أن يفسر حمل الحطب بالنميمة بحمل الوقود في الآخرة كقوله : « من كان له لسانان » الخ .

(٨٩) قوله عز وجل : (قل نزله روح القدس من ربك(١)) الآيتين لفظ الإنزال في القرآن يرد مقيدا بأنه منه كالقرآن ، وبالإنزال من السماء ، ويراد به العلو كالمطر ، ومطلقا فلا يختص بنوع بل يتناول إنزال الحديد من الجبال ، والإنزال من ظهور الحيوان ، وغير ذلك فقوله : (نزله روح القدس من ربك بيان لنزول جبريل به من الله)، كقوله : (نزل به الروح الأمين) (٢) أي أنه مؤتمن لا يزيد ولا ينقص فإن الخائن قد يفتري الرسالة ، وفيها دلالة على أمور منها : بطلان قول من زعم خلقه في جسم ، كالجهمية من المعتزلة ، وغيرهم فإن السلف يسمون من قال بخلقه ، ونفى الصفات والرؤية جهميا ، فإن جهما أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في ذلك ، فله مزية المبالغة ، والابتداء بكثرة إظهاره وإن كان جعد سبقه إلى بعض ذلك ، لكن المعتزلة وإن وافقوه في البعض

---

(١) سورة النحل – الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الشعراء – الآية ١٩٥ .

فهم يخالفونه في مثـــل مسائل .. الإيمان ، والقدر ، وبعض الصفات ، وجهم يقول أن الله لا يتكلم ، أو يتكلم مجاز وهم يقولون يتكلم حقيقة ولكن قولهم في المعنى قوله ، وهو ينفي الأسماء كالباطنية والفلاسفة .

ومنها بطلان قول من زعم أنه فاض من العقل الفعال ، أو غيره ، وهذا أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله .

ومنها أبطال قول الأشعرية أن كلام الله معنى وهذا العربي خلق ليدل عليه سواء قالوا خلق في بعض الأجسام ؛ أو الهمه جبريل أو أخذه من اللوح ، فإن هذا لا بد له من متكلم تكلم به أولا وهذا يوافق قول : أنه مخلوق ، لكن يفارقه من وجهين أحدهما : أن أولئك يقولون المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون أنه كلام مجاز ، وهذا أشر من قول المعتزلة ، بل هو قول الجمهية المحضة لكن المعتزلة يوافقونهم في المعنى الثاني أنهم يقولون لله كلام قائم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم بذاته ، فالكلامية خير منهم في الظاهر ، لكن في الحقيقة لم يثبتوا كلاما له غير المخلوق ، والمقصود أن الآية تبطل هذا ، والقرآن اسم للعربي ، لقوله : (فإذا قرأت القرآن) وأيضا فقوله : (نزله) عائد إلى قوله : (الله أعلم بما ينزل) فالذي نزله الله هو الذي نزله روح القدس ، وأيضا قال : (ولقد نعلم أنهم يقولون(١)) .. الآية وهم يقولون أنما يعلمه هذا القرآن العربي بشر ، لقوله : (لسان الذي يلحدون إليه) الخ . فعلم أن محمداً لم يؤلف نظمه بل سمعه من روح القدس ، وروح القدس نزل به من الله ، فعلم أنه سمعه منه لم يؤلفه هو ، ونظيرها

(١) سورة النحل – الآية ١٠٣ .

قوله : (هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا (١)) والكتاب اسم للقرآن بالضرورة ، والاتفاق فإنهم أو بعضهم يفرقون بين كتاب الله وكلامه ، ولفظ الكتاب يراد به المكتوب فيه ، فيكون هو الكلام ويراد به ما يكتب فيه ، كقوله : (في كتاب مكنون (٢)) وقوله : ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا (٣)) وقوله : (يعلمون أنه منزل من ربك (٤)) أخبار مستشهد بهم ، فمن لم يقر به منا فهم خير منه من هذا الوجه ، وهذا لاينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره أنه أنزل في ليلة القدر إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح قبل نزوله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبرائيل أو بعده ، فإذا أنزله جملة إلى بيت العزة فقد كتبه كله قبل أن ينزله ، والله يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون لو كان كيف يكون ، وهو قد كتب المقادير وأعمال العباد قبل أن يعلموها ثم يأمر بكتابتها بعد أن يعلموها فيقابل بين الكتابة المتقدمة والمتأخرة فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره ، فإذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف لا يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم ؟ ومن قال إن جبرائيل أخذه عن الكتاب لم يسمعه من الله فهو باطل من وجوه :

منها أنه سبحانه كتب التوراة لموسى بيده ، فبنوا إسرائيل أخذوا كلامه من الكتاب الذي كتبه ، ومحمد عن جبرائيل عن الكتاب فهم أعلى

---

(١) سورة الأنعام - الآية ١١٤ .
(٢) سورة الواقعة - الآية ٧٨ .
(٣) سورة الإسراء - الآية ١٤ .
(٤) سورة الأنعام - الآية ١١٤ .

بدرجة ومن قال إنه ألقى إلى جبرائيل معاني وعبر بالعربي فمعناه أنه ألهمه إلهاما ، وهذا يكون لآحاد المؤمنين كقوله : (وإذ أوحيت إلى الحواريين(١)) (وأوحينا إلى أم موسى(٢)) فيكون هذا أعلى من أخذ محمد ، وأيضا فإنه سبحانه قال : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح (٣)) إلى قوله وكلم الله موسى تكليما وهذا يدل على أمور : على أنه يكلم العبد تكليما زائداً على الوحي الذي هو قسيم التكليم الخاص ، فإن لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى عام وخاص ، فالتكليم العام هو المقسوم في قوله : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيـــا(٤)) الآية فالتكليم المطلق قسيم الوحي الخاص ، لا قسما منه ، وكذلك الوحي يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص ، كقوله : (فاستمع لما يوحى(٥)) ويكون قسيماً له كما في الشورى وهذا يبطل قول أنه معنى واحد قائم بالذات فإنه لا فرق بين العام وما لموسى وفرق سبحانه في الشورى بين الإيحاء وبين التكليم من وراء حجاب وبين إرسال رسول فيوحي بإذنه ما يشاء .

(٩٠) ثبت أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ، وأن يجمع بين المرأة وعمتها ، وخالتها ، فقال طائفة : هذا نسخ للقرآن ، فإن أرادوا النسخ العام الذي هو تقييد المطلق فصحيح ، وإن أرادوا النسخ الذي هو رفع الحكم فضعيف ، فإنه لم يثبت أن الله أراد بقوله : (وأحل لكم ما وراء

---

(١) سورة المائدة – الآية ١١١ .
(٢) سورة القصص – الآية ٧ .
(٣) سورة النساء – الآية ١٦٤ .
(٤) سورة الشورى – الآية ٥١ .
(٥) سورة طه – الآية ١٣ .

ذلكم (١)) تحليل ذلك ، فإن قيل هو عام بين الدليل المخصص أن الله لم يرد تلك الصور كقوله : (الزانية والزاني(٢)) الآية لم يرد به الأمة ، وقوله : (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (٣)) .. لم يرد الحامل ولا التي لم يدخل بها ، ولم يثبت أن السنة نسخت القرآن ، قال تعالى : (ما ننسخ من آية (٤)) .. الآية فالقرآن لا ينسخه إلا مثله ، وقال كثير : السنة خصت القرآن ، وهم أكثر ، وأفضل من أولئك ، وقد يقال السنة فسرت القرآن ولهذا في حديث معاذ وكلام عمر وابن مسعود وغيرهما أن يحكم بكتاب الله فإن لم يوجد فبسنة رسول الله فلو كان في السنة ما يقدم على دلالة القرآن لم يكن كذلك ، بل السنة تفسر المراد منه ، وذلك أن قوله : (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة (٥)) كما يحتمل الإختصاص فقد يحتمل التنبيه على ما يحرم من النسب ، وكذلك الجمع بين الأختين ، وذلك أن نكاح الأخت والجمع بين الأختين شرع لبعض الأنبياء فإن يعقوب جمع بينهما ، وآدم كان يزوج ذكر هذا البطن بأنثى الآخر ، ولم ينقل أنه زوج أحداً بعمته ، أو خالته ، لأنها بمنزلة الأم ، والعمة كالعم والعم والد لقوله : (قالوا نعبد إلهك(٦)) الآية فنكاح العمة والخالة أفحش من نكاح الأخت ، وكذلك الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أقرب إلى القطيعة

---

(١) سورة النساء – الآية ٢٤ .

(٢) سورة النور – الآية ٢ .

(٣) سورة البقرة – الآية ٢٢٨ .

(٤) سورة البقرة – الآية ١٠٦ .

(٥) سورة النساء – الآية ٢٣ .

(٦) سورة البقرة – الآية ١٣٣ .

من الجمع بين الأختين ، فإنهما يتماثلان ، وكذلك نكاح العمة والخالة من الرضاع أفحش من نكاح الأخت ، والقرآن دل على تحريم نكاح الأم والأخت والبنت أيضا من وجهين من جهة أن الأم لاتنكح إبنها من الطرفين ليس كالإرث قد يكون من أحد الجهتين ، فالمرأة يرثها عمها وابن أخيها ولا ترثهما ، وإذا لم يكن لها أن تنكح ولدها فكذلك الأب .

الثاني : أن أخواتكم من الرضاعة يتناول الأخت من الجهات،وصحت الأحاديث بتحريم لبن الفحل ، فتبين أن قوله : (وأخواتكم من الرضاعة) يتناول أخته من أبيه فإذا حرمت عليه فهي على أبيه أولى ، فذكر سبحانه الأخت ينبه بها على غيرها ، ويتبين أن هذا ليس مختصا بالأم كتحريم أمهات المؤمنين ، فلو ذكرت الأم وحدها لظن هذا ، فلما ذكرت الأخت دل على تعديه لأقارب الأم ، وأقارب الأب أيضا حيث كانت الأخت بالأم تارة ، وبالأب أخرى ، ولما ذكر التحريم بالولادة وهو الأصل استوفي الكلام ، فلما ذكر ما هو فرع عليه وشبيه به اختصر الكلام ، فذكر الأم والأخت لما ذكرنا ، ودلالة القرآن على هذا لم نستقل بفهمها بل السنة بينت ذلك ، وهى لا تخالف القرآن ، بل توافقه ، فكون قوله : (وأحل لكم ماوراء ذلكم) من الجوامع الذى لا تخصيص فيه أحسن وأدل على عظمة الكتاب من التخصيص ، ولفظ الورى بمنزلة الخلق ، وهو يشعر بالتأخر والبعد ، فيكون أصله دون ما ذكر وهو متأخر عنه ، فلم يكن ما ذكرنا داخلا فيما وراء ذلكم لما ذكرنا من أنه أفحش ، وهذا عرف ببيان الرسول ثم تفطن له من تفطن كما في نظائره إذ كان وجوه دلالات القرآن يخفى كثير منها على كثير من الناس لكن السنة بينته ، والقرآن

هو الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، وقد جاء عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما أنهم إذا سمعوا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم طلبوه من القرآن ، قال مسروق ، ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن لكن علمنا قصر عنه ،وقال الشعبي : ما ابتدع قوم بدعة إلا وفي القرآن بيانها ، وكذلك أحاديث المسح لا تخالف القرآن بل تفسره وذلك أنه أمر القائم إلى الصلاة بما ذكر ، ولو قدمه قبل القيام جاز ، ذكره أحمد إجماعا ، فيجب الوضوء عند القيام على المحدث ولو لبس محدثا لم يجز المسح إجماعا ، واللابس على طهارة قد غسل رجليه وأتى بالمأمور به في القرآن ، فإذا أحدث فقد بينت السنة أن مسحه على الخف الملبوس على طهارة يجزيه ، فأجزأته الطهارة المتقدمة مع هذا المسح ، وهذا كما بينت السنة أن المستحاضة ليس خروج الدم منها حدثا ، وكذلك من به سلس البول والمذي ، فقد فرق في جنس هذا ؛ تارة ينقض وتارة لا إذا كان فيه عسر ، وذكره لفظ المسح في الرجلين يشعر بتخفيف الأمر فيهما ، لكن التقييد بالكعبين دل على أنه أراد الغسل إذا كانا ظاهرين ومن نعم الله على عباده أن هذه المواضع التي تظهر فيها المخالفة لبعض الناس قد تواترت فيها السنة بما جاءت فيه ، فلم يمكن أحد أن يترك السنة إلا من لا يعرفها ، وأما المواضع التى تظن فيها المخالفة وهي غلط ، كالحكم بشاهد ويمين فتلك لما لم تكن متواترة لم يكن ظاهر القرآن مخالفا للسنة بل أنكر قول من زعم المخالفة ، وهذا يحقق وجوب العمل بما ثبت من السنة ، فإنه لا يخالف الكتاب بل يفسره .

(٩١) أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد مقت أهل الأرض إلا بقايا من أهل الكتاب وماتوا أو أكثرهم قبل مبعثه ، والناس إذ ذاك

أحد رجلين إما كتابي معتصم بكتاب مبدل ، أو مبدل منسوخ ودين دارس بعضه مجهول ، وبعضه متروك وإما أمي مقبل على عبادة ما استحسنه من نجم أو قبر أو تمثال أو وثن أو غير ذلك والناس في مقالات يظنونها علما ، وهي جهل ، وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد ، فهدى الله الناس بما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن الوصف ، ثم أنه بعثه بدين الإسلام ، وهو الصراط المستقيم ، وفرض علينا أن نسأله هدايته في كل يوم وليلة في صلاتنا ، ووصفه بأنه صراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين ثم ذكر حديث عدي ابن حاتم وفيه فإن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى .. ضالون ، فقلت فإني حنيف مسلم ، ودل القرآن على معنى هذا ووصف اليهود بالغضب والنصارى بالضلال له أسباب ظاهرة وباطنة : جماعها أن كفر اليهود من عدم العمل والنصارى من عدم العلم ، ومع أن الله حذرنا سبيلهم فقضى قضاء نافذا أن هذه الأمة يكون فيها مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب ولفارس والروم وهم الأعاجم ، وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء ، فكذلك أمر العبد بدوام الدعاء بالاستقـــامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلا ، والصراط المستقيم أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وأمور ظاهرة قد تكون عبادات وقد تكون عادات في الطعام والشراب والاجتماع والافتراق وغير ذلك .

(٩٢) قد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الإرادة والعبادة ، حتى قلبوا حقيقته ، فطائفة ظنت أنه نفي الصفات ، وسمو أنفسهم أهل التوحيد ، وطائفة ظنت أنه ليس إلا الإقرار

بتوحيد الربوبية وأطالوا الكلام في تقرير هذا الموضع ، أما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة واستقلال كل من الفاعلين بالفعل محال ، وأما بغير ذلك ، ولم يعلموا أن مشركي العرب مقرون بهذا التوحيد ، وهذا من التوحيد الواجب لكن لا يخلص من الشرك الذين هو أكبر الكبائر ، بل لابد أن يخلص لله الدين فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه ، وكونه يستحق ذلك مستلزما لصفات الكمال فلا يستحق أن يكون معبودا محبوبا لذاته إلا هو ، فكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (١)) ، وقد بينا أن هذه الآية لم يقصد بها دليل التمانع فإنه يمنع وجود المفعول لإفساده بعد وجوده ثم أن طائفة ممن تكلم في تحقيق التوحيد ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية ، والفناء فيه هو النهاية ، فآل بهم إلى تعطيل الأمر والنهي ، ولم يفرقوا بين الكلمات الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر وبين الكلمات الدينية التي اختص بها من عبده وأطاعه ، ثم أن أولئك الذين أدخلوا فيه نفي الصفات(٢) ، وهؤلاء الذين أخرجوا عنه متابعة الأمر إذا حققوا .. القولين أفضى بهم إلى الوحدة ، والاتحاد والحلول ، ومن أحكم الأصلين في الصفات وفي الخلق والأمر فميز بين المأمور وغيره مع شمول الخلق لهما وأثبت الصفات الموجبة لمباينة المخلوقات أثبت توحيد الرسل ، كما نبه عليه في سورتي الإخلاص ، ف (قل هو الله أحد) فيها التوحيد العلمي الذي يدل على الأسماء والصفات فيتميز

(١) سورة الأنبياء — الآية ٢٢ .

(٢) هم المعتزلة ومن معهم من طوائف البدع فإن حقيقة التوحيد عندهم نفي الصفات والقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة وهذا أحد أصولهم الخمسة .

مثبتوا الرب الخالق الأحد الصمد من المعطلين (وقل يا أيها الكافرون) فيها التوحيد العلمي فيتميز من يعبد الله من غيره ، وأن أقر كل منهما بأن الله رب كل شيء ومليكه ، ويتميز المخلصون ممن أشرك به ، أو نظر إلى القدر الشامل فسوى بين المؤمن والكافر ، والله سبحانه له حقوق لا يشرك فيها غيره ، وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم ، وللمؤمنين على المؤمنين حقوق مشتركة ، قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (١)) ويدخل في ذلك ألا يخاف إلا إياه كما قال : (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (٢)) فجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك قوله : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله (٣)) فجعل التحسب بالله وحده ، وجعل الرغبة لله وحده ، ولم يأمر قط مخلوقا أن يسأل مخلوقا ، وإن أباحه في بعض المواضع ، كما في صفة الذين لا يحاسبون أنهم لا يطلبون غيرهم أن يرقيهم والقرآن كله يحقق هذا الأصل ، وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحقيقه ، ونفى الشرك بكل وجه حتى في الألفاظ كما قال : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد) والعبادات المشروعة كلها تتضمن إخلاص الدين لله تحقيقا لقوله : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (٤)) فالصلاة لله وحده ، والصدقة لله وحده ، والصيام لله وحده ،

---

(١) سورة النحل – الآية ٣٦ .

(٢) سورة النور – الآية ٥٢ .

(٣) سورة التوبة – الآية ٥٩ .

(٤) سورة البينة – الآية ٥ .

والحج لله وحده ، وإلى بيت الله وحده ، فالمقصود من الحج عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها ، ولهذا كان الحج شعار الحنيفية حتى قال طائفـــة من السلف حنفاء لله ، أي حجاجا وقوله (ومن يبتغ غير الإسلام دينا (١)) عام في الأولين والآخرين قال تعالى : (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن(٢)) .. الآية فسرا سلام الوجه بما يقتضي إخلاص القصد لله ، وهو محسن بالعمل الصالح المأمور به ، وهذان الأصلان جماع الدين ، لا يعبد إلا الله ولا يعبد إلا بما شرعه ولفظ الإسلام الاستسلام ، والانقياد ويتضمن الإخلاص قوله : (رجلا سلما لرجل) فمن استسلم لله ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم فهو مستكبر فاليهود موصوفون بالـــكبر والنصارى بالشرك .

(٩٣) الشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته في كل ما أمر به ، فيثبت العبد ما أثبته الرسول لربه من الأسماء والصفات ، وينفي ما نفى عنه من مماثلة المخلوقات ، فلا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، ولهذا ذم الله المشركين في الأنعام والأعراف وغيرهما لكونهم حرموا مالم يحرم الله ، وشرعوا ديناً لم يأذن به ، كما في قوله : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام(٣)) إلى آخر السورة ، وما ذكر في صدر سورة الأعراف ، وقال تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه(٤)) فمن دعى إلى غير الله فقد أشرك ، ومن

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٨٥ .
(٢) سورة البقرة – الآية ١١٢ .
(٣) سورة الأنعام – الآية ١٣٥ .
(٤) سورة الأحزاب – الآية ٤٥-٤٦ .

دعى إليه بغير إذنه فقد ابتدع ، والشرك بدعة ، والمبتدع يؤول إلى الشرك ، ولهذا لم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك كما قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا (١)) .. الآية وقال : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون (٢)) فقرن بعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر أنهم لا يحرمون ما حرمه الرسول ، ولا يدينون دين الحق .

(٩٤) أصل دين المسلمين أنه لا يخص بقعة بقصد العبادة إلا المساجد وأما ما عليه المشركون وأهل الكتاب من تعظيم بقاع غيرها كحراء ونحوه هو مما جاء الإسلام بإزالته ، ثم المساجد تشترك في العبادة إلا ما خص به المسجد الحرام من الطواف ونحوه ، فإن خصائصه لا يشركه فيها مسجد ، كما أنه لا يصلى إلى غيره ، وإذا كان مثل مقام نبينا في مثل غار حراء الذي ابتديء فيه بإنزال القرآن لا يشرع قصده فكيف بغيره فمن جعل شيئا من ذلك قربة فقد ابتدع غير سبيله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله ، ولهذا جاء الإعتكاف الشرعي في المساجد بدل ما كان يفعل قبل الإسلام من المجاورة بحراء ونحوه فأما العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غيره أو مقامه فليس من دين المسلمين ، وأما المسجد الأقصى فهو أحد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، ولا يشرع السفر إلى غيرها ، ولو نذره لم يجب بالنذر باتفاق الأئمة وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قباء ، وكان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئاً من تلك الأماكن إلا قباء خاصة، وثبت أن ابن‌عمر إذا أتى بيت المقدس دخل وصلى

---

(١) سورة التوبة — الآية ٣١ .

(٢) سورة التوبة — الآية ٢٩ .

فيه ولا يقرب الصخرة وكذلك نقل عن غير واحد من السلف كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والثوري وغيرهم ، وذكر بعض من صنف من المناسك استحباب زيارة مساجد مكة ، وقد كتبت دعاء في منسك كتبته في أول عمري ثم تبين لي أن هذا كله من البدع .

(٩٥) كل أمر يكون المقتضى لفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون موجودا لو كان مصلحة ولم يفعله علم أنه ليس بمصلحة كالآذان في العيدين فإن هذا لما أحدثه بعض الأمراء أنكره المسلمون ، لأنه بدعة ، فلو لم يكن كونه بدعة دليلا على كراهته ، وإلا لقيل هذا ذكر لله ودعاء إلى عبادته ، فيدخل في عموم قوله : ﴿ واذكروا الله كثيرا[١] ﴾ وقوله: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعى إلى الله وعمل صالحا ﴾[٢] والاستدلال بهذا أقوى من الاستدلال على حسن أكثر البدع ، بل يقال ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، كما أن فعله سنة ، فاما أمر بالآذان في الجمعة ، وتركه في العيدين ، فذلك كالزيادة في عدد الركعات المكتوبة ولا يقال هذا زيادة عمل صالح بل يقال كل بدعة ضلالة ، ومثل ما حدثت الحاجة إليه بتفريط من الناس تقديم الخطبة في العيد ، فإنه لما فعله بعض الأمراء أنكره المسلمون ، لأنه بدعة ، فاعتذر من أحدثه بأن الناس ينفضون قبل سماع الخطبة فيقال سببه تفريطك فإن الخطبة مقصدها التذكير وتعليم الدين ، وأنت قصدك إقامة رياستك ، وإن قصدت صلاحهم لم تعلمهم ما ينفعهم ، وأما ما تركه من المصالح لأجل مفسدة قد زالت كقيام رمضان جماعة

(١) سورة الجمعة – الآية ١٠ .

(٢) سورة السجدة – الآية ٣٣ .

لما خاف يفرض ، أو جمع القرآن لما زال المانع وهو أن الوحي لايزال ينزل ، ويغير الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، فلو جمع في مصحف لتعذر أو تعسر تغييره كل وقت ، فلما استقرت الشريعة ، وأمن من زيادة الإيجاب والتحريم ، والمقتضى للعمل قائم بسنته ، فعمل المسلمون بمقتضى سنته ، وصار كنفي عمر أهل الكتاب من الجزيرة ، وكذلك قوله : (خذوا العطا ما كان عطا فإذا كان عوضا عن دين أحدكم فلا تأخذوه) فلما صار الأمراء يعطونه لمن أعانهم على الهوى وكان الإمتناع منه اتباعا للسنة ، وإن كان محدثا وكذلك قتال مانعي الزكاة ، ومن فهم هذا المعنى انحل عنه كثير من شبه البدع فإنه قد روي عنه صلى لله عليه وسلم ما أحدث قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنّة مثلها وقد أشرت إلى هذا فيما تقدم ، وبينت أن الشرائع أحد أغذية القلوب ، فمتى اغتذت بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن ، وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعا من السياسات من أخذ أموال لا تجوز وعقوبات لا تجوز لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلا فلو قبضوا ما يسوغ قبضه ، ووضعوه موضعه لإقامة دين الله وأقاموا الحدود على القريب والبعيد لما احتاجوا إلى المكوس ، والعقوبات الجائرة ، ولا إلى من يحفظهم من العبيد والمستعبدين ، كما كان الخلفاء وغيرهم من أمراء بعض الأقاليم ، وكذلك العلماء إذا أقاموا كتاب الله وفهموا ما فيه وأقاموا الحكمة التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدوا في ذلك ما يحيط بعلمه الناس ، ولميزوا بين المحق والمبطل بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة ، ولا استغنوا عما أحدث المبتدعون من الحجج التي يزعمون أنهم ينصرون بها أصل الدين، وعن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يتممون به فروع الدين .

(٩٦) أكثر الناس لايدرك فساد البدع إذا كانت من جنس العبادات ، أو من جنس الأعياد ، بل أولو الألباب يدركون بعض ما فيها من الفساد ، والواجب اتباع ما أنزل الله وإن لم تدرك الحكمة ، فمن أحدث عملا في يوم كصوم أول خميس من رجب أو صلاة أول ليلة جمعة منه ، وما يتبعه من إحداث زينة ، وتوسيع في نفقة ، فلا بد أن يتبع هذا اعتقاد في القلب أن العمل في ذلك له مزية ، ولولاه لما انبعث القلب إلى ذلك فإن الترجيح من غير مرجح ممتنع ، وهذا المعنى قد شهد له الشرع بالاعتبار في هذا الحكم ، فهو من المعاني المناسبة المؤثرة ، فإن مجرد المناسبة مع الاقتران يدل على العلة عند من يقول بالمناسب الغريب ، وهم كثير من الفقهاء ، ومن لايقول إلا بالمؤثر يكتفي بمجرد المناسبة حتى يدل الشرع أن مثل ذلك الوصف مؤثر في هذا الحكم ، وهو قول كثير منهم ، وهؤلاء إذا رأوا الحكم المنصوص فيه معنى قد أثر في مثل ذلك الحكم في موضع آخر عللوا المنصوص به وقال كثير منهم إن الحكم المنصوص لا يعلل إلا بوصف دل الشرع على أنه معلل به وتلخيص الفرق أنا إذا رأينا الشارع دل على العلة كقوله إنها من الطوافين .. الخ . فهذه يعمل بموجبها باتفاق الطوائف الثلاثة ، فلو قال لا ألبس هذا الثوب الذي تمن عليّ به حنث بما كانت منته مثله ، وهو ثمنه ، وأما إذا رأينا الشارع قد حكم بحكم لم يعلله لكن علل نظيره أو نوعه مثل أنه جوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة البكر بلا إذنها ، وقد رأيناه جوز له الاستيلاء على مالها لكونها صغيرة ، فهل علة ولاية النكاح الصغر أم قد تكون أخرى وهي البكارة مثلا ، فهذه هي المؤثرة أي قد بين تأثيرها في حكم ، وسكت عنه في في آخر نظيره ، فالفريقان الأولان يقولان بها وهو في الحقيقة إثبات لها

بالقياس والفريق الثالث لا يقول بها إلا بدلالة خاصة لجواز أن يكون النوع الواحد له علل مختلفة ، ومنه نهيه عن البيع على بيع أخيه ، وسومه على سومة ، فيعلل بفساد ذات البين كما علل به في قوله : (لا تنكح المرأة على عمتها) وأما إذا رأيناه حكم بحكم فيه وصف مناسب لم يذكره ولا علل به نظيره فهذا الوصف المناسب الغريب فجوز اتباعه الفريق الأول خاصة ، وهو إدراك لعلة الشارع بالعقل ، والذي قبله بالقياس والأول بكلامه ، ومع هذا فقد تعلم على الحكم المعين بالسبر وبدلالات أخرى فإذا تبين هذا فمسألتنا من باب العلة المنصوصة في موضع المؤثرة في موضع آخر ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص أوقات بصلاة أو صيام وأباح ذلك على غير التخصيص كقيام ليلة الجمعة وصيام نهارها وتقدم رمضان ، فوجه الدلالة أن المفسدة تنشأ من تخصيص مالا خصيصة له ، إذ لا ينبعث التخصيص إلا عن اعتقاد الإختصاص ، ومن قال إذا أخصها بلا اعتقاد فلا بد أن يكون الباعث إما موافقة غيره وإما اتباع العادة وإما خوف اللوم ، فهذا العمل مستلزم إما لاعتقاد هو ضلال ، أو عمل دين لغير الله ثم الإعتقاد يتبعه تعظيم في القلب ولو خواطر متقابلة فمن حيث اعتقاد أنه بدعة يقتضي عدم التعظيم ، ومن شعوره بما روي فيه أو فعل بعض الناس له ، أو بما يظهر له فيه من المنفعة يقوم بقلبه عظمته ، فعلمت أن فعل البدع يناقض الإعتقادات الواجبة ، وينازع الرسل ما جاءوا به ، وأنها تورث في القلب نفاقا ، ولو كان خفيفا مثل من عظم أبا جهل ، وابن أبي لرياسته أو إحسانه ، فإذا ذمه الرسول أو أمر بإهانته فمن لم يخلص إيمانه وإلا بقي في قلبه منازعة ولهذا قيل البدع مشتقة من الكفر ، ومنها أن البدع تنقص الرغبة في السنن فيفعلها كأنها عادة ووظيفة ، فيفوت ما فيها من المغفرة والرحمة والخشوع ،

وإجابة الدعاء وغير ذلك ، ومنها جهالة الناس بدين المرسلين ، وانتشار زرع الجاهلية ومنها مسارعة الطبع إلى الانحلال من ربقة الإتباع لأن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية بحسب الإمكان ، كما قال أبو عثمان ما ترك أحد سنة إلا تكبر في نفسه .

(٩٧) العيد يكون اسما لنفس المكان ، ولنفس الزمان ، ولنفس الاجتماع ، وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء ، أما الزمان فثلاثة أنواع ويدخل فيها بدع أعياد المكان والأفعال .

أحدها يوم لم تعظمه الشريعة أصلا ، ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه ، مثل ليلة الرغايب ..

الثاني ما جرى فيه حادثة كيوم الغدير ، ولم يكن في السلف لا أهل البيت ولا غيرهم من يعظمه إذ الأعياد من الشرائع فيجب فيها الاتباع ، وكذلك ما أحـــدث في المولد إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى ، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويصحب هذه الأعمال من الريا والكبر والإشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها كما في الحديث ، (ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم) ومن الأعمال ما فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع وفيه شر من بدعة وغيرها فيكون ذلك العمل شرا بالنسبة إلى الإعراض عن الدين بالكليه كحال المنافقين والفاسقين ، وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة ، فعليك هنا بأدبين أحدهما الحرص على التمسك بالسنة في خاصتك ومن أطاعك ، واعرف المعروف ، وانكر المنكر ، الثاني الدعوة إلى السنة بحسب الإمكان فإذا رأيت من يعمل هذا ولايتركه إلا إلى شر منه فلاتدع إلى ترك منكر بفعل ماهو أنكر منه أو

بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه ، فإذا كان الفاعلون للبدع معيبون ، فالتاركون للسنن كذلك ، فإن منها ما يكون واجبا مطلقا ، ومنها مقيدا كالنافلة ، فإنها لا تجب ، ولكن من أراد أن يصليها وجب عليه الإتيان بأركانها وكما يجب على من أتى الذنوب من الكفارات ، وما يجب على من كان إماما أو مفتيا من الحقوق وعامتها يجب تعليمها ، والحض عليها ، والدعاء إليها ، وكثير من المنكرين للبدع تجدهم مقصرين في فعل السنن فلا ينهي عن منكر إلا ويؤمر بمعروف يغني عنه كما يؤمر بعبادة الله عن عبادة ما سواه ، والنفوس خلقت لتعمل ، وأنما الترك المقصود لغيره ، فتفطن لحقيقة الدين وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح والمفاسد بحيث تعرف مراتب المعروف والمنكر حتى تقدم أهمها عند الازدحام فإن هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل وهذا خاصة العلماء ..

الثالث ما هو معظم في الشرع كيوم عاشوراء ويوم عرفة ويومي العيدين وعشر رمضان ، فيحدث فيه مما يعتقد أنه فضيلة ما يصير منكرا ينهي عنه ، وأما المكانية فأيضا ثلاثة أقسام .

أحدها ما لاخصوص له فقصده للعبادة والاجتماع فيه لدعاء أو غير ذلك ضلال بين ، وهذا أقبح من الذي قبله ، فإنه يشبه عبادة الأوثان ، أو نوع منها أو ذريعة ، وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب ، ومن أراد معرفة أحوال المشركين قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن ، ويعرف ما كرهه

الله ورسوله فلينظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرقي في أخبار مكة وغيره من العلماء ، ولما كان للمشركين سدرة فذكر الحديث فأنكر مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من مشابهة المشركين أو هو الشرك بعينه .

الثاني ماله خصوصية لا يقتضي اتخاذه عيدا ولا الصلاة ولا غيرها عنده كقبور الأنبياء والصالحين وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلف النهي عن اتخاذها عيدا عموما وخصوصا وبينوا معنى العيد فأما العموم فقوله : (لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا) عكس ما يفعله المشركون ، ثم أن أفضل التابعين من أهل البيت (١) نهى الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ، واستدل بالحديث ، فتبين أن قصده للدعاء ونحوه اتخاذ له عيدا ، وكذلك أبي عمر الحسن ابن الحسن شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد ورآه من اتخاذه عيدا ، وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع ، فلما جاء الإسلام محى ذلك .

(٩٨) سبب عبادة اللات سبب تعظيم قبر رجل صالح وهذه هي العلة في تغليظه صلى الله عليه وسلم في النهي عن اتخاذ قبور الصالحين مساجد ، ونهيه عن الصلاة في المقبرة ، وقد نبه عليها بقوله : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) وقد ذكر هذه العلة الشافعي ، وأبو بكر الأثرم ، وغيرهما

---

(١) المراد به زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم .

من العلماء ، وهي التي أوقعت كثير من الأمم إما في الشرك الأكبر أو مادونه ، فإن الشرك بقبر الذي يعتقد نبوته أو صلاحه أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله ، ولهذا تجد قوما كثيرا يتضرعون عندها ، ويتعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها في المسجد ولا في السحر ، فهذه المفسدة هي التي حسم صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا ، وإن لم يقصد بركة البقعة ، كما يقصد بركة المساجد الثلاثة ، كما نهي عن الصلاة وقت الطلوع والغروب والإستواء ، لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ ، وإن لم يقصد ذلك الوقت سدا للذريعة فأما إذا قصد الصلاة عند قبور الصالحين متبركا فهذا عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن الله به ، فنهى صلى الله عليه وسلم من اتخاذها مساجد ، وعن الصلاة عندها ، وعن اتخاذها عيدا ، ودعى الله أن لا يجعل قبره وثنا يعبد ، واتخاذ المكان عيدا هو اعتياد إتيانه لعبادة أو غيرها ، وتقدم النهي الخاص عن الصلاة عندها وإليها ، وذكرنا ما في دعاء المرء لنفسه من الفرق بين قصدها لأجل الدعاء والدعاء ضمنا وتبعا .

(٩٩) الله سبحانه يقرن بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والإخلاص ولهذا في الصحيح عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ قوله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به (١)) وقال : (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم

---

(١) سورة الحج – الآية ٣١ .

تزعمون (١)) إلى قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وقوله : (أئفكا آلهة دون الله تريدون (٢)) وقوله : (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار(٣)) وقوله : (إن الذين اتخذوا العجل(٤)) .. الآية قال أبو قلابة هي لكل مبتدع من هذه الأمة إلى يوم القيمة ، وكل من كان أقرب إلى الشرك كان أقرب إلى الكذب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا .

(١٠٠) الإستدلال بكون الشيء بدعة على كراهته قاعدة عظيمة عامة ، وتمامها بالجواب عما يعارضها ، فإن من الناس من يقول البدع تنقسم إلى قسمين لقول عمر نعمة البدعة وبأشياء أحدثت بعده صلى الله عليه وسلم وليست مكروهة للأدلة من الإجماع والقياس ، وربما ضم إلى ذلك من لم يحكم أصول العلم ما عليه كثير من الناس من العادة بمنزلة من إذا قيل لهم (تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) وما أكثر ما قد يحتج به من يتميز من المنتسبين إلى علم أو عبادة بحجج ليست من أصول العلم ، وقد يبد ذو العلم له مستندا من الأدلة الشرعية والله يعلم أن قوله لها وعلمه بها ليس مستندا إلى ذلك ، وإنما يذكرها دفعا لمن يناظره والمجادلة المحمودة أنما هي إبداء المدارك التي هي مستند الأقوال والأعمال ، وأما إظهار غير ذلك فنوع من النفاق في العلم والعمل ، وهذه

---

(١) سورة القصص – الآية ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) سورة الصافات – الآية ٨٧ .
(٣) سورة الزمر – الآية ٣ .
(٤) سورة الأعراف – الآية ١٥٢ .

قاعدة دلت عليها السنة والإجماع مع الكتاب ، قال الله تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله (١)) فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن شرعه الله فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ، فمن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرع من الدين مالم يأذن به الله ، وقد يغفر له لأجل تأويله إذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطيء ، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك ، كما قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله(٢)) الآية فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الآمر الناهي ، ثم قد يكون كلا منهما معفوا عنه فيتخلف الذم لفوات شرطه أو وجود مانعه ، وإن كان المقتضى له قائما ، ويلحق الذم من تبين له الحق فتركه ، أو قصر في طلبه فلم يتبين له ، أو أعرض عن طلبه لهوى ، أو كسل ونحو ذلك ، أو أعرض عن طلبه لهوى ، أو كسل ونحو ذلك ، وأيضا فإن الله عاب على المشركين شيئين : أحدهما أنهم أشركوا به ما لم ينزل به سلطانا ، الثاني تحريمهم ما لم يحرمه كما بينه صلى الله عليه وسلم في حديث عياض عند مسلم ، وقال تعالى : (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء (٣)) فجمعوا بين الشرك والتحريم ، والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن بها الله ، فإن

---

(١) سورة الشورى – الآية ٢١ .

(٢) سورة التوبة – الآية ٣١ .

(٣) سورة الأنعام – الآية ١٤٨ .

المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة ، ثم منهم من عبد غير الله فيتقرب به إلى الله ، ومنهم من ابتدع دينا عبد به الله كما أحدثه النصارى من العبادات ، وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين : إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه ، ولهذا كان الأصل الذي بنى عليه أحمد وغيره مذهبهم أن الأعمال عبادات وعادات فالأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله ، والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله ، وهذه المواسم المحدثة إنما هي عنها لما أحدث فيها من الدين الذي يتقرب به إلى الله .

(١٠١) من جوز أن يطلب من المخلوق كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الأصنام ، فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله ، كما قال تعالى : (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة(١)) الآيتين فبين أنه إذا جاء عذاب الله ، أو أتت الساعة لا يطلبون إلا الله في كشف الشدائد وإنزال الفوائد ، وقال تعالى : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون(٢) إلا إياه الآية) .. وقد وقع في كثير من ذلك من وقع من العامة ونحوهم ممن فيه زهد وصلاح ، ودين الإسلام مبني على أصلين أن لانعبد إلا الله ، الثاني أن نعبده بما شرع لانعبده بالبدع كما قال الفضيل في قوله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا(٣)) قال : أخلصه وأصوبه أن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ،

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٤٠ .

(٢) سورة الإسراء – الآية ٦٧ .

(٣) سورة هود – الآية ٧ .

وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، ولهذا قال الإمام أحمد أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث قوله : « الحلال بين والحرام بين » وقوله : « إنما الأعمال بالنيات » وقوله : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وأهل الضلال يخالفون هذين الأصلين فيعبدون غير الله ويبتدعون عبادة لم يأذن بها الله ، كما في سورة الأنعام والأعراف وبراءة وغيرهن من السور .

(١٠٢) ما بين الخلق من الأسباب الكسبية التي بها يتساءلون ، ويشفع بعضهم إلى بعض هي من جنس المشاركة ، والسبب الآخر الولادة ، فالأسباب والصلات التي بينهم لاتخرج عن سبب خلقي وهو الولادة ، أو كسبي من جنس المشاركة ، والمعاوضة ، ولهذا افتتح سورة النساء بقوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) الآية فذكر في السورة حكم الأسباب من هذا ، وهذا ، فذكر ما يتعلق بالولادة من القرابة والرحم ، وما يتعلق بذلك من المواريث والمناكح ، وكذلك ما يحصل بينهم بالعقود من المناكح والمواريث والوصايا على اليتامى ، فالنسب من الأول ، والصهر من الثاني ، كما قال : (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا) (١) فافتتحها بقوله : (الذي خلقكم من نفس واحدة ثم قال : (اتقوا الله الذي تساءلون به) أي تتعاهدون وتتعاقدون والأرحام ، فدخل في الأول مابينهم من التساؤل والتعاقد الذي يجمع المعاوضة والمشاركة وفي الثاني الولادة وفروعها ، وقد نزه الله نفسه المقدسة عنهما ، فقال (وقل الحمد

---

(١) سورة الفرقان – الآية ٥٤ .

لله الذي لم يتخذ ولدا)(١) الآية وقال : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده)(٢) الآيتين وقال : وجعلوا لله شركاء الجن (٣)) الآيتين وقال : (قل هو الله أحد الله الصمد (٤) .. إلى آخرها) .

ومن هنا ضل من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة حيث جعلوا لله ما نسبوه إليه نسب الولادة ، أو جعلوه كالشريك ولهذا كانوا يتخذون هؤلاء شفعاء ، فإنهم يعبدونهم ليقربونهم إلى الله زلفى ، ويتخذونهم وسيطا ووسائل كما يتخذون ذلك عند المخلوقين ، فهذا أصل مادة هؤلاء الجهلة الضلال ونحوهم ، والقرآن قد حسم هذه المادة ، وجرد التوحيد ، وبين أنه لا نسبة بين المخلوق وا لخالق إلا نسبة العبودية المحضة ، كما قال : (بل عباد مكرمون(٥)) وقال : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله)(٦) الآية وقال : (تكاد السموات يتفطرن منه (٧)) .. الآية .

(١٠٣) المشركون من الصائبة ونحوهم لما عبدوا الكواكب والملائكة ، وجعلوها وسائط بين الله وبين خلقه ، جادلوا الحنفاء الذين يتبعون الرسل ولا يعبدون إلا الله فقالوا : نحن نتخذ الروحانيين وسائط ، وأنتم تتخذون البشر فأخذ يعارضهم طائفة كالشهرستاني في الملل والنحل وغيره ، ويذكرون

---

(١) سورة الإسراء – الآية ١١١ .
(٢) سورة الفرقان – الآية ١ – ٢ .
(٣) سورة الأنعام – الآية ١٠٠ .
(٤) سورة الصمد – الآية ١ – ٤ .
(٥) سورة الأنبياء – الآية ٢٦ ، ٢٧ .
(٦) سورة النساء – الآية ١٧٢ .
(٧) سورة مريم – الآية ٩٠ ، ٩١ .

أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيين فبنوا معارضتهم على أصل فاسد فاسد ، وهو مقايسة وسائط أولئك بوسائط الحنفاء ، وهذا جهل بدين الحنفاء ، فإنه ليس بينهم وبين الله واسطة في العبادة ، وإنما الرسل بلغتهم أمر الله فهم وسائط في التبليغ ، كدليل الحاج ، وإمام الصلاة ، وبعض من دخل دين الصائبة والمشركين ظنوا أن شفاعة الرسول لأمته لاتحتاج إلى دعاء منه بل الرحمة التي تفيض على الرسول تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ، ثم انعكس على غيره ، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة ، وجعلوا الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه ، وقالوا إن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة ، فيقوى تأثيرها ، وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ، ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبي حامد وغيرهم ، وهذه من أصول عباد الأصنام ، وهي من المقاييس التي قال فيها بعض السلف : ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس .

(١٠٤) ومما يبين حكمة الشريعة أنها كسفينة نوح أن الذين خرجوا عن المشروع خرجوا إلى الشرك ، وطائفة منهم يصلون للميت ، ويدعو أحدهم الميت ، فيقول اغفر لي وارحمني ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلي لله مستدبرا الكعبة ، ويقول القبر قبلة الخاصة والكعبة قبلة العامة ، وهذا يقوله : من هو أكثر عبادة وزهدا ، وهو شيخ متبوع ، ولعله أمثل أصحاب شيخه ، لقوله في شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر

الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها ، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد ، وآخرون يحجون إلى القبور وطائفة صنفوا كتبا وسموها مناسك حج المشاهد ، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموه منسكا وحجا ، فالمعنى واحد وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة ، وجعل هذا من مناقبه وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ ممن يقصده القضاة والعلماء قيل عنه إنه كان يقول : البيوت المحجوجة ثلاثة مكة ، وبيت المقدس ، والبد الذي بالهند الذي للمشركين . لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق وجاء بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته ، فقال له أريد أن أسلك على يدك فقال له على دين اليهود ، أو النصارى ، أو المسلمين ، فقال له : واليهود والنصارى أليسوا كفارا ؟ قال لاتشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل ، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات يسافرون إليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق ، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله فليسوا على ملة إبراهيم والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته موجود في كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ،

وهؤلاء مستندهم مع العادة قول طائفة قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه أتى في الهوى ، وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة أو الأنبياء أو الكواكب والأوثان فإن الشيطان يتمثل لهم ، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطال المقال ، وقد طاف هذا بجوابه يعني الذي ذكر فيه جواز الاستغاثة بالنبي على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه مع أن قوما كان لهم غرض ، وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما ، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط تعصبهم ، وكثرة جمعهم ، وقوة سلطانهم ومكائدة شيطانهم .

(١٠٥) لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة وأصحابه ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على مافهموا من آية المائدة ، اتفق علماء كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون ، فإن أصروا على الاستحلال كفروا وإن أقروا بالتحريم جلدوا فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق فإن أصروا كفروا ، ولهذا كنت أقول للجهمية الذين نفوا أن يكون الله فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافرا ، وأنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الأحياء ولا الأموات لا الأنبياء ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ، ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرهما كما أنه لم يشرع لهم السجود لميت ، ولا إلى غير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن ذلك كله ، وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، لكن

لغلبة الجهل ، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ؛ ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل دين الإسلام إلا تفطن له ، وقال هذا أصل دين الإسلام وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول : هذه أعظم ما بينته لنا .

(١٠٦) الله سبحانه لم يذكر في كتابه المشاهد بل ذكر المساجد ، وأنها خالصة له ، كما قال : (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)(١) وقال : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله)(٢) الآيتين وقال : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله)(٣) .. الآية . ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت المشاهد ، وبيوت النار ، والأصنام ، لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب ، فالممدوح من ذلك ما كان مبينا قبل النسخ والتبديل ، كما أثنى على اليهود والنصارى .. والصائبين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحا ، فبيوت الأوثان والمقابر لم يذكر الله شيئا منها إلا في قصة من لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة فجمعوا بين التصاوير والمقابر .

(١٠٧) جاء في القرآن نسبة المسيح إلى أمه لينفي نسبه إلى غيرها ، لا كما

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة – الآية ١٧ .

(٣) سورة الحج – الآية ٤٠ .

زعمت النصارى ، ولا كما زعمت اليهود ، وأبلغ منه قوله : (قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) (١) .. الآية خص المسيح وأمه من أهل الأرض ، لأنهما أتخذا الهين فخصا لنفي هذا الشرك ، ولم يكن تنقصا لهما وقال تعالى : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا)(٢) .. الآية .

فتخصيصه تنبيه على من دونهم ، ومن هذا قوله : (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) فتخصيصه لتحقيق العموم وكذلك قوله : (ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك)(٣) .. الآية فذكر الملائكة تنبيها على أن هذه الدعوى لا تجوز لأحد من الخلق ، ولو قدر وقوعه من ملك لكان جزاؤه جهنم ، فكيف بغيره ؟ وهذا التحقيق أفراد لله بالآلهية ، ومنه قوله : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)(٤) والأنبياء معصومون ولكن المقصود بيان أن الشرك لو صدر من أفضل الخلق لأحبط عمله ، فكيف بغيره ؟ وكذلك قوله : (لئن أشركت ليحبطن عملك)(٥) خوطب بذلك أفضل الخلق لبيان عظم هذا الذنب ، لا لغض قدر المخاطب ، كقوله : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل)(٦) الآيات وقوله : (فإن يشاء الله يختم على قلبك)(٧)

---

(١) سورة المائدة – الآية ١٧ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ٨٠ .
(٣) سورة الأنبياء – الآية ٢٩ .
(٤) سورة الأنعام – الآية ٨٧ .
(٥) سورة الزمر – الآية ٦٥ .
(٦) سورة الحاقة – الآية ٤٤ .
(٧) سورة الشورى – الآية ٢٤ .

وفي الحديث (أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم) فهذا في بيان عدل الرب وإحسانه وتقصير الخلق عن واجب حقه من الملائكة والأنبياء .

(١٠٨) وقال في الكلام على قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) (١) الآيتين لما ذكر أن من السلف من ذكر أنهم من الملائكة ، ومنهم من ذكر معهم الإنس ، ومنهم من ذكر أنهم من الجن ، يذكرون جنس المراد به الآية على التمثيل كما يقول الترجماني لمن سأله عن الخبر فيريه رغيفا والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى من دون الله ، فكل من دعى ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الإستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية ، كما تتناول من دعى الملائكة والجن ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم ، ومع هذا فقد نهى عن دعائهم ، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ، أو من حال إلى حال ، كتغيير صفته أو قدره ولهذا قال : (ولا تحويلا) فذكر نكرة تعم أنواع التحويل ، وقال تعالى : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) (٢) كان أحدهم إذا نزل بوادي يقول : أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه فقالت الجن الأنس تستعيذ بنا فازدادوا رهقا ، وقد نصر الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ، لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الإسراء : الآيتين ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) سورة الجن – الآية ٦ .

أنه استعاذ بكلمات الله ، وأمر بذلك ، فإذا كان لا يجوز ذلك فأن لا يجوز أن يقال أنت خير مستعاذ يستعاذ به أولى ، فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب ، وهي ألفاظ متقاربة ، ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يدعى ويذكر عنده ، فإنه سبحانه يستجار به هناك ، وقد يستمسك بأستار الكعبة كما يتعلق المتعلق بأذيال من يستجير به ، كما قال عمر وابن سعيد أن الحرم لا يعيذ عصيا ، ولا فارا بدم ، ولا فارا بخربة وفي الصحيح يعوذ عائذ بهذا البيت والمقصود أن كثير من الضالين يستغيثون بمن يحسنون به الظن .. ولا يتصور أن يقضي لهم أكثر مطالبهم ، كما أن ما تخبر به الشياطين من الأمور الغائبة لا يصدقون في أكثر بل يصدقون في واحدة ، ويكذبون في أضعافها ويقضون لهم حاجة واحدة ويمنعونهم أضعافهم ويكون فيما أخبروا به وأعانوا عليه إفساد حال الرجال في الدين والدنيا ، ويكون فيه شبهة للمشركين كما يخبر الكاهن ونحوه والله سبحانه جعل الرسول مبلغا لأمره ، ونهيه ، ووعده ، ووعيده وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بقضاء الحاجات وكشف الكربات وليس هذا من دين المسلمين بل النصارى تقول هذا في المسيح وحده شبهة الاتحاد والحلول ، ولهذا لم يقولوه في إبراهيم وموسى وغيرهم مع أنهم في غاية الجهل في ذلك ، فإن الآيات التي بعث بها موسى أعظم ، ولو كان هذا ممكنا لم يكن للمسيح خاصية به بل موسى أحق ، ولهذا كنت أتنزل مع علماء النصارى إلى أن أطالبهم بالفرق بين المسيح وغيره ، من جهة الإلهية ، فلا يجدون فرقا بل أبين لهم أن ما جاء به موسى من الآيات أعظم ، فإن كان حجة في دعوى الإلهية فموسى أحق ، وأما ولادته من غير أب فهو يدل على قدرة الخالق لا على أن المخلوق أفضل من غيره .

(١٠٩) إذا كان الكلام في سياق التوحيد ، ونفي خصائص الرب عما سواه لم يجز أن يقال ، هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الإنبياء ، والملائكة ، فإن المقام أجل من ذلك ، وكلما سوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده والنبي صلى الله عليه وسلم كان من أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه ، وإن كان هو المسلوب كما قالت عائشة لما أخبرها ببراءتها : والله لا أقوم إليه ولا أحمده ، ولا أحمد إلا الله وفي لفظ بحمد الله لابحمدك فأقرها صلى الله عليه وسلم وأبوها على ذلك ، لأن الله سبحانه الذي أنزل براءتها بغير فعل أحد ، قال حبان قلت لابن المبارك : إني لأستعظم هذا القول ، قال : ولت الحمد أهله وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد قول الأسير اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد ، قال عرف الحق لأهله ، وكان يعلم أصحابه تجريد التوحيد ، فقال : لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ، وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال : أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده ، وما أحدثه الله بغير فعل منه إضافة إلى الله وحده كما قال لكعب بن مالك : لما قال له وما أمن عندك أمن عند الله ؟ قال بل من عند الله ومعلوم أنه لو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكان من عند الله بمعنى أنه خلقه ، فجميع الحادثات من عنده بهذا الاعتبار ، ولكن المقصود أنه صلى الله عليه وسلم يصدر عنه فعل في هذه التوبة إلا أنه بلغ الرسالة .

(١١٠) وقال في الكلام على قوله : (قل أبالله وآياته ورسوله)(١) .. الآية تدل على أن الإستهزاء بالله كفر ، وبآياته كفر ، وبالرسول كفر ،

---

(١) سورة التوبة – الآية ٦٥ .

من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطا ، فعلم أن الاستهزاء بالرسول كفر وإلا لم يكن لذكره فائدة ، وكذلك الآيات وأيضا فالإستهزاء بهذه الأمور متلازم ، والضالون مستخفون بتوحيد الله تعالى ، يعظمون دعاء غيره من الأموات وإذا أمروا بالتوحيد ، ونهوا عن الشرك ، استخفوا به ، كما قال تعالى : (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا) (١) .. الآية فاستهزؤا بالرسول لما نهاهم عن الشرك ، وما زال المشركون يسبون الأنبياء ، ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد ، لما في أنفسهم من عظيم الشرك ، وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لما عنده من الشرك ، قال الله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) (٢) فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الله ، فهو مشرك ، ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله ، وهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانا تجدهم يستهزؤن بما هو من توحيد الله ، وعبادته ، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبا ، ولا يجترىء أن يحلف بشيخه كاذبا ، وكثير من طوائف متعددة يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره ، أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند السحر ، ويستهزيء بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد ، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد ، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ، ورسوله ، وتعظيمهم للمشرك وإذا كان لهذا وقف ولهذا

---

(١) سورة الفرقان – الآية ٤١ .

(٢) سورة البقرة – الآية ١٦٥ .

وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكرهم الله في قوله : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) (١) الآية فيفضلون ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله، ويقولون : الله غني وآلهتنا فقيرة ، وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ، ويخشع ، ويتضرع مالا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس وقيام الليل فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين .. ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات حصل له من الخشوع والحضور مالا يحصل له عند الآيات بل يستثقلونها ويستهزؤن بها وبمن يقرؤها مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله : (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) والذين يجعلون دعاء الموتى أفضل من دعاء الله ، منهم من يحكي أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه ، واستغاث بشيخه فأغاثه ، وأن بعض المأسورين دعى الله فلم يخرجه ، فدعى بعض الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام ، وآخر قال : قبر فلان هو الترياق المجرب ، ومنهم من إذا نزل به شدة لايدعو إلا شيخه قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه ، وقد قال تعالى للموحدين (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) (٢) وقد قال شعيب : (ياقومي أرهطي أعز عليكم من الله) (٣) وقال تعالى : (لأنتم أشد رهبة في صدروهم من الله) (٤) .

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٠٠ .

(٣) سورة هود – الآية ٩٢ .

(٤) سورة الحشر – الآية ١٣ .

(١١١) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقا التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن ، كما قال تعالى : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) (١) ولهذا نهى العلماء عن التعازيم ، والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره التي تتضمن الشرك ، بل نهوا عن كل مالا يعرف معناه من ذلك خشية أن يكون فيه شرك ، ومن قال لغيره أسألك بكذا ، فإما أن يكون مقسما فلا يجوز بغير الله ، وإلا فهو من باب السؤال به ، فتبين أن السائل لله بخلقه أما أن يكون حالفا بمخلوق ، وذلك لا يجوز ، وأما أن يكون سائلا به وتقدم تفصيله وأما إذا أقسم على الله مثل أن يقول أقسمت عليك يارب لتفعلن كذا كما كان البراء ابن مالك وغيره من السلف يفعله ، وفي الصحيح رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره . فهذا ، من الإقسام عليه تعالى به ليس إقساما عليه بمخلوق ، ومعنى قوله : أسألك بالرحم ليس إقسام لكن بسبب الرحم لإنها توجب حقوقا لسؤال الثلاثة بأعمالهم الصالحة وكسؤالنا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في حياته ، ومنه ماروي عن علي أن عبد الله بن جعفر إذا سأله بحق جعفر أعطاه ، ومنه الحديث الذي أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا .. الخ ، فحق السائلين والعابدين الإجابة والإثابة ، فذلك سؤال له بأفعاله كالإستعاذة بنحو ذلك ، كقوله أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فالإستعاذة بمعافاته التي هي فعله من السؤال بإثابته التي هي فعله ، وقوله في الحديث ونستشفع بالله عليك ، وتسبيحه صلى الله عليه

---

(١) سورة الجن – الآية ٦ .

وسلم وتعليمه له أنه لايستشفع بالله على خلقه على كل تقدير ، طلب منه مالا يقدر عليه وطلب منه مالا يطلب إلا من الله ، ولا يقدر عليه إلا الله ، وطلب منه ما هو أعظم استخفافا بالله ، وانتقاصا له من طلب شفاعة الله إلى عبده فإنه ممكن ، لكن طلب من الله مافيه سؤال لغيره ، وهو سبحانه قادر عليه بلا سؤال وهو غني عن المخلوقات ، سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم ذلك حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فإذا كان لا يجوز أن يطلب من الله أن يسأل غيره إذ هو قادر على فعل الغير بلا سؤال فكيف إذا كان المطلوب فعل نفسه ؟ فلم يطلب فعل نفسه منه ، بل طلبه من بعض عباده ، وليس عندهم إلا الشفاعة ، وهم لا يشفعون إلا من بعد إذنه ، فتبين أن ليس لهم من الأمر شيء .

(١١٢) كونه صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين ليس معناه أنه يسأل الله بهم ، أو يقسم بهم عليه ، بل يستنصر بدعائهم ، كما قال لسعد : وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بصلاتهم ودعواتهم وإخلاصهم ، وأما استغاثة الجمل به ليجيره من ظلم أهله ، فهو طلب منه أن يشكيه ، فأشكاه بمنعهم من أذاه ، وأما استغاثة الصحابة في القحط به ، فاستغاثوا به ليدعو لهم ، كما يستغيث به الناس يوم القيامة ليدعو لهم ، والكلام في الأحكام الشرعية لايقبل من الباطل أو التدليس ما ينفق عند أهل البدع الذين لم يرثوا علومهم من أنوار النبوة ، كالفلاسفة الذين يكونون أكثر الخائضين في العلم ضلالا وافتراقاً ، وليس هذا شأن ما ورث عن الأنبياء إلا أن يدخل فيه الكذب والتحريف ، والدين محفوظ بحفظ الله له ، كما قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) ولما

---

(١) سورة الحجر – الآية ٩ .

كانت ألفاظ القرآن منقولة بالتواتر بخلاف بعض الحديث ، وطمع الشيطان في تحريف معانيه ، وتغيير ألفاظ الرسول بالزيادة والنقص ، أقام الله من يحفظ بهم دينه يحملون العلم الموروث عنه فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فبينوا ما أدخل أهل الكذب والغلط في ألفاظ الحديث ، وما أدخل أهل التحريف في معاني القرآن والحديث ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

(١١٣) وقال في الكلام على إهداء الثواب للنبي صلى الله عليه وسلم ، الأعمال لا تعمل إلا لله ، ولا يطلب أجرها إلا منه ، وإن وصل بها نفع عظيم إلى الأنبياء وغيرهم فإنهم دعوا إلى عبادته ، وبينوا أن الجزاء عليه لا عليهم ، كما قال تعالى : (فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) (١) .. وكثير من الضلال يطلبون الجزاء من الأولياء ، كأنهم يعبدونهم ، أو كأنهم عملوا لأجلهم ، فصاروا شبه النصارى نزلوا المخلوق بعد موته منزلة الخالق ، لأن الأولياء في حياتهم لا يمكنون أحداً من الإشراك بهم ، كما قال المسيح عليه السلام : (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) (٢) .. الآية وقال : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس) (٣) .. الآيتين .. ولهذا كان خاتم الرسل المبعوث بملة إبراهيم قد أقام الحنفية كما نعت بذلك في الكتب كقوله : (ولن أقبضه حتى أقيم به

---

(١) سورة الرعد : الآية ٤٠ .

(٢) سورة المائدة – الآية ١١٧ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ٧٩ .

الملة العوجا) .. الخ .. وقال : (لا تطروني كما أطرت النصارى) .. الخ ثم ذكر الآحاديث التي قالها في مرضه ، وقبله ، وفي الصحيحين عنه (لتركبن سنن من كان قبلكم) الحديث وقد شرحنا هذا الحديث ، وتكلمنا على جملة مما وقع من ذلك والمقصود هنا أن النصارى فيهم إشراك وغلو وابتداع ، كقوله : (اتخذوا أحبارهم)(١) .. الآية .. وقوله (ورهبانية ابتدعوها)(٢) وقوله (لاتغلوا في دينكم)(٣) فصار ذلك في كثير من هذه الأمة ومثله هؤلاء الذين يهدون العبادات إلى الأنبياء لطلب الأجر منهم ، أما إشراكهم فقد ضاهوا المخلوق بالخالق ، وأما الابتداع فهذا العمل لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والغلو حيث جعلوا في البشر شوبا من الربوبية ، والإلهية ، والغنى عن صاحبه إلى النفع ، وهم في تقربهم إلى غير الله بالأعمال يشبهون المتوكلين على غير الله المستغيثين بغيره ، والفقر للمخلوق وصف لازم لايفارقه في الدنيا ، ولا في الآخرة ، بل العبد محتاج إلى الله من جهة ربوبيته فلا يستعين بغيره ومن جهة الألوهية فلا يعبد غيره ، كما قال تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن لم يعبده خسر الدنيا والآخرة وإن لم يعنه على عبادته لم يقدر عليها ، وإذا كان الخلق كلهم فقراء إلى الله ، والله يرحمهم بما شاء من الأسباب ، ومن ذلك دعاء بعضهم لبعض ، وإحسان بعضهم إلى بعض ، والدعاء يكون من الأدنى للأعلى بلا غضاضة على الأعلى ، فالله الذي أمرنا بالصلاة

---

(١) سورة التوبة – الآية ٣١ .

(٢) سورة الحديد – الآية ٢٧ .

(٣) سورة النساء – الآية ١٧١ .

والسلام على نبيه ، وهو الذي يثيبنا على ذلك ، بل لله عليه أكمل النعم والمنة ، ونعمته عليه أكمل نعمة أنعمها على مخلوق ، وما من به علينا من الثواب على الصلاة عليه ، وعلى سائر أعمالنا فقد من عليه بمثله لدعائه لنا إلى ذلك ، والخالق إذا تقربنا إليه فذلك إحسانا منا إلى أنفسنا ، وهو الذي أعاننا عليه ، وإن كان يحب ذلك فحبه إياه منه على العامل فإنه الذي خلق ذلك كله ، فعلى العبد أن يلاحظ التوحيد والأنعام ، قال تعالى : (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) (١) وهؤلاء جعلوا الهدية له صلى الله عليه وسلم بمنزلة الهدية إلى الله ، وكأنهم يتقربون إليه كما يتقربون إلى الله ، فجعلوا المخلوق كأنه الرب الغني عنهم المجازي لهم ، وجعلوا الرب محتاجا إلى عبادتهم ، وأنهم يبلغون ضره ونفعه ، والمؤمنون وأولهم أبو بكر يطلبون أجر أعمالهم من الله ، لا من مخلوق مع قوله أن أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر ، ونزل فيه قوله : (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)(٢) والله سبحانه لكمال إحسانه إلينا امرنا بالجهاد ، وأخبر أنه نصر له ، وبالصدقة وأخبر أنها قرض له وذلك ممتنع من جهة ربوبيته ، ولكن يصح من جهة الألوهية التي أقر بها الموحدون .

(١١٤) وسئل رحمه الله عن دعوة ذي النون معناها ؟ ولم كانت موجبة لكشوف الكرب ؟ وهل لذلك شروط غير لفظها وكيف يتحقق القائل لها في الكرب بمعنى النفي والإثبات ليوجب الكشف ؟ وما مناسبة

---

(١) سورة غافر – الآية ٦٥ .
(٢) الليل الآيات من ١٧ إلى آخر السورة .

ذكر ظلمه مع التوحيد ؟ وهل الاعتراف مع التوحيد موجب للغفران وكشف الكرب ؟ وهل اعترافه بذلك الذنب المعين يوجب كشف كربة نزلت بذنوب أوجب تأخيرها إلى ذلك الوقت سعة حلم الله أم لا بد عند قولها من استحضار جميع الذنوب ؟ وهل مجرد الاعتراف كاف بدون التوبة ؟ وما السر في أن الفرج يجيء عند انقطاع الرجاء من الخلق ؟ وما الحيلة في انصراف القلب عنهم وتعلقه بالله ؟ وما المعنى على ذلك ؟ أجاب عن الأولى بأن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة ، وفسر قوله : (ادعوني استجب لكم)(١) بالوجهين .. وفي حديث النزول من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له والمستغفر سائل والسائل داعي لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل للخير ، وذكرهما بعد الداعي الذي يتناولهما وغيرهما من عطف الخاص على العام ، وسماها دعوة لتضمنها للنوعين ، فقوله : (لا إله إلا أنت) اعتراف بتوحيد الآلهية ، وهو يتضمن النوعين ، فإن الآلهة هو المستحق لأن يدعى بالنوعين ، وقوله (أني كنت من الظالمين) .. اعتراف بالذنب متضمن طلب المغفرة فالسائل يسأل تارة بصيغة الطلب ، وتارة بصيغة الخبر ، أما بوصف حاله ، أو حال المسئول ، أو بهما ، وهو من حسن الأدب في السؤال ، كقول أيوب : (مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) والسؤال بالحال أبلغ من جهة العلم والبيان ، وبالطلب أظهر من جهة القصد ، والإرادة ، فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني ، لأن السائل يتصور مراده ، فيسأله بالمطابقة فإن تضمن وصف حال

(١) سورة غافر – الآية ٦٠ .

السائل والمسئول فهو أكمل ، كقوله : (قل اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلما كثيرا) .. الخ . وفيه وصف لحال نفسه المقتضي حاجته إلى المغفرة ، ووصف ربه أنه لا يقدر على هذا غيره ، وفيه التصريح بالمطلوب ، وفيه وصف الرب بما يقتضي الإجابة ، وهو وصفه بالمغفرة والرحمة ، فهذا ونحوه أكمل الأنواع ، فمقام يونس ، ومن أشبهه ، مقام اعتراف بأن ما أصابه بذنبه ، والمقصود دفع الضر والاستغفار رجاء بالقصد .

الثاني فلم يذكر صيغة الطلب لاستشعاره أنه مسيء أدخل الضر على نفسه فناسب ذكر ما يرفع سببه من الاعتراف ، وهذا يبين بالكلام على قوله (سبحانك) ، فإنه يتضمن التعظيم والتنزيه ، والمقام يقتضي تنزيهه عن العقوبة بغير ذنب ، فقوله : (لا إله إلا أنت) فيه انفراده بالآلهية ، وهي تتضمن كمال العلم والقدرة ، والرحمة والحكمة ، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد ، فإن الآله هو المألوه ، والمألوه الذي يستحق أن يعبد ، وكونه يسحق ذلك هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب ، المخضوع له غاية الخضوع ، والتسبيح يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم ، وغيره من النقائص ، فإن الظالم أنما يظلم لحاجته ، أو جهله والله غني عن كل شيء ، عليم بكل شيء ، وهو غني بنفسه ، وكلما سواه فقير إليه وهذا كمال العظمة .. أجاب عن الثانية بأن ذلك لأن الضر لا يكشفه إلا الله والذنوب سبب الضر ، والاستغفار يزيل سببه ، وقوله : (إني كنت من الظالمين) اعتراف واستغفار والتهليل تحقيق لتوحيد الآلهية ، فإن الخير لايوجب له إلا مشيئة الله ، والمعوق له عن العبد ذنوبه ، وما خرج عن قدرة العبد فهو من الله ، وإن كان الكل بقدره ، لكنه جعل الطاعة

سببا للنجاة والسعادة ، فمشاهدة التوحيد تفتح باب الخير ، والاستغفار يغلق باب الشر ، والرجاء لاتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ، ولا علمه ، فإن ذلك شرك ، ولهذا يذكر الأسباب ويأمر بأن لا يعتمد عليها ، ولهذا قال : (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله (١)) فمن جعل مع الله إلها آخر ، قعد مذموما مخذولا والقائل لا إله إلا الله بلسانه ، فقولها مخلصا من قلبه له حقيقة أخرى ، وبحسب تحقيقها تكمل الطاعة ، كما قال : (أفرأيت من اتخذ آلهة هواه (٢)) .. الآيتين فمن جعل ما يأله هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه ، ولهذا قال الخليل : (لا أحب الآفلين(٣)) بين أنه يغيب عن عابده ، فلا يعلم حاله ، وكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه ، ويصرف عنه المعاصي ، كما قال تعالى : (كذلك لنصرف عنه السوء (٤)) الآية وفي الصحيح : (من قالها مخلصا من قلبه حرمه الله على النار) ، فمن دخلها لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار ، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، ولهذا أمر أن يقول في كل صلاة (إياك نعبد وإياك نستعين) والشيطان يأمر بالشرك ، والنفس تطيعه ، فلا تزال تلتفت إلى غير الله ، إما خوفاً ، وإما رجاء ، فلا يزال مفتقرا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك وفي الحديث يقول الشيطان : (أهلكت الناس بالذنوب فأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون

(١) سورة آل عمران – الآية ١٢٦ .
(٢) سورة الجاثية – الآية ٢٣ .
(٣) سورة الأنعام – الآية ٧٦ .
(٤) سورة يوسف – الآية ٢٤ .

ولا يستغفرون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فالذي اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ آلهه هواه، فصار فيه شرك منعه من الاستعاذة، وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر ، وفي الصحيح قوله في صلاته : (اللهم اغفر لي ما قدمت – إلى قوله لا إله إلا أنت) فهنا قدم الدعاء ، وختمه بالتوحيد لأنه أفضل الأمرين بخلاف مالم يقصد فيه هذا فإن تقديم التوحيد أفضل وأهل التوحيد هم الذين لم يعبدوا إلا إياه ، ولم يتوكلوا إلا عليه ، وقول المكروب لا إله إلا أنت قد يستحضر في ذلك أحد النوعين ، فإن همته منصرفة لدفع ضره أي لا يكشف الضر غيرك مع إعراضه عن توحيد الإلهية فإن استحضره في ذلك كان عابدا لله متوكلا عليه محققا إياك نعبد وإياك نستعين ، فإذا سبق إلى القلب قصد السؤال ناسب السؤال باسم الرب وإن سبق قصد العبادة فاسم الله أولى ، وكذلك إذا بدا بالثناء ، ولهذا قال يونس عليه السلام (لا إله إلا أنت الخ وقال آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) فإن يونس ذهب مغاضبا فكان ذلك المناسب أي هو الذي يستحق العبادة دون غيره ، ولا يطاع الهوى فإن ذلك يضعف الإخلاص ، وهذا يتضمن برآة ما سوى الله من الإلهية سواء قدر ذلك هوى النفس أو طاعة الخلق ، أو غير ذلك ، والعبد يقول ذلك فيما يظنه ، وهو غير مطابق ، وما يريده وهو غير حسن ، وآدم لم يكن عنده من منازعة الإرادة ما يزاحم الإلهية ، بل ظن صدق الشيطان فكانا محتاجين إلى أن يريهما ربوبيته تكمل علمهما وقصدهما حتى لايفترا ، ويونس كمل تحقيق الآلهية ومحو الهوى الذي يتخذ إلها ، وأيضا مثل هذه الحال تعرض لمن تعرض له فيبقى فيه نوع معارضة للقدر ، ومعارضة له سبحانه في خلقه ، وأمره ووساوس في حكمته ورحمته فيحتاج إلى أن يتقي الآراء الفاسدة

والأهواء الفاسدة فيعلم أن الحكمة والعدل فيما اقتضاه علمه سبحانه وحكمته ، لا في ما اقتضاه علم العبد وحكمته ، ويكون هواه تبعا لما يأمر الله به قال تعالى : (فلا وربك) (١) الآية وقال تعالى : (قل إن كان آباؤكم)(٢) .. الآية فإذا كان الإيمان لايحصل حتى يحكم الرسول ويسلم له ويكون هواه تبعا لما جاء به ، ويكون الرسول والجهاد مقدما على حب الإنسان نفسه وماله وأهله فكيف في تحكيمه تعالى ؟ والتسليم له ، فمن رأى من يستحق العذاب في ظنه فغفر له فكره ذلك فهو إما عن إرادة تخالف الحكم ، أو ظن يخالف العلم ، والله عليم حكيم فلم يبق لكراهة ما فعله وجه ، وهذا يكون فيما أمر به ، وفيما خلقه ولم يأمرنا أن نكرهه بخلاف توبته على عباده وإنجائهم من العذاب فإنه يحب التوابين ، فكراهة هذا من نوع اتباع الإرادة المزاحمة للإلهية فعلى صاحبها أن يحققه ولإنالة مراداتنا المخالفة . وقوله هل الاعتراف مع التوحيد موجب لغفرانها وكشف الكربه ؟ فالموجب له مع التوحيد هو التوبة المأمور بها فإن الشرك لا يغفر إلا بها ، وأما الاعتراف على وجه الخضوع لله من غير توبة فهما في نفس الاستغفار الذي لا توبة معه ، فهذا لا يؤنس ، ولا يقطع له بالمغفرة فإنه داع ، وفي الصحيح (ما من رجل يدعو الله بدعوة الخ) فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة أو صرف شر آخر أو حصول خير آخر ، وقوله : الاعتراف بالذنب المعين يوجب رفع ما حصل بذنوب أم لابد من استحضار جميعها : فهذا مبني على أصول أحدها أن التوبة تصح من ذنب

(١) سورة النساء – الآية ٦٥ .

(٢) سورة التوبة – الآية ٢٤ .

مع الإصرار على آخر ، وهذا هو المعروف عن السلف والخلف .. والثاني أن من تاب من بعض فإن التوبة إنما تقتضي مغفرة ما تاب منه .. والثالث أن الإنسان قد يستحضر ذنوبا فيتوب منها ، وقد يتوب توبة مطلقة فإن كانت نية التوبة العامة فهي تتناول كل ما رآه ذنبا إلا أن يعارض هذا معارض مثل أن يكون بعضها لو استحضره لم يتب منه لقوة إرادته ، أو اعتقاد أنه حسن ، وأما التوبة العامة وهي أن يتوب توبة مجملة ، ولا تلتزم التوبة من كل ذنب فهذا لا يوجب دخول كل فرد ولا يمنع دخوله كاللفظ المطلق ، والناس في غالب أحوالهم لايتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك وأنها واجبة على كل عبد في كل حال وقوله : ما السبب في أن الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق وما الحيلة في صرف القلب عنه ؟ فسببه تحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ، فالأول لا خالق إلا الله ، والراجي المخلوق طالب بقلبه لما يريده منه وهو عاجز وهذا من الشرك الذي لا يغفر فمن كمال نعمته وإحسانه إلى المؤمنين أن يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتى يصرف قلوبهم إلى التوحيد ، ثم إن وحّده العبد توحيد الآلهية حصلت له سعادة الدنيا والآخرة وإن كان ممن قيل فيه : (وإذا مسكم الضر) الآية فإن ما حصل له من وحدانيته حجة عليه كما احتج سبحانه على المشركين بذلك في غير موضع فمن تمام نعمة الله على المؤمنين أن ينزل بهم من الضر ما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين فيحصل لهم من التوكل والإنابة وذوق طعم الإيمان والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة من زوال الضر فإن ذلك نعم دنيوية قد يحصل للكافر منها أعظم مما للمؤمن ، وأما ما يحصل للمخلصين فأعظم من أن يعبر عن كنهه مقال ، أو يستحضر تفصيله بال ، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه فالذي يحصل لأهل

الإيمان عند تجريد التوحيد لا يعرفه بالذوق إلا من له منه نصيب ، وهذا هو حقيقة الإسلام ، وقطب رحى القرآن ، به أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب .

(١١٥) الراجي يرجى حصول الخير ودفع الشر ، والرجا مقرون بالتوكل ، والتوكل لا يجوز إلا على الله ، فلا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا هو قال تعالى : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله(١)) .. الآية وقال : (الذين قال لهم الناس(٢)) .. الآية أي كافينا في دفع البلاء وأولئك أمروا أن يقولوا حسبنا الله في جلب النعماء ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته ، وحرم (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت(٣)) الآية (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا(٤)) (واتخذوا من دون الله آلهة ليكون لهم عزا كلا (٥)) الآية (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء(٦)) .. الآية (فابتغوا عند الله الرزق(٧)) .. الآية .. والراجي يكون راجيا تارة بعمل يعمله فهذا نوع من العبادة ، وتارة باعتماد قلبه عليه وسؤاله له ، فهو نوع من الاستغاثة يوضحه أن كل خير ونعمة فهي من الله ، وكل شر

---

(١) سورة التوبة – الآية ٥٩ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ١٧٣ .
(٣) سورة العنكبوت – الآية ٤١ .
(٤) سورة الإسراء – الآية ٢٢ .
(٥) سورة مريم – الآية ٨١ .
(٦) سورة الحج – الآية ٣١ .
(٧) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .
(٧) سورة الإسراء – الآية ٦٧ .

مندفع عنه فالله يمنعه ، ويكشفه وما جرى من الأسباب على يد خلقه فهو خالق الأسباب كلها ، ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله ، وعلم أنه لا يستحق أن يدعي غيره ، ولا فرق بين الأسباب العلوية والسفلية ، وملائكته قال فيهم (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى(١)) فالصادر عنهم إما قول وإما عمل فالقول لايسبقونه به ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، فعلينا أن نكون معه ومع رسله هكذا ، فلا نقول حتّى يقول ، ولا نعبده إلا بما أمر ، وأعلى من هذا أن لا نفعل إلا ما أمر ، فلا تكون أعمالنا إلا واجبة أو مستحبة ، والاستعانة تكون على الأعمال ، وأما التوكل فأعم من ذلك ، يكون لجلب المنفعة ، ودفع المضرة ، فمن لم يفعل ما أمر به لم يكن مستعينا بالله ، وعلى ذلك فيكون قد ترك العبادة والاستعانة عليها ، فترك التوكل في هذا الموضع ومن ظن أن الإيمان بالقدر ينافي الأمر كالإباحية المشركية والقدرية المجوسية أو ظن أن التكليف معه غير معقول بل الشارع أطيع لمحض المشيئة وجعل ذلك حجة على أن الأفعال لم تتضمن أسبابا مناسبة للأمر والنهي : ففساد قوله معلوم بضرورة العقل مع الكتاب ، والسنة ، والإجماع فالعبد عليه أن يصبر على ما قدر من المصائب ، ويستغفر من المعايب ، ويشكر على المواهب ، فيجمع بين الإيمان بالقدر ، والشرع وبين الصبر والشكر ، والاستغفار والمحتج بالقدر إذا اعتدى عليه تناقض وظهر فساد قوله .

(١١٦) التسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص يتضمن تعظيمه

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٢٧ .

العظمة الموجبة برآءته من الظلم ، فالظالم يظلم لحاجته ، أو بجهله ، والله غني عن كل شيء عليم بكل شيء ، وهذا كمال العظمة ، وقوله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هاتان الكلمتان إحداهما مقرونه بالتحميد ، والأخرى بالتعظيم فقرن بين الحمد والتعظيم ، كما قرن بين الجلال والإكرام ، إذ ليس كل معظم محمودا محبوبا ولا كل محبوب محمودا معظما ، والعبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد ، وكمال الذل المتضمن معنى التعظيم ، ففيها إجلاله ، وإكرامه ، وهو سبحانه المستحق للجلال والإكرام ، ومن الناس من يحسب الجلال الصفات السلبية والإكرام الصفات الثبوتية ، والتحقيق أن كلاهما صفات ثبوتية ، وإثبات الكمال يستلزم نفي النقائص ، لكن ذكر نوعى الثبوت وهو ما يستحق أن يحب ، وما يستحق أن يعظم كقوله : (إن الله هو الغني الحميد (١)) (إن ربي غني كريم (٢)) وكذلك قوله (وله الحمد (٣)) فقرن التسبيح بالتحميد والتهليل بالتكبير ، كما في الأذان ثم أن كل واحد من النوعين يتضمن الآخر إذا أفرد ، فإن التسبيح ، والتحميد يتضمن التعظيم ، ويتضمن إثبات ما يحمد عليه وذاك يستلزم الإلهية فإنها تتضمن كونه محبوبا بل تتضمن أنه لا يستحق كمال الواجب إلا هو ، والحمد هو الإخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق أن يحب ، فالإلهية تتضمن كمال الحمد ولهذا كان الحمد مفتاح الخطاب ، وسبحان الله فيها إثبات عظمته ، ولهذا قال :

---

(١) سورة لقمان — الآية ٢٦ .

(٢) سورة النمل — الآية ٤٠ .

(٣) سورة القصص — الآية ٧٠ .

(فسبح باسم ربك العظيم (١)) وقال اجعلوها في ركوعكم ، وقال أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء ، فيجعل التعظيم في الركوع أخص منه بالسجود ، وقوله : (لا إله إلا الله والله أكبر) ففي الإلهية محامدة ، وفي الكبرياء إثبات عظمته فإن الكبرياء تتضمن العظمة لكن الكبرياء أكمل ، وهي كالرداء ومعلوم أن الرداء أشرف ، فلما كان التكبير أبلغ صرح بلفظه وفي سبحان الله التصريح بالتنزيه من السوء المتضمن للتعظيم ، فصار كل واحدة متضمنة معنى الأخريين إذا أفردتا وعند الاقتران تعطى كل كلمة خاصتها ، وكذلك الدعاء باسم الرب أو باسم الله أو لوصف حال السائل ، أو حال المسئول لكل نوع منها خاصة .

(١١٧) قال رحمه الله بعد ما ذكر آيات احتج بها الجبرية وآيات احتج بها القدرية : وكل من الطائفتين تتناول نصوص الأخرى بتأويلات فاسدة ، وتضم إلى النصوص التي احتجت بها أمورا لا تدل عليها ، وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين فآمنوا بالكتاب كله ، ولم يحرفوا شيئا من النصوص ، وقوله : (إن الله جميل يحب الجمال) أى يحب أن يتجمل له العبد ، كقوله : (خذوا زينتكم عند كل مسجد (٢)) ويكره أن يصلي عريانا ، أو المرأة مكشوفة الرأس ولو تزين لمعصية لم يحب ذلك ، والمؤمن يظهر نور الإيمان على وجهه ، ويكسي محبة ومهابة ، والمنافق عكسه ، وأما الصورة المجردة مشتهاة كالنساء أولا فقد صح أن الله لا ينظر إلى صوركم الخ ، وقوله : (إن الله جميل) الخ قاله جوابا بالتسائل في

(١) سورة الواقعة – الآية ٩٦ .

(٢) سورة الأعراف – الآية ٣١ .

بيان ما يحبه الله وما يكرهه ، فإنه لما ذكر الكبر سأله السامع عن جمال الثوب والنعل ، وحسن ثوبه ونعله أنما يحصل بفعله وقصده ليس شيئا مخلوقا فيه بغير كسبه كصورته ومعلوم أن الله إذا خلق شخصا أكبر من شخص إما في جسمه ، وإما في عقله وذكائه لم يكن هذا مبغضا ، فإنه خلق بغير اختياره ، بخلاف ما إذا تكبر بذلك أو بغيره فإنه من عمله ، والمقصود هنا ذكر ما يحبه الله ، ويرضاه الذي يثاب أصحابه عليه ، ومعلوم أن الفرق بين مطلق الإرادة والمحبة موجود في الناس ، وغيرهم من الجهمية والقدرية إنما لم يفرقوا بين ما يشاء وما يحب ، لأنهم لايثبتون لله محبة لبعض الأمور المخلوقة دون بعض ، وفرحا بتوبة التائب وكان أول من أنكره الجعد فضحى به خالد القسري فقال : أنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما ، ولم يتخذ إبراهيم خليلا ، فإن الخلة من توابع المحبة ، فمن زعم أن الله لا يحب ولا يحب لم يكن للخلة عنده معنى ، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم جاءوا بإثبات هذا الأصل ، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة ، ويسخط بعضها ، فإن الجهمية والقدرية تجعل الجميع بالنسبة إليه سواء : القدرية يقولون يقصد نفع العبد لكونه حسنا ، ولا يقصد الظلم لكونه قبيحا ، والجهمية يقولون : إذا كان لا فرق بالنسبة إليه بين هذا وهذا امتنع أن يكون عنده شيء حسن ، وشيء قبيح ، وأنما يرجع ذلك إلى أمور صافية(١) للعباد فالحسن بالنسبة إلى العبد ما يلائمه ، وما ترتب عليه ثواب يلائمه ، والقبيح بالعكس ومن هنا جعلوا المحبة والإرادة سواء فلو أثبتوا أنه سبحانه يحب ويفرح بحصول محبوبه كما أخبر به الرسول

---

(١) لعلها إضافية .

تبين لهم حكمته ، وتبين لهم أيضا أنه يفعل الأفعال بحكمة ، فإن الجهمية قالوا : إذا كانت الأشياء بالنسبة إليه سواء امتنع أن يفعله لحكمة ، والمعتزلة يقولون يفعل لحكمة تعود إلى العباد فقالت الجهمية تلك يعود إليه منها حكم أم لا الأول خلاف أصلكم ، والثاني ممتنع فيمتنع أن أحدا يختار الحسن على القبيح إن لم يكن له من فعل الحسن معنى يعود إليه ثم أن هذه الصفة من أعظم صفات الكمال ، وكذلك كونه محبوبا لذاته هو أصل دين الرسل فانهم كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده ، وأن لا إله إلا هو ، والإله المستحق للعبادة ، وهو لا يكون إلا بتعظيم ومحبة ، وإلا فمن عمل لغيره لعوض بلا محبة له لم يكن عابدا له ، وهؤلاء الذين ينكرون أنه يحب ، أو يحب آخر أمرهم أنه لا يبقى عندهم فرق بالنسبة إلى الله بين أوليائه وأعدائه ، ولا بين الإيمان والكفر فإن كانوا من الصوفية الذين ينكرون الكمال في فناء العبد عن حظوظه ودخلوا في مقام الفناء في توحيد الربوبية ، وإن كانوا من المتكلمين صاروا من المستقلين للعبادة وفي قلوبهم مرتع للشياطين ، لم لا ينعم بالثواب بدون هذا فإذا أجابوا بجوابهم كان من أبرد الأجوبة وأسمجها ، فإن هذا يقال في المتناظرين لا في رب العالمين ، فلا أحد إلا مقر بفعله ، ثم يقال قد حصل بطلب الألذ من شقاوة الأكثرين ما كان خلقهم في الجنة ابتداء لأن إن كان من المرجئة استرسلت نفسه في المحرمات وترك الواجبات بخلاف من وجد حلاوة الإيمان بمحبة الله وحبه للعبادات ، فإن هذا هو الإسلام الذي به يشهد العبد أن لا إله إلا الله وهؤلاء يدعون محبة الله في الابتداء ويعظمونها ويستحبون السماع بالغنا والدف لأنه يحرك محبة الله وإذا حقق أمرهم وجدت محبتهم تشبه محبة المشركين لا محبة الموحدين ، فإن محبة الموحدين بمتابعة الرسول والجهاد في سبيل الله وهؤلاء أكثرهم

يكره متابعة الرسول ، وهم من أبعد الناس عن الجهاد ومحبتهم التي يدعون من جنس محبة المشركين الذين صلاتهم عند البيت مكاء وتصديه ويجتهدون في دعاء مشايخهم في حياتهم وعند قبورهم فأولئك أنكروا المحبة وهؤلاء دخلوا في محبة المشركين ، فنفس محبته أصل عبادته ، والشرك فيها أصل الشرك في عبادته أولئك فيهم شبه من النصارى وفيهم شرك من جنس شرك النصارى ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون يوصون كثيرا بمتابعة العلم قال بعضهم ما ترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه ، وهو كما قال فإنه إذا لم يكن متبعاً لما جاء به الرسول كان متبعا لهواه بغير هدي من الله وهذا عيش النفس ، وهو من الكبر ، فإنه شعبة من قول الذين قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أُوتي رسل الله .

(١١٨) العقوبات شرعت رحمة من الله بعباده ولهذا ينبغي لمن يعاقب على الذنوب أن يقصد بذلك الإحسان إلى المعاقب ، والرحمة له ، كما يقصد الوالد تأديب ولده ، فإنه صلى الله عليه وسلم قال أنما أنا لكم بمنزلة الوالد

وقال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم(١)) وفي قراءة أبي (وهواب لهم) والقراءة المشهورة تدل عليه ، فلولا أنه كالأب لم تكن نساؤه كالأمهات ، والأنبياء أطباء الدين والقرآن أنزله الله شفاء فالذي يعاقب عقوبة شرعية نائب له ، فعليه أن يفعل كفعله ولهذا قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس (٢)) قال أبو هريرة : خير

---

(١) سورة الأحزاب – الآية ٦ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

الناس للناس تأتون بهم في السلاسل تدخلونهم الجنة ، أخبر أنهم خير الأمم لبني آدم يعاقبونهم بالقتل والأسر للإحسان إليهم ، وهكذا الراد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم إذا لم يقصد بيان الحق وهدى الخلق لم يكن عمله صالحا ، وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكافر قد يقاتله شجاعة وحمية وذلك ليس في سبيل الله فكيف بأهل البدع ، وإذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب أن يكون الإنسان في هذا قاصدا لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله صوابا خالصا ، وهو معنى قوله : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن(١)) والأمر بالسنة والنهي عن البدعة أمر بمعروف ونهي عن منكر ، وهو من أفضل الأعمال الصالحة فيجب أن يبتغي به وجه الله ، وأن يكون مطابقا للأمر وفي الحديث : من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فينبغي أن يكون عليما فيما يأمر به عليما فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه فالعلم قبل الأمر ، والرفق مع الأمر ، والحكم بعد الأمر ، فإن لم يكن عالما لم يكن له أن يقف ما ليس له به علم ، وإن لم يرفق فهو كالطبيب الذي يغلظ على المريض فلا يقبل منه .. ، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد ، قال تعالى : (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى(٢)) ثم إذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤذى في العادة فعليه أن يصبر ، ويحلم ، كما قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر

(١) سورة النساء – الآية ١٢٥ .

(٢) سورة طـه – الآية ٤٤ .

واصبر على ما أصابك(١)) وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع وهو إمام الآمرين والناهين ، وان أمر ونهى طلبا لرياسة نفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك حمية لا يفعله لله ، وإذا فعل ذلك رياء كان عمله حابطا ، ثم إذا رد عليه وأوذي وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لها ، وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله وصار له هوى يطلب أن ينتصر بمن اعتدى وهكذا يصيب أصحاب المقالات إذا كان كل يعتقد أن الحق معه فأكثرهم صار له في ذلك هوى لايقصد أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن يكون الدين كله لله بل يغضب على من خالفه وإن كان معذورا ، ويرضى عمن وافقه ولو كان جاهلا سيء القصد ، فتصير الموالاة والمعاداة على الهوى لا على دين الله ورسوله ، وهذه حال الكفار الذين لا يطلبون إلا هواهم يقولون ، هذا صديقنا وهذا عدونا قال الله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله(٢)) فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة ، وأصل الدين أن يكون الحب لله ، والبغض لله ، وهذا أنما يكون بمتابعة الرسول .. وصاحب الهوى يعميه الهوى ، ويصمه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك .. ولا يطلبه ، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى ويغضب له هو السنة فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله ، ولا في سبيله فكيف إذا كان كنظيره معه حق وباطل ، ومع خصمه كذلك ، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ولهذا

---

(١) سورة لقمان – الآية ١٧ .

(٢) سورة الأنفال – الآية ٣٩ .

قال الله تعالى فيهم (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله (١)) .. الآية وقال : (كان الناس أمة واحدة (٢)) يعني فاختلفوا كما في سورة يونس ، وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين أنهم كانوا على الإسلام ، وتفسير عطيه عن ابن عباس لا يثبت عن ابن عباس .

(١١٩) ثبت عن ابن عباس أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ، وقال : وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد ، فعلم أنه كان حقا ، والإختلاف في دين الله نوعان :

أحدهما : أن يكون كله مذموما كقوله: (إن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد (٣)) .

الثاني : أن يكون بعضهم على الحق كقوله : (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) (٤) ولكن إذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم(٥)) إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبياءهم ، ولهذا فسروا الاختلاف في هذا بأنه كله مذموم ، قال الفرا في اختلافهم وجهان :

---

(١) سورة البينة – الآية ٤ ، ٥ .
(٢) سورة البقرة – الآية ٢١٣ .
(٣) سورة البقرة – الآية ١٧٦ .
(٤) سورة البقرة – الآية ٢٥٣ .
(٥) سورة هود – الآية ١١٨ ، ١١٩ .

أحدهما كفر بعضهم ببعض الكتاب .. والثاني تبديل ما بدلوا وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ، ويصدق الباطل الذي معه ، وهو تبديل ، فالاختلاف لابد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف نوعا من هذا .

أحدهما الإختلاف في اليوم الذي يكون فيه الإجتماع فاليوم الذي أمروا به الجمعة فعدلت عنه الطائفتان ، فهذه أخذت السبت ، وهذه الأحد قال صلى الله عليه وسلم : فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ، وهذا الحديث يطابق قوله : (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق(١)) ثم ذكر حديث الاستفتاح اللهم رب جبرئيل .. الخ والحديث بين أن الله هدى المؤمنين لغير ما كان فيه المختلفون ، فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وهو مبين أن الاختلاف كله مذموم .

الثاني القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ، ومنهم من يصلي إلى المغرب ، وكلاهما مذموم ولم يشرعه الله ..

الثالث إبراهيم قالت اليهود كان يهوديا ، وقالت النصارى كان نصرانيا ، وكلاهما من الإختلاف المذموم ..

والرابع عيسى عليه السلام جعله اليهود (بغيا) والنصارى إلها ..

الخامس الكتب المنزلة آمن هؤلاء ببعض ، وهؤلاء ببعض ..

السادس الدين أخذ هؤلاء بدين ، وهؤلاء بدين ، ومن هذا الباب

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢١٣ .

قوله : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء[1]) الآية وعن ابن عباس قال : اختصمت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، ولن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، وكفروا بالإنجيل ، وعيسى ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وكفروا بموسى ، والتوراة ، فأنزل الله هذه الآية ، واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط فالخارجي يقول : ليس الشيعي على شيء ، والشيعي يقول : ليس الخارجي على شيء ، والقدري النافي يقول : ليس المثبت على شيء ، والقدري الجبري المثبت يقول ليس النافي على شيء ثم الوعيديه ، والمرجئة كذلك ، بل يوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية ، والفروعية ، المنتسبين إلى السنة ، فالكلابي يقول : ليس الكرامي على شيء والكرامي يقول : ليس الكلابي على شيء ، والأشعري يقول : ليس السالمي على شيء ، والسالمي يقول ليس الأشعري على شيء ، وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها ، لاسيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الأصولية ، وخلط هذا بهذا ، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعي وأحمد شيئا من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئا من أصول المعتزلة ، والكرامية ، والكلابية ، ويضيفه إلى مذهب أبي حنيفة ، وهذا من جنس الرفض ، والتشيع ، لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء ، لا في تفضيل بعض الصحابة ، والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن

---

(١) سورة البقرة - الآية ١١٣ .

محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله يدور على ذلك ، ويتبعه أين وجده ، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة فلا ينتصر لشخص انتصارا مطلقا عاما إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا لطائفة انتصارا مطلقا عاما إلا لأصحابه فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط ، بخلاف أصحاب عالم من العلماء بل كل قوم قالوا قولا لم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ ، فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلما لعالم واحد وأصحابه ، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيه بقول الرافضة في المعصوم ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنتسب المذاهب إليهم في الفروع والأصول ، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول ، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين فأولئك لم يجتمعوا على ضلالة ، والمقصود أن الله سبحانه ذكر أن المختلفين جاءهم العلم ، وجاءتهم البينة بل كانوا قاصدين البغي عالمين بالحق ، ونظيره قوله : (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله (١)) .. الآية وقال (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق (٢)) .. الآية وقوله (ولقد آتينا بني إسرائيل

---

(١) سورة آل عمران - الآية ١٩ .

(٢) سورة يونس - الآية ٩٣ .

الكتاب والحكم والنبوة إلى قوله إلى قوم يوقنون) (١) فهذه المواضع تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات ، فاختلفوا للبغي لا لاشتباه الحق بالباطل ، وهذه حال أهل الأهواء كلهم لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر الحق ، ويجيئهم ثم كل يبغي الآخر فيكذب بما معه من الحق مع علمه بأنه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع العلم بأنه باطل ، ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومون ، فإنه ما منهم إلا من خالف حقا واتبع باطلا ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعوا إلى دين واحد ، وهو الإسلام ، ولا يتفرقوا فيه ، قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا إلى قوله كبرَ على المشركين ما تدعوهم إليه) (٢) وقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات إلى قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) (٣) كتبا اتبع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله ، فصاروا متفرقين ، لأن أهل الإختلاف ليسوا على الحنفية المحضة ، التي هي الإسلام المحض الذي هو إخلاص الدين لله الذي في قوله : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء(٤)) الآية وقال (فأقم وجهك للدين حنيفا (٥)) الآيتين فنهاه أن يكون من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وأعاد حرف من لأن الثاني بدل من الأول والبدل هو المقصود بالكلام ، وما قبله توطئة له ، وقال : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك

---

(١) سورة الجاثية – الآيات ١٦ – ٢٠ .
(٢) سورة الشورى – الآية ١٣ .
(٣) سورة المؤمنون – الآية ٥٣ .
(٤) سورة البينة – الآية ٥ .
(٥) سورة الروم – الآيات ٣٠ – ٣١ .

خلقهم(١)) فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون ، وذكر في غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام ، كما قال عن نوح : (وأمرت أن أكون من المسلمين) وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحدا فإن الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم هو دين الإسلام أولا وآخرا وكانت القبلة في أول الأمر بيت المقدس ، ثم صارت الكعبة وفي كلا الحالين الدين واحد فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا ، ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحدا ، وجعل الباطل متعددا كقوله : (أهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها) ثم ذكر آيات ثم قال وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم ، بخلاف المقيد الذي قال فيه : فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وقوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم(٢)) نزلت في المقتتلين يوم بدر وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها المقالات مثل كتاب الأشعري ، والشهرستاني ، والوراق ، أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما صنف أهل الكلام فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وكان عليه السلف فلا يوجد فيها ، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه ، بل لا يعرفونه ، والحاذق منهم الذي غرضه الحق يصرح بالحيرة في آخر عمره إذ لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض ، وكثير منهم ترك الجميع ويرجع إلى دين العامة كما قال أبو المعالي وقت السياق : لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ،

---

(١) سورة هود - الآيات ١١٨ - ١١٩ .

(٢) سورة الحج - الآية ١٩ .

ودخلت في الذي نهوا عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ، وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الحيرة ، وكذلك الشهرستاني مع أنه أخبر هؤلاء بالمقالات ، وصنف فيها كتابه المعروف قال فيه الأبيات :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها .. الخ .

فأخبر أنه لم يجد إلا شاكا مرتابا ، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطأه ، الأول الجهل البسيط ، كظلمات في بحر لجي الخ . وهذا دخل في المراكب ثم تبين له أنه جهل فندم ، وكذلك الآمدي الغالب عليه الحيرة ، وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في الموضع الواحد منه ينصر قولا ، وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصر نقيضه ولهذا استقر أمره على الشك والحيرة ، ثم ذكر أبياته : نهاية إقدام العقول عقال الخ .

وقوله : فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى جمع قيل وقالوا ، وأنه لم يجد فيها ما يشفي عليلا ، ولا يروي غليلا ، فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمعقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال ، والقول الحق لايعرفه فلا يذكره ، وكذا غيره من أهل الكلام ، بل هم مختلفون في الكتاب من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، والذين يذكرون ذلك إما نقلا مجردا للأقوال ، وإما بحثا وذكرا للجدال ، مختلفون في الكتاب ، كل منهم موافق بعضا ويرد بعضا ، ويجعل ما يوافق رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه ، وما يخالف رأيه هو المتشابه الذي يجب تأويله ،

أو تفويضه ، هذا موجود في كلام من صنف في الكلام يذكر النصوص التي يحتج بها ، ويحتج عليها ثم تجده يتأول النصوص التي تخالفه تأويلا لو فعله غيره لأقام القيامة عليه ، ويتأول الآيات بما يعلم بالاضطرار أن الرسول لم يرده ، وبما لا يدل عليه اللفظ أصلا ، وكثير ممن سمع ذم الكلام مجملا ، وذم الطائفة الفلانية مجملا ، ولا يعرف التفاصيل من الفقهاء ، وأهل الحديث ومن كان متوسطا في الكلام لم يصل إلى الغايات التي منها تفرقوا تجده يذم القول ، وقائله بعبارة ويقبله بعبارة ويقرأ كتب التفسير والفقه وشروح الحديث وفيها تلك المقالات التي يذمها فيقبلها من أشخاص أخر ذكروها بعبارة أخرى ، أو في ضمن تفسير آية أو حديث أو غير ذلك هذا مما يوجد كثيرا ، والسالم من سلمه الله حتى أن كثير من هؤلاء يعظم أئمة ، ويذم أقوالا وقد يلعن قائلها أو يكفره ، وقد قالها تلك الأئمة الذين يعظمهم ، ولو علم أنهم قالوا لما لعن القائل ، وكثير منها يكون قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو ذكرت ما أعرفه من ذلك لذكرت خلقا ولا أستثني واحدا من أهل البدع لا من المشهورين بالبدع الكبار من معتزلي ورافضي ونحوهم ، ولا من المنتسبين إلى السنة من كرامي ، وأشعري ، ونحوهم وكذلك من صنف على طرائقهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم هذا كله رأيته في كتبهم في مسائل الصفات والقرآن ومسائل القدر ومسائل الأسماء والأحكام ، والإيمان والإسلام ومسائل الوعد والوعيد وغير ذلك ومن أجمع الكتب التي رأيتها في المقالات كتاب الأشعري ذكر فيه من المقالات وتفاصيلها مالم يذكره غيره ، وذكر فيه مذهب أهل السنة بحسب فهمه وليس في جنسه أقرب إليهم منه ويذكر منه أمرا مجملا تلقاه عن زكريا الساجي ، وبعض عن

حنبلية بغداد ونحوهم ونصر في الصفات طريقة ابن كلاب لأنها أقرب إلى الحق من قول المعتزلة ، ويذكر مقالة ابن كلاب من خبره ، ونظر في كتبه ، ويذكر مقالات المعتزلة مفصلة ، ويذكر قول كل واحد منهم ، وما بينهم من النزاع في الدق والجل ، فإذا جاء إلى مقالة أهل السنة ذكر أمرا مجملا فإنه لم يكن خبيرا بالسنة والحديث ، وأقوال الصحابة ، والتابعين وغيرهم وتفسير السلف للقرآن مع أنه من أعرف المصنفين في الاختلاف بذلك ، وهو أعرف به من جميع أصحابه كالقاضي أبي بكر وابن فورك وابن إسحاق وهؤلاء أعلم به من أبي المعالي ، وذويه ، ومن الشهرستاني ولهذا ما يذكره من مذهب أهل السنة ناقص عما يذكره الأشعري ، فان الأشعري أعلم من هؤلاء كلهم لذلك نقلا وتوجيها ، وأما الإختلاف العملي وهو الاختلاف باليد .. والسيف .. والعصا ، فهوداخل في الاختلاف والخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ونحوهم ، يدخلون في النوعين والملوك الذين يقاتلون على محض الدنيا يدخلون في الثاني ، والذين يتكلمون في العلم ولا يدعون إلى قول ابتدعوه ولا يحاربون عليه لا بيد ولا بلسان هؤلاء أهل العلم وخطأهم مغفور إلا أن يدخلهم هوى ، وعدوان ، أو تفريط في بعض الأمور فيكون ذلك من ذنوبهم ، فإن العبد مأمور بالتزام الصراط المستقيم في كل أموره ، وقد شرع الله تعالى أن نسأله ذلك في كل صلاة ، وهو أفضل الدعاء وأفرضه وأجمعه لكل خير وكل أحد محتاج إليه فلهذا أوجبه الله على العبد في كل صلاة ، فانه إن هُدِيَ هدىً مجملا مثل إقراره بأن الإسلام حق فهو محتاج إلى التفصيل في كل ما يقوله ويفعله ، ويعتقده ، فيثبته ، أو ينفيه أو يحبه أو يبغضه ، ويأمر به أو ينهى عنه ، أو يحمده أو يذمه ، والمقصود بيان ما ذكره الله في كتابه من ذم

الإختلاف وأن أهل الكلام يردون باطلا بباطل ، مثاله تنازعهم في مسائل الأسماء ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد ، فالخوارج والمعتزلة تقول صاحب الكبائر إذا لم يتب مخلد في النار ، ليس معه إيمان ، ثم الخوارج تقول كافر .. والمعتزلة توافقهم على الحكم لا الإسم ، والمرجئة تقول هو تام الإيمان إيمانه كإيمان الأنبياء ، وهذا نزاع في الاسم ، ثم تقول فقهاؤهم قول الجماعة في أهل الكبائر لاينازعونهم في الحكم في الآخرة ، وينازعون أيضا فيمن قال ولم يفعل ، وكثير من متكلمتهم يقول لا نعلم أن أحدا من أهل القبلة من أهل الكبائر يدخل النار ، بل يجوز أن يدخلها جميع الفساق ويجوز أن لايدخلها أحد منهم ، ويجوز دخول بعضهم ، ويقول من أذنب ، وتاب لانقطع بقبول توبته ، بل يجوز أن يدخل النار ، فهم يقفون في هذا كله ، ولهذا سموا الواقفة ، وهذا قول القاضي أبو بكر وغيره من الأشعرية ، وغيرهم فيحتج أولئك بنصوص الوعيد وعمومها ، وقالوا : الفساق لا يدخلون في الوعد لأنهم لا حسنات لهم ، لأنهم ليسوا من المتقين، وقال تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين(١)) وقال : (لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى(٢)) وقال : (لا ترفعوا أصواتكم)(٣) الآية وقال : (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم(٤)) فهذه النصوص ، وغيرها تدل على أن الماضي من العمل

---

(١) سورة المائدة – الآية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٦٤ .

(٣) سورة الحجرات – الآية ٢ .

(٤) سورة محمد : الآية ٩ .

قد يحبط بالسيئات ، وأن العمل لا يقبل إلا مع التقوى ، والوعد إنما هو للمؤمنين ليسوا منهم ، بدليل قوله : (إنما المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم(١)) ونحو ذلك وبقوله: لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك وتقول المرجئة ، إنما يتقبل الله من المتقين المراد من اتقى الشرك ، والأعمال لا تحبط إلا بالكفر لقوله : (لئن أشركت ليحبطن عملك(٢)) (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله(٣)) وقوله (ثم أورثنا الكتاب(٤)) الآيتين وقوله (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله(٥)) في الكفار لأنه قال والذين كفروا فتعسا لهم الآية وكذلك قوله (إن الذين ارتدوا على أدبارهم إلى قوله فأحبط أعمالهم(٦)) أخبر أنهم ارتدوا بعد بيان الهدى ، وأن الشيطان سول لهم وأملاهم أى وسع لهم في العمر ، فكان سبب وعدهم للكفار ، ولهذا فسرها السلف بالمنافقين ، وباليهود قالت الوعيدية إنما وصفهم بمجرد كراهة ما أنزل ، والكراهة عمل القلب ، وعند الجهمية الإيمان بمجرد تصديق القلب لا عمله ، وعند فقهاء المرجئة قول اللسان مع التصديق وعلى القولين أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم ، فيمكن أن يصدق بقلبه ولسانه مع كراهته ما أنزل الله ، فلا يكون كافر عندهم ، والآية تتناوله فيدل على فساد قولهم ، قالوا وأما قولكم المتقون

---

(١) سورة الأنفال – الآية ٢ .

(٢) سورة الزمر – الآية ٦٥ .

(٣) سورة المائدة – الآية ٥ .

(٤) سورة فاطر – الآية ٣٢ .

(٥) سورة محمد – الآية ٩ .

(٦) سورة محمد – الآيات من ٢٤ إلى ٢٨ .

الذين اتقوا الشرك فهذا خلاف القرآن ، لأن الله يقول : (إن المتقين في جنات ونعيم[1]) (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا [2]) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب[3]) (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم [4]) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله [5] حق تقاته) قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، وأن يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى وقال: (فاتقوا الله ما استطعتم [6]) وهي مفسرة لتلك ، ومن قال من السلف ، ناسخة ، فمعناه رافعة لما يظن أن المراد يعجز عنه ، فإن الله لم يأمر بهذا قط ، ومن قال إن الله أمر به فقد غلط ، والنسخ في عرف السلف يدخل فيه كل مافيه نوع رفع الحكم ، أو ظاهر ، أو ظن دلالة ، حتى أنهم يسمون تخصيص العالم نسخا ، ومنهم من يسمي الاستثناء نسخا إذا تأخر نزوله ، وقد قال تعالى : (فينسخ الله ما يلقى الشيطان[7]) فهذا رفع لما ألقاه الشيطان ، ولم ينزله الله ، لكن غايته أن يظن أن الله أنزله، وقال (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان[8]) الآيتين فمن كان الشيطان لايزال يمده في الغي وهو لايتفكر ولا يبصر كيف يكون من المتقين ، ومن آخر ما نزل ، وقيل : إنها آخر

---

(١) سورة الطور – الآية ١٧ .
(٢) سورة مريم – الآية ١٨ .
(٣) سورة الطلاق – الآية ٢ .
(٤) سورة الأنفال – الآية ٢٩ .
(٥) سورة آل عمران – الآية ١٠٢ .
(٦) سورة التغابن – الآية ١٦ .
(٧) سورة الحج – الآية ٥٢ .
(٨) سورة الأعراف – الآيات ٢٠١ ، ٢٠٢ .

آية نزلت (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله(١)) .. الآية وقال طلق ابن حبيب – ومع هذا كان سعيدا بن جبير ينسبه إلى الإرجاء – التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ، وبالجملة فكون المتقين هم الفاعلون للفرائض المجتنبون للمحارم هو من العلم العام الذي يعرفه المسلمون خلفا عن سلف ، ثم ذكر أن أهل السنة وسط ، وذكر بعض دلائلهم منها قوله : (وأقم الصلاة طرفي النهار(٢)) .. الآية فلو كانت الحسنة لاتقبل من صاحب السيئة لم تمحها وثبت بالكتاب ، والسنة المتواترة ، فلو كانت الكبيرة تحبط الحسنات لم يبق حسنة توزن معها ، وثبت أن بغيا سقت كلبا فغفر لها قالوا : وابنا آدم لم يكن أحدهما مشركا ، لكن لم يقصد التقرب إلى الله بالطيب من ماله ، كما في الأثر ، فلهذا لم يتقبل منه قربانه ، وقال تعالى : (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا (٣)) .. الآية فجعل هذا موانع قبول النفقة دون مطلق الذنوب ، ويقولون من نفى عنه الإيمان فلتركه بعض واجباته ولا يلزم أن لايبقى منه شيء ، بل دلت النصوص على بقاء بعضه ، ويخرج من النار من بقى معه بعضه ، ومعلوم أن العبادات فيها واجب ، فالحج فيه واجب ، إذا تركه نقص حجه ، ولا يفسده إلا الجماع ، فكذلك لا يزيل الإيمان كله إلا الكفر المحض وما دونه قد يحبط بعض العمل كالمن والأذى ، فإنه يبطل الصدقة ، لا سائر

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٨١ .

(٢) سورة هود – الآية ١١٤ .

(٣) سورة التوبة – الآية ٥٤ .

الأعمال والذين كرهوا ما أنزل الله كفار وأعمال القلب من الإيمان ، وكراهة ما أنزل الله كفر ، ودخول الظالم لنفسه الجنة لا يمنع أن يعذب قبله وقوله : (لايصلاها إلا الأشقى(١)) لا يخلو إما أن يكون الصلى نوعاً من التعذيب كما قيل : إنه الإحاطة ، وأهل القبلة لا تحرق منهم مواضع السجود ، أو تكون نارا مخصوصة ومثاله تنازع القدرية النافية والمجبرة فقالوا جميعا : الإرادة هي المحبة فقالت النافيه هو يحب العمل الصالح ويكره الكفر والفسوق والعصيان ، فلا يكون مريدا له لقوله : ولا يرضى لعباده الكفر)(٢) (والله لا يحب الفساد)(٣) .

(١٢٠) من أصيب بمصيبة بسبب ما جاء به الرسول فبذنوبه ، ليس لأحد أن يعيب ما جاء به ، لكون فيه جهاد الكفار والمنافقين ، كما أنه لا يجوز أن يقول أحد بسببه نزول القرآن ونزوله بكلام العرب اختلفت الأمة في التأويل ، واقتتلوا إلى أمثال ذلك ، فإن هذا من كلام الكفار ، والذين قالوا لرسلهم إنا تطيرنا بكم ، فقالوا لهم (طائركم معكم) وقال تعالى عن آل فرعون : (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصيبهم سيئة يطيرون بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله(٤)) وقال كما أمر بالجهاد وإن من الناس من يبطىء عنه : (أينما تكونوا يدرككم الموت(٥)) ..

---

(١) سورة الليل – الآية ١٥ .

(٢) سورة الزمر – الآية ٧ .

(٣) سورة البقرة – الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة الأعراف – الآية ١٣١ .

(٥) سورة النساء : الآية ٧٨ .

الآية والحسنات والسيئات ، هنا النعم ، والمصائب كقوله (وبلوناهم بالحسنات والسيئات)(١) الآية ولهذا قال ما أصابك ، ولم يقل ما أصبت ، وقال : وإن تصبهم حسنة الخ قيل الضمير يعود على المنافقين ، وقيل على اليهود ، وقيل على الطائفتين ، .. والتحقيق أنه يعود على من قال هذا من أي صنف كان ولهذا لم يعين قائله ، لأنه دائما يقوله بعض الناس ، فإن الطاعنين على ما جاء به الرسول من كافر ومنافق ، بل ومن في قلبه مرض ، أو عنده جهل يقول مثل هذا ، فكثير يقوله فيما جاء به الرسول ولا يعلم أنه جاء به ، لظنه خطأ من قاله ، ويكون هو المخطىء ، فإذا أصابهم نصر ورزق قالوا : هذا من عند الله ، ولا يضيفه إلى ما جاء به الرسول ، وإن كان سببا له ، وإن أصابهم نقص ، وخوف ، وظهور عدو قالوا : هذا من عندك ، لأنه أمر بالجهاد فتطيروا به ، كما تطير آ ل فرعون بما جاء به موسى ، والسلف ذكروا المعنيين ، وعن ابن عباس بشؤمك وعن زيد بسوء تدبيرك قال تعالى : (قل كل من عند الله(٢)) قال ابن عباس : الحسنة ، والسيئة ، الحسنة أنعم بها عليك ، والسيئة ابتلاك بها (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) ، قيل لم يفقهوا ، ولم يكادوا وقيل فقهوه بعد أن كادوا لا يفقهونه ، كقوله : (فذبحوها وما كادوا يفعلون (٣)) فالمنفي بها مثبت ، والمثبت بها منفي ، وهذا هو المشهور ، وعليه عامة الاستعمال ، وقد يقال يراد بها هذا تارة ، وهذا

---

(١) سورة الأعراف - الآية ١٦٨ .

(٢) سورة النساء - الآية ٧٨ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٧١ .

تارة ، إن حرصت باثبات الفعل فقد وجد ، فإذا لم يأت إلا النفي المحض كقوله : (لم يكد يراها(١)) فهذا نفي مطلق لا قرينة معه تدل على الإثبات ، فيفرق بين مطلقها ومقيدها ، هذه الأقوال الثلاثة للنحاة ، وقد وصف الله المنافقين بعدم الفقه في مثل قوله : (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول(٢) الله) الآية لكن قوله : (حديثا) نكرة في سياق النفي ، فيعم كما في قوله : (لا يكادون يفقهون قولا) ومعلوم أنهم لابد أن يفقهوا بعض الأقوال ، وإلا فلا يعيش الإنسان بدون ذلك فعلم أنهم يفقهون بعد أن كادوا لم يفقهوا ، وكذلك في الرؤية ، وهذا أظهر الأقوال ، وأشهرها ، والمراد : هؤلاء لو فقهوا القرآن لعلموا أنك ما أمرتهم إلا بخير ، ولا نهيتهم إلا عن شر وأن المصيبة لم تكن بسببك بل بذنوبهم ، وأما رواية كروم(٣) عن يعقوب فمن نفسك فمعناها يناقض القرآءة المتواترة ، فلا يعتمد عليها ، ومعنى الآية قوله يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم الخ . ومعنى الآية متناول لكل من نسب ما أصابه من المصيبة إلى ما أمر الله به ورسوله كائنا من كان .

(١٢١) كل من استفرغ وسعه استحق الثواب وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به وبما أنزل عليه ، واتقى الله ما استطاع ، كما فعل النجاشي وغيره ، ولم تمكنه الهجرة ، ولا التزام جميع الشرائع لكونه ممنوعا من الهجرة ، ومن إظهار دينه ، وليس عنده

---

(١) سورة النور – الآية ٤٠ .

(٢) سورة المنافقون – الآية ٧ .

(٣) لعلها كريب .

من يعلمه الشرائع فهذا مؤمن من أهل الجنة ، كما كان مؤمن آل فرعون مع قومه ، وكامرأة فرعون ، بل وكما كان يوسف مع أهل مصر ، فانهم كفار ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من الإسلام ، فانه دعاهم إلى التوحيد ، والإيمان ، فلم يجيبوه قال تعالى : (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به(١)) الآية . وكذلك النجاشي ، وهو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام ، بل إنما دخل معه نفر منهم ، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال إن أخا لكم صالحا من أهل الحبشة مات وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك ، فلم يهاجر ولم يجاهد ، ولا حج البيت بل قد روى أنه لم يكن يصلي الخمس ، ولا يصوم رمضان ولا يؤدي الزكاة الشرعية ، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه ولا يمكنه مخالفتهم ونحن نعلم قطعا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن ، والله قد فرض على نبيه ألا يحكم بينهم إلا بما أنزل الله ، وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله مثل الحكم في الزنا بالرجم ، وفي الديات بالعدل ، والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع ، النفس بالنفس والعين بالعين وغير ذلك ، والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن ، وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا بل وإماما وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وعمر بن عبد العزيز عودي ، وأوذي على بعض ما أقامه من العدل ، وقيل إنه سُمّ على ذلك ، فالنجاشي وأمثاله سعداء

---

(١) سورة غافر – الآية ٣٤ .

في الجنة ، وإن لم يلتزموا من شرائع الإسلام مالا يقدرون عليه ، بل يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها ، ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب قال تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله(١)) الآية قيل نزلت في النجاشي ، يروى عن جابر ، وابن عباس وأنس ، ومنهم من قال فيه وفي أصحابه ، كما قال الحسن ، وهذا مراد الصحابة ، لكن هو المطاع ، فإن لفظ الآية لفظ الجمع ، وقال عطاء في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم على دين عيسى فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر هؤلاء من بالمدينة مثل ابن سلام ، وسلمان وغيرهما ، لأنهم صاروا من المؤمنين فلا يقال فيهم وإن من أهل الكتاب ، كما يقال عن الصحابة الذين كانوا مشركين ، وإن من المشركين لمن يؤمن بالله ، فدل على أن هؤلاء من جملة أهل الكتاب ، وقد آمنوا بالرسول ، كما قال (وإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن (٢)) فهو من العدو ، ولكن آمن ولم تمكنه الهجرة وإظهار الإيمان ، والتزام شرائعه ، فسماه مؤمنا ، لأنه فعل من الإيمان ما يقدر عليه ، لما قال تعالى في العاجز عن الهجر (إلا المستضعفين من الرجال والنساء (٣)) الآية فأولئك كانوا عاجزين عن إظهار دينهم ، فسقط عنهم ما عجزوا عنه ، فإذا كان هذا فيمن كان مشركا ، فما تظن بمن كان كتابيا ، وقوله من قوم عدو لكم وهو مؤمن ، قيل هو الذي عليه البأس أهل الحرب ، مثل من يكون في صفهم

(١) سورة آل عمران – الآية ١٩٩ .
(٢) سورة النساء – الآية ٩٢ .
(٣) سورة النساء – الآية ٩٨ .

فيعذر القاتل ، لأنه مأمور بقتاله فيسقط عنه الدم وتجب الكفارة وهو قول الشافعي ، وقيل هو من أسلم ولم يهاجر ، وهو قول أبي حنيفة ، وسواء عرف أنه مؤمن وقتل خطأً أو ظن أنه كافر ، وهذا ظاهر الآية ، وقيل في قوله : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية نزلت في ابن سلام ، وأصحابه كما نقل عن ابن زيد وغيره ، وبعضهم قال في مؤمني أهل الكتاب ، فإن أراد من كان في الظاهر معدودا منهم فهو القول الأول وإن أراد العموم فهو الثاني ، وهو ضعيف فإن هؤلاء لا يقال فيهم : (وإن من أهل الكتاب) لأنهم من جملة الصحابة ، ولهم أجور مثل أجور المؤمنين ، بل يؤتون أجرهم مرتين ، وهم ملتزمون جميع الشرائع فأمرهم أعظم من أن يقال لهم أجرهم عند ربهم وأيضا فإن أمرهم ظاهر معروف فأى فائدة في الإخبار بهم وهذا مما يبين أن المظهرين للإسلام – فيهم منافق لا يصلى عليه كما نزل في ابن أبيّ ، وأمثاله ، وأن من هو في أرض الكفر قد يكون مؤمنا يصلى عليه ، كالنجاشي ، وشبه هذا قوله (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون) الآية قيل ابن سلام ، وأصحابه ، وهذا والله أعلم من نمط الذي قبله ، لأن المقصود من هو منهم في الظاهر ، وهو مؤمن كمؤمن آل فرعون ، ولهذا قال : (وأكثرهم الفاسقون) ولهذا قال : (لن يضروكم إلا أذى) وهذا عائد إلى جميعهم ، لا إلى أكثرهم ، ولهذا قال يولوكم الإدبار وقد يقاتلون وفيهم من يكتم إيمانه ، وهو مكره على القتال ، ويبعث يوم القيامة على نيته كما في الصحيح في الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

بهم كلهم ، ويبعثون على نياتهم ، وهذا في ظاهر الأمر ، وإن قتل وحكم عليه بحكم الكفار ، فإنه يبعث على نيته كما أن المنافقين منا يبعثون على نياتهم ، فالجزاء ، يوم القيامة على ما في القلوب ولا خلاف بين المسلمين أن من كان في دار الحرب وقد آمن وعجز عن الهجرة لا يجب عليه ما يعجز عنه ، وكذلك ما لم يعلم حكمه ، فلو لم يعلم وجوب الصلاة أو الزكاة وبقى مدة لم يفعل لم يجب القضاء في أظهر القولين ، وهو مذهب أبي حنيفة ، وأهل الظاهر ، وأحد الوجهين في مذهب أحمد ، وكذلك سائر الواجبات ولو لم يعلم تحريم الخمر فشربها لم يحد بإجماع المسلمين ، وكذلك لو عامل بما يستحله من ربا أو ميسر ثم تبين له التحريم بعد القبض ، وكذلك لو تزوج نكاحا يعتقد صحته على عادته ثم تبين له أنه أخل ببعض شروطه كمن تزوج في عدّه ، وأصل هذا كله أن الشرائع هل تلزم من لم يعلم أم لا تلزم إلا بعد العلم أو يفرق بين الشرائع الناسخة ، والمبتدأة فيه ثلاثة أقوال هي ثلاثة أوجه في مذهب أحمد ، ومن صلى في الموضع المنهى عنه قبل علمه بالنهي هل يعيد ؟ فيه روايتان عن أحمد ، والصواب في هذا كله أن الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم ، وأنه لا يقضي مالم يعلم وجوبه ، وهــذا يطابق الأصل الذي عليه السلف ، والجمهور أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، فالوجوب مشروط بالقدرة ، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور وفعل محظور ، وبعد قيام الحجة .

(١٢٢) العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض ، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب والظلم من المنكر الذي تبغضه القلوب وتذمه ، والله سبحانه أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط وأمر الله نبيه أن يحكم بالقسط ،

وبما أنزل الله فدل على أن القسط هو ما أنزل الله ، ولكن العدل يتنوع بتنوع الشرائع ، ولهذا قال : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها (١) حكم الله) إلى قوله : (أفحكم الجاهلية يبغون) الآية فذكر أنه أنزل القرآن ، وأن يحكم بينهم بما أنزل الله ولا يتبع أهواءهم عما جاءه من الكتاب وأخبر أنه جعل لكل شيء شرعة ومنهاجا ، جعل له صلى الله عليه وسلم ما في القرآن من الشرعة والمنهاج ، وأمره أن يحكم به وحذره أن يفتنوه عن بعض ما فيه ، وأخبر أن ذلك حكم الله ، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية ، وقال : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم(٢) الكافرون) لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم به فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فإنه ما من أمة إلا وتأمر بالحكم بالعدل وقد يكون العدل في دينها ما رآه كابراهيم ، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون .. بعاداتهم كسوالف البادية ، وأمر المطاعين ويرونه أنه هو الذي يبتغي الحكم به دون الكتاب ، والسنة ، وهذا هو الكفر إذا عرفوا ما أنزل الله فلم يلتزموه ، بل استحلوا الحكم بغيره فهم كفار ، وإلا كانوا جهالا كما تقدم ، وأما من كان ملتزما لحكم الله باطنا ، وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ، وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر يحكمون بغير ما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله ، وقد تكلم الناس على ما يطول ذكره هنا ، والذي ذكرته يدل عليه سياق الآية ،

---

(١) سورة المائدة – الآيات (من ٤٣ إلى ٥٠) .

(٢) سورة المائدة – الآية ٤٤ .

والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقا ، والحكم بما أنزل الله على محمد هو عدل خاص ، وهو أكمل أنواع العدل ، فمن لم يلتزمه فهو كافر ، وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية ، والعملية ، قال الله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين (١)) .. الآية .

(١٢٣) الرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق والوا بعضهم وغلوا فيه ، وبعضهم غلوا في معاداته ، وقد سلك ما يشبه هذا كثير من الناس في أمرائهم وعلمائهم وشيوخهم ، فيحصل منهم رفض في غير الصحابة ، فهذا كله من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ، فقال : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (٢)) .. الآية وقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا (٣)) .. الآيات .. قال بن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة ، ولهذا كان أبو أمامة الباهلي وغيره يتأولها في الخوارج ، وقد أمر الله المؤمنين أن يعتصموا بكتابه ، وبدينه ، وبالإسلام وبالإخلاص ، وبعهده ، وبالجماعة وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين ، وكلها صحيحة ، فالقرآن يأمر بدين الإسلام وذلك عهده ، والاعتصام به جميعا إنما يكون في الجماعة ودين الإسلام حقيقته الإخلاص ثم المعاصي الذي يعرف صاحبها أنه عاص يتوب ، والمبتدع الذي يظن أنه على حق ضرره على المسلمين أعظم من ضرر الظلمة الذين

(١) سورة البقرة – الآية ٢١٣ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ١٥٩ .

(٣) سورة آل عمران الآيات (١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧) .

يعلمون أن الظلم محرم ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن قتال الأمراء الظلمة ، وأمر بقتال الخوارج ، وهذا مما يستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله ، ومن أسباب ذلك أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يقاتل في العادة إلا لأجل الدنيا ، فلم يكن قتالهم ليكون الدين كله لله ، ولا من من جنس قتال قطاع الطريق الذين قال فيهم من قتل دون ماله فهو شهيد ، لأن أولئك معادون لجميع الناس ، وجميع الناس يعينون على قتالهم ، ولو قدر أنه ليس كذلك ، فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل بل يريدون أموال الناس ودماءهم فهم مبتدون الناس بالقتال بخلاف ولاة الأمور ، فانهم لايبدؤن الرعية بالقتال وفرق بين من تقاتله دفعا وبين من تقاتله ابتداء ، ولهذا هل يجوز في الفتنة قتال الدفع ؟ فيه عن أحمد روايتان ، لتعارض الآثار والمعاني ، وبالجملة فالعادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور لطلب ما في أيديهم من المال ، والإمارة ، وهذا قتال على الدنيا ولهذا قال أبو برزة في فتنة بن الزبير ، والقراء مع الحجاج وفتنة مروان إنما يقاتلون على الدنيا ، وأما أهل البدع كالخوارج فهم يريدون إفساد دين الناس فقتالهم قتال عن الدين لتكون كلمة الله هي العليا .

(١٢٤) تواتر النقل ، وعلم بالاضطرار من دين الرسول واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله فيه يصير الكافر مسلما والعدو وليا ، ثم إن كان من قلبه دخل في الإيمان ، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام ، وكما أنهما أصلا الدين فهما أيضا تمام فروعه فهما الفرق بين أهل الجنة ،

وأهل النار ، قال تعالى في الجنة : (أعدت للذين آمنوا بالله (١) ورسله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر منازلا عالية في الجنة قيل : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم فقال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) وقال تعالى : (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي (٢)) الآيتين .

وقال : (قلنا اهبطوا منها (٣)) .. الآيتين ثم ذكر آيات كثيرة ، ثم قال : وذلك أن المقصود الذي خلق له الخلق عبادة الله وحده ، والطريق إلى ذلك هم رسل الله فبالإيمان بالله ، ورسله يتم المقصود ، والوسيلة ، وبدون أحدهما لا يحصل ذلك فمن لم يهتد بنور الرسالة واكتفى برأيه ورأى من جنسه فإنه في الشبهات والضلالات والتفرق والاختلاف الذي لا يحيط به إلا الله كما تجده في الخارجين عن حقيقة الرسالة من الكفار ، والمسلمين ، وهم الذين تفرقوا على الأنبياء كما قال : (إنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم) وقال الله سبحانه (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق(٤)) الآية وقال (كان الناس أمة واحدة(٥)) الآية وقال : (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر(٦)) وقال :

---

(١) سورة الحديد – الآية ٢١ .

(٢) سورة الأعراف – الآية ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) سورة البقرة – الآية (٣٨ ، ٣٩) .

(٤) سورة البقرة – الآية ١٧٦ .

(٥) سورة البقرة – الآية ٢١٣ .

(٦) سورة البقرة – الآية ٢٥٣ .

(فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (١)) وكذلك في سورة الأنبياء ، وقال : (فاختلف الأحزاب من بينهم(٢)) وقال : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا(٣)) الآية وهذا المعنى قد ثناه الله في كتابه ، بين فيه أن دينه واحد ، وهو الإسلام العام والإيمان العام ، وأنه أمر رسله بالإجتماع فيه ، والائتلاف ، ونهاهم عن التفرق فيه والاختلاف ، وهو الذي أمر به الأولين والأخرين فمن خرج عنه كفر بجميع الرسل ولو آمن ببعض الرسالة دون بعض ، أو ببعض الكتب والرسل كما عليه المبتدعة في الإسلام وغيرهم ، ومن سلك سبيلهم من أهل التحريف والتبديل في المسلمين ، ويدخل في هؤلاء السبعون فرقة في اليهود ، والأحد والسبعون في النصارى ، واثنتان والسبعون في المسلمين ، كما قال صلى الله عليه وسلم في أحاديث متعددة ، وقال في الناجية ، وهي الجماعة ، وفي رواية هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ، فوصفهم بالاجتماع ، واتباع الصحابة ، وهذا هو السنة والجماعة فمن خرج عنه فهو من أهل التفرق والاختلاف الذين اختلفوا في الكتاب واختلفوا على الأنبياء ، والله أعلم .

(١٢٥) سئل رحمه الله عن رجل متمسك بالسنة ، ويحصل له ريبة في تفضيل الثلاثة على عليّ ، لقوله عليه السلام له : (أنت مني وأنا منك) وقوله : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وقوله : (لأعطين الراية

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٥٣ .

(٢) سورة مريم – الآية ٣٧ .

(٣) سورة الشورى – الآية ١٣ .

رجلا يحب الله ورسوله) .. الخ وقوله : (من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد ما عاداه .. الخ) وقوله : (أذكركم الله في أهل بيتي) ، وقوله سبحانه : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم (١)) الآية ، وقوله : (هذان خصمان اختصموا في ربهم(٢)) الآية ولقوله : (هل أتى على الإنسان(٣)) الآية فأجاب : يجب أن يعلم أولا أن التفضيل إذا ثبت للفاضل من الخصائص مالا يوجد مثله للمفضول فإذا استويا وانفرد أحدهما بخصائص كان أفضل وأما الأمور المشتركة فلا توجب تفضيله على غيره ، وإذا كان كذلك ففضائل الصديق التي ميز بها لم يشركه فيها غيره ، وفضائل علي مشتركة ، وذلك أن قوله : (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) وقوله : (لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر) وقوله : (إن أمنّ الناس علي في صحبته ، وذات يده أبو بكر) وهذا فيه ثلاث خصائص لم يشركه فيها أحد : أنه ليس لأحد منهم عليه في صحبته وماله مثل ما لأبي بكر ، الثانية قوله : لايبقين في المسجد .. الخ . وهذا تخصيص له دون سائرهم وأراد بعض الكذابين أن يروى لعلي مثل ذلك ، والصحيح لايعارضه الموضوع ، الثالثة قوله لو كنت متخذا خليلا نص في أنه لا أحد من البشر استحق الخلة لو أمكنت إلا هو ولو كان غيره أفضل منه لكان أحق بها لو تقع ، وكذلك أمره له أن يصلي بالناس مدة مرضه من الخصائص ،

---

(١) سورة آل عمران - الآية ٦١ .

(٢) سورة الحج - الآية ٢٠ .

(٣) سورة الدهر - الآية ١ .

وكذلك تأميره له من المدينة على الحج ليقيم السنة ويمحو آثار الجاهلية ، فإنه من خصائصه وكذلك قوله في الحديث الصحيح أدع لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا وأمثال هذه الأحاديث كثيرة تبين أنه لم يكن في الصحابة من يساويه وأما قوله : (أنت مني وأنا منك) فقد قالها لغيره ، وقالها لجليبيب والأشعرين ، وقال تعالى (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم(١)) وقوله: (من غشنا فليس منا) (ومن حمل علينا السلاح فليس مني) يقتضي أن من يترك هذه الكبائر يكون منا فكل مؤمن كامل الإيمان فهو من النبي والنبي منه ، وقوله في ابنة حمزة (أنت مني وأنا منك) وقوله لزيد (أنت أخونا ومولانا) لا يختص بزيد بل كل مواليه كذلك ، وكذلك قوله : لأعطين الراية الخ . هو أصح حديث يروى في فضله ، وزاد فيه بعض الكذابين أنه أخذها أبو بكر وعمر فهربا ، وفي الصحيح أن عمر قال : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فهذا الحديث رد على الناصبة الواقفين في على وليس هذا من خصائصه ، بل كل مؤمن كامل الإيمان يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، قال تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)(٢) وهم الذين قاتلوا أهل الردة ، وإمامهم أبو بكر وفي الصحيح أنه سأله أي الناس أحب إليك ؟ قال عائشة قال فمن الرجال : قال أبوها ، وهذا من خصائصه .

وأما قوله : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) قاله في غزوة تبوك لما استخلفه على المدينة فقيل استخلفه لبغضه إياه وكان النبي

---

(١) سورة التوبة – الآية ٥٦ .
(٢) سورة المائدة – الآية ٥٤ .

صلى الله عليه وسلم إذا غزا استخلف رجلاً من أمته ، وكان بالمدينة رجال من المؤمنين القادرين وفي غزوة تبوك لم يأذن لأحد ، فلم يتخلف أحد إلا لعذر أو عاصي ، فكان ذلك الاستخلاف ضعيفا فطعن به المنافقون بهذا السبب ، فبين له أني لم أستخلفك لنقص عندي ، فإن موسى استخلف هارون ، وهو شريكه في الرسالة أفما ترضى بذلك ؟ ومعلوم أنه استخلف غيره قبله ، وكانوا منه بهذه المنزلة ، فلم يكن هذا من خصائصه ، ولو كان هذا الاستخلاف أفضل من غيره لم يخف على عليّ ولما لحقه يبكي ، ومما يبين ذلك أنه بعد هذا أمر عليه أبا بكر سنة تسع ، وكونه بعثه لنبذ العهود ليس من خصائصه ، لأن العادة لما جرت أنه لاينبذ العهود ولا يعقدها إلا رجل من أهل بيته ، أي الشخص من عترته ينبذها حصل المقصود ولكنه أفضل بني هاشم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحق الناس بالتقدم من سائرهم ، فلما أمر أبا بكر بعد قوله : أما ترضى .. الخ . علمنا أنه لا دلالة فيه على أنه بمنزلة هارون من كل وجه ، وإنما شبهه به في الاستخلاف خاصة وذلك ليس من خصائصه ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بنوح وموسى عليهم السلام ، لما أشارا في الأسرى وهذا أعظم من تشبيه عليّ بهارون ، ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل ، والتشبيه بالشيء لمشابهته في بعض الوجوه كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب ، وأما قوله : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه الخ) . فهذا ليس في شيء من الأمهات إلا في الترمذي ، وليس فيه إلا من كنت مولاه فعلي مولاه ، وأما الزيادة فليست في الحديث وسئل عنها الإمام أحمد فقال ، زيادة كوفية ، ولا ريب

أنها كذب لوجوه : أحدها أن الحق لا يدور مع معين إلا النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله يوم غدير خم أذكركم الله في أهل بيتي فليس من الخصائص بل هو مساو لجميع أهل البيت وأبعد الناس عن هذه الوصية الرافضة ، فانهم يعادون العباس ، وذريته ، بل يعادون جمهور أهل البيت ، ويعينون الكفار عليهم .

وأما آية المباهلة فليست من الخصائص بل دعي عليّا وفاطمة ، وإبنيهما ولم يكن ذلك لأنهم أفضل الأمة ، بل لأنهم أخص أهل بيته كما في حديث الكسا اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ، فدعى لهم ، وخصهم ، والأنفس يعبر عنها بالنوع الواحد كقوله : (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (١)) وقال (فاقتلوا أنفسكم(٢)) أي يقتل بعضكم بعضا ، وقوله أنت مني وأنا منك ليس المراد أنه من ذاته ، ولا ريب أنه أعظم الناس قدرا من الأقارب ، فله من مزية القرابة والإيمان ما لا يوجد لبقية القرابة ، فدخل في ذلك المباهلة وذلك لا يمنع أن يكون في غير الأقارب من هو أفضل منه لأن المباهلة وقعت في الأقارب ، وقوله : (هذان خصمان) الخ . فهي مشتركة بين عليّ ، وحمزة ، وعبيدة ، بل سائر البدريين يشاركونهم فيها .

وأما سورة (هل أتى) فمن قال : إنها نزلت فيه ، وفي فاطمة ،

---

(١) سورة النور — الآية ١٢ .

(٢) سورة البقرة — الآية ٥٤ .

وابنيهما ، فهذا كذب لأنها مكية وزواج عليّ وفاطمة في المدينة يكذب هذا القول والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة ، وبتقدير صحته فليس فيه أن من أطعم مسكينا ، ويتيما ، وأسيرا أفضل الصحابة بل الآية عامة مشتركة فيمن فعل هذا ، وتدل على استحقاقه للثواب على هذا العمل ، مع أن غيره من الأعمال من الإيمان بالله والصلاة في وقتها والجهاد أفضل منه .

(١٢٦) ذكر رحمه الله حديث إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضي التأذين أقبل إلى قوله فليسجد سجدتين أخبر أن هذا التذكير والوسواس من الشيطان ، وذكر قبله سورة الناس وأمره بالسجدتين ولم يؤثمه والوسواس الخفيف لايبطلها إجماعا ، وإذا كان الأغلب فهل يعيد ؟ اختاره بن حامد ، والصحيح الذي عليه الجمهور لا إعادة فالحديث عام مطلق في كل وسواس ، ولم يأمر بالإعادة لكن ينقص أجره بقدر ذلك ، قال بن عباس ، ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، وذكر حديث عمار أن الرجل لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا عشرها إلا تسعها إلا ثمنها حتى قال إلا نصفها ، وهو حجة على ابن حامد ، وأداء الواجب له مقصودان : أحدهما : براءة الذمة بحيث يندفع العقاب ، فهذا لا تجب عليه الإعادة فإن مقصود الإعادة حصول الثواب المجرد وهو شأن التطوع ، ولكن حصول الحسنات الماضية للسيئات مع القبول الذي عليه الثواب يكفر عنه ومالا ثواب فيه لا يكفر ، وإن برئت منه الذمة كما في الحديث « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب ،

ولم يحصل له منفعة لكن برئت الذمة فاندفع العقاب فكان على حاله لم يزدد بذلك خيرا ، والصوم شرع لتحصل التقوى ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام (١)) .. الآية وقال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ، ولا يجهل ، فإن امروء شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم) قيل : يقول في نفسه ، وقيل : بلسانه ، وقيل يفرق بين الفرض ، والنفل ، والصحيح أنه بلسانه كما دل عليه الحديث ، وهو زجر لمن بدأه بالعدوان وفي الصحيح » من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه « بين أن الله لم يحرم عليه الأكل لحاجته إلى ترك الطعام كما يحرم السيد على عبده بعض ماله ، بل المقصود محبة الله ، وهى حصول التقوى ، فإذا لم يأت به فقد أتى ماليس فيه محبة ، ورضى فلا يثاب عليه لكن لم يعاقب عقوبة التارك والحسنات المقبولة له تكفر السيئات ، وفي الصحيح الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ، ولو كفر الجميع بالخمس لم يحتج إلى الجمعة ، لكن التكفير بالحسنات المقبولة ، وغالب الناس لا يكتب له من الصلاة إلا بعضها ، فيكفر ذلك بقدره والباقي يحتاج إلى تكفير ، ولهذا جاء إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة فإن أكملت وإلا قيل انظروا هل من تطوع فإن كان له تطوع أكملت به الفريضة ، ثم يصنع في سائر الأعمال كذلك ، وتكميل الفرائض بالتطوع مطلق ، فإنه إذ ترك بعض الواجبات استحق العقوبة ، فإذا كان له من جنسه تطوع سد مسده ، فلا يعاقب ،

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٨٣ .

وإن كان ثوابه ناقصــا وله تطوع سد مســدّه ، فيكمل به ثوابه ، وهو في الدنيا يؤمر بالإعادة حيث تمكن ، أو يجبره بما ينجبر به كسجدتي السهو ، وكالدم فيما ترك من واجبات الحج ، وكمثل صدقه الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وذلك لأنه إذا أمكنه أن يأتي بالواجب كان ذلك عليه ، ولم يكن بريء من عهدته ، بل هو مطلوب به كما لو لم يفعل بخلاف ما إذا تعذر يوم الجزاء ، فإنه لم يبق هناك إلا الحسنات ، ولهذا كان الجمهور على أن من ترك واجبا من الصلاة عمدا فعليه الإعادة مادام يمكن فعلها ، وهو إعادة في الوقت ، وفي حديث المسيء « ارجع فصل فإنك لم تصل،فدل على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعل صلاة بل يؤمر بالصلاة ، لأنها لم تكن بمقامة المأمور بها في قوله (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة (١)) : فإن قيل ففي حديث رفاعة الذي في السنن أنه جعل ماترك يؤاخذ بتركه فقط ، قيل : وكذلك نقول يثاب على ما فعل ، وليس كالتارك ، ويؤمر بالإعادة لدفع العقوبة ، فإن قيل فإذا لم يكن فعله مفردا طاعة لم يثب عليه قيل فعله وهو لم يثب عليه يعلم أنه لا يجوز ، أو كان ساهيا كالذي يصلي بلا وضوء ويسهو عن القرآن فيثاب ، ولا يعاقب ، ولكن يؤمر بالإعادة لأنه لم يفعل ما أمر به ، وكالنائم إذا استيقظ ، وأما إذا أمر بالإعادة فقد علم أنه لا يجوز فعله مفردا فلا يؤمر به مفردا ، فإن قيل : فإن ترك الواجب عمداً قيل هذا مستحق للعقاب ، وقد يكون اثمه كإثم التارك للصلاة والمسلم لا يصلي إلى غير قبلة ، أو بغير وضوء ، ومع هذا فقد يمكن إذا لم يفعله استخفافا بل مع الاعتراف بأنه مذنب

(١) سورة النساء – الآية ١٠٣ .

أن يثاب على ما فعل ، كمن ترك بعض واجبات الحج ، فإن قيل : فالفقهاء يقولون بطلت صلاته قيل : الباطل في عرفهم ضد الصحيح ، والصحيح عندهم ما حصل المقصود وبرئت به الذمة ، فإن قيل في سؤال يؤمرون بالإعادة ومن ترك شيئا من واجبات الإيمان لا يؤمر بالإعادة قيل ليس الأمر بالإعادة مطلقا ، بل يؤمر بالممكن ، فإن أمكنت الإعادة وإلا أمر بفعل الحسنات ، كتارك الجمعة ، فإنه لو أمر بالظهر فلا يسد مسدها ، ولا يزول الإثم ، وكذلك من ترك واجبا في الحج عمدا فإنه يؤمر به إن أمكن في الوقت وإلا أمر بالدم ، ولا يسقط عنه الإثم مطلقا ، بل هذا يمكنه من البدل ، وعليه أن يتوب منه توبة تغسل إثمه ومن ذلك أن يأتي بحسنات تمحوه ، وكذلك من فوت واجبا لا يمكنه استدراكه ، وأما إذا أمكن استدراكه فعله بنفسه ، وهكذا نقول فيمن ترك بعض واجبات الإيمان ، بل كل مأمور تركه فقد ترك جزءاً من إيمانه ، فيستدركه بحسب الإمكان ، فإن فات وقته تاب وفعل حسنات غيره ولهذا اتفقوا على إمكان إعادة الصلاة في الوقت الخاص ، والمشترك كمن يصلي الظهر بعد دخول العصر ، ويؤخر العصر إلى الاصفرار فتصح صلاته ، وعليه إثم التأخير وهو من المذمومين في قوله : فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) (١) وقوله : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة (٢)) فإنه تأخيرها عن وقتها الذي يجب فعلها فيه ، فإنه إضاعة لها ، وسهو عنها بلا نزاع أعلمه ، وجاءت به الآثار عن الصحابة والتابعين ، وقال صلى الله عليه وسلم في

---

(١) الماعون – الآية ٥ .

(٢) سورة مريم – الآية ٥٩ .

الأمراء الذين يؤخرونها (صلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة) وهم إنما كانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر والعصر إلى الاصفرار وهم مذمومون ، لكن ليسوا كمن تركها ، أو فوتها حتى غابت الشمس ، فإن هؤلاء أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم ونهى عن قتال أولئك ، فدل على صحة صلاتهم ، وفي الصحيح عنه من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر ، مع أن في الصحيح عنه تلك صلاة المنافق .. الخ .. واتفقوا على أن من نام عن صلاة أو نسيها فليصليها إذا ذكرها ، ويقضي على الفور عند الجمهور ، والشافعي يجعله على التراخي ، ومن نسي بعض واجباتها فهو كمن نسيها ، كما فعل عمر وعثمان لما صلوا بالناس ، ثم ذكروا أنهم جنبا فأعادوا ولم يأمرور الناس بالإعادة ، وأما من فوتها عمدا عالمـــا بوجوبها أو فوت بعض واجباتها التي يعلم ففيه نزاع ، قيل يصليها وهو قول الجمهور ، ومالك وغيره من أهل المدينة يقولون مالم يكن فرضا واجبا ، وهو الذي يسمونه سنة يعيد في الوقت ، كمن صلى بالنجاسة ، وأما الفرض كالركوع والطهارة فيعيد بعد الوقت .

(١٢٧) قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله جميل يحب الجمال) جوابا للسائل في بيان ما يحبه الله ، ويكرهه من الأفعال ، فإنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، والكبر من كسب العبد ، فخاف السائل أن يكون ما يتجمل به الإنسان فيكون أجمل به ممن لم يعمل مثله من الكبر ، فقال إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ، ونعلي حسنا ، وحسن ثوبه ونعله حاصل بفعله ، ليس كصورته فقال : إن الله جميل يحب الجمال ، ففرق بين الكبر الذي ذمه الله وبين الجمال الذي يحبه الله ، والله إذا خلق شخصا

أعظم من شخص إما في جسمه أو قوته ، أو عقله لم يكن هذا مبغضا لأنه بغير اختيار العبد ، وبخلاف ما إذا تكبر بذلك أو بغيره فإنه من عمله ، فإنه إذا خلق جميل الصورة لم يكن ذلك من عمله يحمد عليه ، أو يذم ، كما أنه إذا خلق أسود أو قصيراً يحمد على ذلك ، ولم يذم ولهذا لما كان المنافقون لهم جمال في الصورة بدون الإيمان شبههم بالخشب المسندة اليابسة التي لاتثمر ، وقد تكون الصورة عونا على الإيمان كالقوة والمال فيحمد إذا استعان بهما على الطاعة ، ويكون فيه الجمال الذي يحبه الله ، والأسود إذا فعل ما يحبه الله من الجمال كان فيه الجمال الذي يحبه الله ، والمقصود بيان ما يحبه الله ، ويكرهه وأول من أنكر المحبة والتكليم الجعد ابن درهم ، وطوائف أقروا أنه يحب ، وأنكروا أنه يحب غيره ، ومحبة المؤمنين لربهم أمر موجود في الفطر ، والقلوب وثبت أن التذاذهم يوم القيامة بالنظر إلى الله أعظم لذة في الجنة ، والإنسان في الدنيا يجد في قلبه بذكر الله ، وذكر محامده ، وآلائه ، وعبادته من اللذة مالا يجده بشيء آخر ، وفي الحديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما هي ؟ قال مجالس الذكر ، ومن هذا قوله : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) فإن هذا كان أعظم مجالس الذكر والمنكرون للرؤية ينكرون هذه اللذة ، وقد يفسرها من يتأول الرؤية بمزيد العلم على لذة العلم ، كالذي في الدنيا بذكره لكن تلك أكمل ، وهذا قول متصوفوا الفلاسفة ، والنفاة ، كالفارابي وكأبي حامد ، وأمثاله ، وأما أبو المعالي وابن عقيل ونحوهما فمنكرون أن يتلذذ أحد بالنظر إليه سبحانه ، وقال أبو المعالي يمكن أن يحصل مع النظر إليه لذة ببعض المخلوقات ، وهذا ونحوه مما

أنكر على ابن عقيل ، فإنه كان فاضلا ذكيا ولكن تتلون آراؤه في هذه المواضع ، ولهذا يوجد في كلامه كثيراً مما يوافق فيه المعتزلة ، والجهمية ، وهذا من ذاك ، وكذا أبو المعالي بنى هذا على أصل الجهمية الذي وافقهم فيه الباقلاني والقاضي أبو يعلي ، وغيرهما أن الله لاتحب ذاته ، ويزعمون أن الخلاف في ذلك مع الصوفية ، والسلف كلهم متفقون على أن الله سبحانه يستحق أن يحب ، وليس شيء أحق بأن يحب من الله سبحانه بل لا يصلح أن يحب غيره إلا لأجله ، وكل ما يحب المؤمن من طعام وشراب وغيره لا ينبغي له أن يفعله إلا ليستعين به على عبادته ، وما من مؤمن إلا وفي قلبه حب الله ، وهو يجد نفسه محتاجة إلى الله في تحصيل مطالبه ، ويجد في قلبه محبة لله غير هذه ، فهو محتاج إليه من جهة أنه ربه ، ومن جهة أنه إلهه ، قال تعالى : (إياك نعبد وإك نستعين(١)) فلابد أن يكون العبد عابدا لله ، ولابد أن يكون مستعينا به ، ولهذا فرض الله على كل مسلم أن يقولها في صلاته ، وهي بين العبد والرب ، وروى عن الحسن أن الله أنزل مائة كتاب ، وأربع كتب جمع سرها في الأربعة وجمع سر الأربعة في القرآن ، وجمع سر القرآن في الفاتحة وجمع سر الفاتحة في هاتين الكلمتين ، ولهذا ثنـــاها الله سبحانه في كتابه في غير موضع ، كقوله : (فاعبده وتوكل عليه(٢)) وقد قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله(٣)) فأخبر أن المؤمنين أشد

---

(١) سورة الفاتحة – الآية ٥ .

(٢) سورة هود – الآية ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة – الآية ١٦٥ .

حبا لله من المشركين لآلهتهم وأنهم يحبونهم كحب الله ، ومعلوم أنهم يحبون آلهتهم محبة قوية ، كما قال: (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم(١)) وإذا عرف أنه متصف بصفات الكمال ، كان حبه أشد مع قطع النظر بلغ عن نفعه(٢) .

(١٢٨) الله سبحانه يحب عباده المؤمنين فيريد الإحسان إليهم ، وهم يحبونه فيريدون طاعته ، وفي الصحيح ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، الخ . وما من مؤمن إلا ويجد في قلبه للرسول صلى الله عليه وسلم محبة لا توجد لغيره ، حتى إنه إذا سمع محبوبا له يسبه هان عليه عداوته ، ومهاجرته ، بل قتله وإن لم يفعل ذلك لم يكن مؤمنا ، قال الله تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله(٣)) الآية بل قال تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم(٤)) الآية فتوعد من كان الأهل والمال أحب إليه من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، وفي الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .. الخ . هذه الحلاوة لا يكون من محبة العوض الذي لم يحصل بعد ، بل الفاعل الذي لا يعمل إلا للكرى لا يجد حال العمل إلا التعب ، فلو كان لا معنى لمحبة الله ورسوله إلا محبّة ما يصير إليه لم يكن هناك حلاوة يجدها المؤمن في قلبه ، وهو في دار التكليف ، وهذا خلاف الشرع ، والفطرة ، فالله فطر العباد على ملة إبراهيم الحنيفية ، وأصلها محبة الله وحده ، فما من

(١) سورة البقرة - الآية ٩٣ .
(٢) قال فى الحاشية (لعله نفع غيره) .
(٣) سورة المجادلة - الآية ٢٢ .
(٤) سورة التوبة - الآية ٢٤ .

فطرة لم تفسد إلا وهي تجد فيها محبة الله تعالى ، ولكن قد تفسد الفطرة إما لكبر وغرض فاسد كفرعون ، وإما بأن يشرك معه غيره في المحبة كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله(١)) وأما أهل التوحيد ففي قلوبهم محبة لله لا يماثله فيها غيره ولهذا كان الرب محمودا حمدا مطلقا على كل ما فعله ، وحمدا خاصا على إحسانه إلى الحامد ، فهذا حمد الشكر ، والأول حمده على ما فعله كما قال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض(٢)) الآية .. والحمد ضد الذم ، والحمد خبر من محاسن المحمود مقرون بمحبته ، والذم خبر بمساويء المذموم مقرون ببغضه وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة وأول ما نطق به آدم « الحمد لله رب العالمين » وأول ما سمع من ربه يرحمك ربك ، وآخر دعوى أهل الجنة الحمد لله رب العالمين ، وأول ما يدعى إلى الجنة الحمادون ، ونبينا صاحب لواء الحمد ؛ آدم فمن دونه تحت لوائه ، وهو صاحب المقام المحمود ، فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود ، ولا حمدا إلا بحب المحمود ، وهو سبحانه المعبود المحمود ، وأول نصف الفاتحة الذي للرب حمده ، وآخره عبادته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » فجمع بين التوحيد ، والتحميد ، كما قال تعالى : (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين(٣)) والخطب لابد فيها من الحمد والتوحيد ، وكذلك

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٦٥ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ١ .

(٣) سورة غافر – الآية ٦٥ .

التشهد أوله ثناء وآخره الشهادتان ، وإذا كان العباد يحبونه ويثنون عليه فهو سبحانه أحق بحمد نفسه ، والثناء على نفسه ، والمحبة لنفسه ، كما قال أفضل الخلق « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فلا ثناء من مثني أعظم من ثناء الرب على نفسه ، ولا حب لمحبوب من محبه أعظم من محبة الرب لنفسه ، وكل ما يحبه من عباده فهو تابع لحبه لنفسه فالمؤمن إذا كان يحب ما يحبه لله فهو تبع لمحبة الله ، فكيف الرب تعالى فيما يحبه من مخلوقاته ؟ إنما يحبه تبعا لحبه لنفسه ، وخلق المخلوقات لحكمته التي يحبها ، فما خلق شيئا .. إلا لحكمه فهو سبحانه أحسن كل شيء خلقه ، وقال : (صنع الله الذي أتقن كل شيء(١)) وليس في أسمائه إلا اسم مدح ، ولهذا كلها حسنى ، والحسنى خلاف السوآى ، والحسن محبوب ممدوح ، فالمقصود بالخلق ما يحبه ، ويرضاه ، وذلك ممدوح ولكن قد يكون من لوازم ما يحبه وسائله ، فإن وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع ، كما يمتنع وجود العلم ، والإرادة بلا حياة ، ولهذا إذا ذكر باسم خاص قرن بالخير ، كالضار النافع فيجمع بين الإسمين لما في العموم والشمول الدال على وحدانيته وأنه وحده يفعل هذه الأشياء ولهذا لا يدعى بأحدهما وحده ، بل يذكران جميعا ولهذا كل نعمة منه فضل ، وكل نعمة منه عدل ، والإحسان بيده اليمنى والعدل بيده الأخرى وكلتا يديه يمنى مباركة ، والمقسطون يوم القيامة على يمينه ، والمقصود أنه سبحانه إذا خلق ما يبغضه لحكمة يحبها فهو مريد لكل ما خلقه وإن كان مما خلق ببغضه إنما خلقه

---

(١) سورة النمل – الآية ٨٨ .

لغيره ، والفرق بين المحبة والمشيئة مذهب السلف(١) .

(١٢٩) الناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان ، وطريق شرعي فالشرعي النظر فيما جاء به الرسول والاستدلال بأدلته ، والعمل به ، فلا يكفي علم بلا عمل ، ولا عمل بلا علم بل يكفي أحدهما ، وهي متضمنة الأدلة العقلية ، فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف ، وأما المبتدعان فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي ، والرأى البدعي فإن فيه باطلا كثيرا وكثير من أهله يفرطون فيما أمروا به من الأعمال ، فينحرفون إلى اليهودية الباطلة ، والثاني طريق أهل العبادة البدعية فينحرفون إلى النصرانية ، فهم في فساد من جهة العمل ومن نقص العلم ، وكثير ما يقدح أحدهما في الأخرى ، والكل يدعى اتباع الرسول ولا يوافق هؤلاء ، (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (٢)) الآية .. ما كان الرسول على طريقة هؤلاء ، ولا هؤلاء ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن العلم يحصل به بلا عبادة ، وكثير من أهل العبادة يزعمون أن طريق الرياضة يحصل للعارف بلا تعلم ، وكلا الفريقين غالط ، فإن لتزكية النفس تأثيرا عظيما في حصول العلم ، لكن لابد من النظرة والتدبر ، ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد ، ولم يعرف من جهة محمد ما خصه

---

(١) قال في حاشية المخطوطة : « والمقصود هنا التنبيه على المختلفين في الكتاب الذي يرد كل منهم قول الآخر وفي كلام كل منهم حق وباطل ، وقد ذكرنا مثالين : مثالا فى الأسماء والأحكام والوعد والوعيد ، ومثالا في الشرع والقدر ، ونذكر مثالا ثالثاً في القرآن ، فإن السلف اتفقوا على أنه كلام الله غير مخلوق ولم يقل أحد منهم إنه قـديم ، وصار المختلفون بعدهم على قولين – صح » قال في الحاشية : كل هذا يقر فإنه تابع للأصل .

(٢) سورة آل عمران – الآية ٦٧ .

الله به لم يعلم وكذلك لو نظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته ، ولا يحصل العلم النافع إلا مع العمل ، وإلا فقد قال تعالى : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم(١)) وذكر آيات وقال : (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به(٢)) الآيات ، وذكر آيات وقال تعالى للرسول الذي كان أزكى الناس نفسا ، وأكملهم عقلا قبل الوحي (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا (٣)) الآية وقال : (وإن اهتديت فبما يوحى إلي ربي(٤)) وقال : (فإما يأتينكم مني هدى(٥)) الآيات وقال : (ومن يعش عن ذكر الرحمن(٦)) .. الآيتين ، قال المفسرون : يعش عنه لا يلتفت إليه فكل من عشى عن القرآن قيض له شيطانا يضله ، ولو تعهد ، قال ابن عباس يعمى ، وقال أبو عبيدة تظلم عينه ، واختاره ابن قتيبة والعشى ضعف البصر ولهذا قال يعش ، وقول من قال : يعرض صحيح من جهة المعنى فإن يعش مضمن يعرض ، ولهذا عدي بعن ، كما يقال أنت أعمى عن محاسن فلان إذا أعرضت فلم تنظر إليها ، فقوله يعش أى يكون أعشى عنها ، وهو دون الأعمى ، فلم ينظر إليها إلا نظرا ضعيفا ، وهذا حال أهل الضلال الذين لم ينتفعوا بالقرآن فإنهم لاينظرون فيه كنظرهم في كلام أئمتهم ، لأنهم يحسبون أنه لا يحصل المقصود ، ولهذا لاتجد في كلام من لم

(١) سورة الصف – الآية ٥ .
(٢) سورة النساء – الآية ٦٨ .
(٣) سورة الشورى – الآية ٥٢ .
(٤) سورة سبأ – الآية ٥٠ .
(٥) سورة طه – الآية ١٥٣ .
(٦) سورة الزخرف – الآية ١٢٣ .

يتبع الكتاب والسنة بيان الحق لكثرة ما فيه من وساوس الشياطين كما قال بعضهم في كتاب المحصل للرازي .

محصل في أصول الدين حاصله
من بعد تحصيله أصل بلا دين

أصل الضلالات والشد المبين وما فيه فأكثره وحي الشياطين .

(١٣٠) المنحرفون في الصحابة وغيرهم صنفان : القادحون بما يغفره الله ، والمادحون الذين يجعلون السعي المغفور من السعي المشكور ، وعثمان تقابلت فيه الخوارج والشيعة وطائفة من بني أمية وغيرهم لكن الغالين فيه أقل غلوا من الغالين في علي ، وفي غالب الأمور تجد بدع هؤلاء أشنع من بدع أولئك ، وعقوبة الآخرة تندفع بعشرة أسباب : الأول التوبة والثاني الاستغفار الذي من جنس الدعاء ، الثالث الأعمال الصالحة فإن الحسنات يذهبن السيئات ، لكن الحسنات على حسب ما في قلب صاحبها من الإيمان وربما مثل أحد ذهبا ينفقه الإنسان ولا يصير مثل مد الرابع الدعاء للمؤمنين مثل صلاة المسلمين على الميت ودعائهم له ، والخامس دعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره في حياته ، وبعد مماته كشفا عنه يوم القيامة السادس .. ما يهدي للميت من العمل الصالح .. السابع المصائب التي تكفر الخطايا ، والصحابة أصيبوا بمصائب منها الفتن مع أنهم أقل فتنا ممن بعدهم ، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق ، والاختلاف ، ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة فلما قتل تفرقوا ، وحدثت بدعتان بدعة الخوارج ، وبدعة الروافض ثم في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة ، والقدرية ، ثم لما كان في آخر

عصر التابعين حدثت بدعة الجهمية ، وبدعة المشبهه ، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من هذا وكذلك فتن السيف فإنهم في ولاية معاوية متفقون يغزون العدو فلما مات قتل الحسين ، وحوصر ابن الزبير بمكة وفتنة الحرة ، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله ، وجرت فتنة مصعب ابن الزبير ، وقتل المختار وجرت فتنة ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة ثم أرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره ثم قتله ، وجرت فتنة ثم تولى الحجاج العراق فخرج عليه ابن الأشعث وكانت فتنة كبيرة ، وهذا كله بعد موت معاوية ، ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان ، وقتل زيد بن علي بالكوفة في فتن أخر ، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها ثم هلم جرا فلم يكن ملك ملوك المسلمين خير من معاوية ، وروى الأثرم عن قتادة قال لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي ، ثم ذكر مثله عن مجاهد ، والأعمش وفضائله ، وعدله ، وحسن سيرته كثير ، وفي الصحيح أن ابن عباس قال لمن قال له إن معاوية أوتر بركعة أصاب ، أنه فقيه وقال أبو الدرداء ما رأيت أشبه صلاة بصلاة رسول الله من إمامكم هذا يعني معاوية فهذا كلام ابن عباس ، وأبي الدرداء وهما هما ،والمقصود أن الفتن التي بين الأمة والذنوب التي لها بعد الصحابة أكثر وأعظم ،ومع هذا فمكفرات الذنوب موجودة ، وأما الصحابة فأكثرهم ما دخل في فتنة قال أحمد ثنا ابن عليه عن أيوب عن ابن سيرين قال هاجت الفتنة والصحابة عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين وهذا من أصح إسناد

على وجه الأرض ، وابن سيرين من أرو الناس في منطقه ومراسليه من أصح المراسيل ، وقال أحمد ثنا اسماعيل ثنا منصور ابن عبد الرحمن قال الشعبي لم يشهد الجمل من الصحابة إلا أربعة فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب وقال أحمد ثنا أمية بن خالد قال قيل لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال شهد صفين من أهل بدر سبعون فقال كذب والله لقد ذكرت الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة قلت هذا النفي يدل على قلة من حضرها وقيل حضرها سهل بن حنيف ، وأبو أيوب وروى ابن بطه عن بكير عن الأشج أن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا لقبورهم . التاسع(١) .. ما يحصل في الآخرة من كرب يوم القيامة .. العاشر(٢) .. المقاصة في القنطرة بعد الصراط كما في الصحيحين فهذه الأسباب لاتفوت المؤمنين كلها إلا القليل فكيف الصحابة ؟ ووصى العلماء بالإمساك عما شجر بينهم ، لأنا لا نسأل عن ذلك ، قال عمر بن عبد العزيز (تلك دماء طهر الله يدى منها فلا أحب أن أخضب بها لساني) لكن إذا قدح فيهم مبتدع بالباطل فلا بد من الذب عنهم بعلم ، وعدل ، وقوله : « زاد في الأذان يوم الجمعة وهو بدعة ، فعليّ ممن وافق على ذلك ولم يغيره في ولايته كما غيره ، ولو أزاله لنقل ، فإن قيل : لأن الناس لايوافقونه قيل : فهو دليل على أن الناس وافقوا على استحسانها ، ولو قدر أن في الصحابة

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في التحفة العراقية : أن الثامن (أو يبتليه في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه ا : هـ) هامش المخطوطة .

(٢) وقال في العاشر (أو يرحمه أرحم الراحمين) هامش المخطوطة .

من أنكره فهو من وسائل الاجتهاد ، وقوله هي بدعة ، إن أراد أنه لم يفعل قبله فقتال أهل القبلة كذلك ، فإن قيل : بل البدعة ما فعله بغير دليل شرعي قيل : من أين لكم أن عثمان فعله بغير ذلك ؟ وعليّ أحدث في خلافته العيد الثاني بالجامع وابن عباس عرف بالبصرة في خلافة عليّ ، ولم يذكر عنه أنه أنكره ، والنداء الأول اتفق عليه الناس ، كما اتفقوا على ماسن عمر من جمع الناس في رمضان على إمام واحد وأما ما سنه عليّ من العيد ففيه نزاع وأحمد بن حنبل وكثير من العلماء يتبعون عليّا فيما سنه ، وآخرون من العلماء كمالك وغيره لا يتبعون عليّا فيما سنه ، وكلهم متفقون على اتباع عمر وعثمان فيما سناه ، ومن هذا الباب ما يذكر مما فعله عمر من تضعيف الصدقة التي هي جزية في المعنى على نصارى بني تغلب ، وأمثال ذلك .

(١٣١) لفظ الآية لايخالف ماتواتر من السنة ، فإن المسح جنس تحته نوعان : الإسالة وغيرها تقول العرب تمسحت للصلاة فما كان بالإسالة فهو الغسل وإذا خص أحد النوعين باسم الغسل فقد يخص الآخر باسم المسح ولهذا نظائر مثل لفظ ذوي الأرحام يعم العصبة وغيرهم ، ثم لما كان للعصبة وذوي الفروض اسما يخصهما بقي لفظ ذوي الأرحام مختص في العرف لا يرث بفرض ولا تعصيب ، وكذلك لفظ الجائز ، والمباح يعم ماليس بحرام ثم قد يختص بأحد الأقسام الخمسة ، وكذلك لفظ الحيوان يتناول الإنسان ثم قد يخص بغيره ، ومثل هذا كثير ، ومنه لفظ المسح ، وفي القرآن ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الخاص ، فإنه قال إلى الكعبين ، ولم يقل إلى الكعاب كما قال إلى المرافق ، فدل على أنه ليس في

كل رجل كعب ، بل كعبان فيكون أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين ، وهذا هو الغسل ، فإن من المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين ، وفي ذلك الغسل في العضوين الأولين ، والمسح في الآخرين تنبيه على أن هذين يجب فيهما المسح العام ، فتارة يجزيء الخاص كما في العمامة والخفين ، وتارة المسح الكامل ، وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم غسل الرجلين ، والمسح على الخفين ، وفيه تنبيه على قلة الصب في الرجل لأن الصرف يعتاد فيها وفيه اختصار الكلام ، فإن المعطوف والمعطوف عليه إذا كان فعلاهما من جنس واحد اكتفى بذكر أحدهما كقوله : (يطوف عليهم ولدان) إلى قوله (وحور عين [1]) ، وهن لا يطاف لهن لكن المعنى يؤتى بهذا ، وبهذا ، وهم قد يحذفون ما يدل الظاهر على جنسه لا على نفسه ، كقوله : (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما[2]) والمعنى يعذب الظالمين ، والآية فيها قراءتان ومن قرأه بالخفض فقوله : مسحت الرجل ليس مرادفا لمسحت بالرجل فإذا عدى بالباء أريد به معنى الإلصاق أي ألصقت بها شيئا ، وإذا قيل مسحتها لم يقتض ذلك بل مجرد المسح ، وهو لم يرد مجرد المسح باليد إجماعا ، فتعين أنه أراد المسح بالماء وهو مجمل فسرته السنة ، وبالجملة فالقرآن ليس فيه نفي إيجاب الغسل ، بل فيه إيجاب المسح فلو قدر أن السنة أوجبت قدرا زائدا على القرآن لم يكن دفعا لموجب القرآن ، فكيف إذا فسرته السنة والسنة تفسر القرآن ، وتقضي على ما يفهمه بعضهم من ظاهر القرآن وقولهم إن الفرض مسح الرجلين

---

(١) سورة الواقعة – الآيات ١٦ إلى ٢٢ .

(٢) سورة الدهر – الآية ٣١ .

إلى الكعبين مجتمع الساق ، والقدم لا يدل عليه القرآن بوجه من الوجوه ، فإنه أوجب المسح بالرؤوس وبالأرجل إلى الكعبين مع إيجابه غسل الوجوه والأيدي إلى المرافق ، فظاهره أن في كل يد مرفقا ، وفي كل رجل كعبين ، فهذا على قراءة الخفض .. وأما على قراءة النصب فالعطف أنما يكون على المحل إذا كان المعنى واحداً ، كقول الشاعر :

معاوي إننا بشر فاسمح

فلسنا بالجبال ولا الحديد

فلو كان معنى مسحت برأسي ورجلي مسحت رأسي ورجلي لأمكن كونه على المحل ، والمعنى مختلف فعلم أن قوله ، وأرجلكم بالنصب عطف على وأيديكم ، فعلم أنهم لم يتمسكوا بظاهر القرآن ، وهذا حال سائر أهل الأقوال الضعيفة إذا حقق الأمر عليهم لم يوجد في ظاهر القرآن ما يخالف السنة كقول الخوارج لا يصلى في سفر الأمن إلا أربعاً ، ومن قال : لا يحكم بشاهد ويمين وبين أن ما دل عليه ظاهر القرآن حق ، وأنه ليس بعام مخصوص ، فإنه ليس هناك عموم لفظي ، بل مطلق كقوله : (اقتلوا المشركين) فإنه عام في الأعيان مطلق في الأحوال ، وقوله (يوصيكم الله في أولادكم) وقال في آية المتعة ليس في الآية لفظ صريح يحلها فإنه قال : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) الآية فقوله : (فما استمتعتم به منهن(١)) يتناول كل مدخول بها تعطى جميع الصداق بخلاف المطلقة قبل الدخول ، وليس لتخصيص الآية بالموقت معنى بل في المؤبد ، أولى ، فلا بد من

(١) سورة النساء – الآية ٢٤ .

دلالتها عليه إما بالتخصيص وإما بالعموم ، يدل عليه ذكره بعد نكاح الإماء ، فدل على أنه في كل نكاح الحرائر مطلقـــا ، فإن قيل ففي قراءة طائفة (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) قيل أولا ليست متواترة ، فإن كان هذا نزل فهو منسوخ ونزوله لما كانت مباحة فليس في الآية ما يدل على أن الاستمتاع بها إلى أجل حلال فإنه لم يقل وأحل لكم أن تستمتعوا بهن إلى أجل مسمى ، بل قال فيما (استمتعتم به منهن) الآية فتتناول ما وقع من الاستمتاع سواء كان حلالا ، أو وطء شبهة ، ولهذا يجب المهر في النكاح الفاسد بالسنة ، والاتفاق ، فإذا اعتقد حل المتعة وفعلها فعليه المهر ، وأما الاستمتاع المحرم فلم تتناوله الآية ، والقرآن إنما أباح الزوجة وملك اليمين ، فإنها لو كانت زوجة لتوارثا ولوجبت عليها عدة الوفاة ، ولحقها الطلاق الثلاث ، والمتمتع بما ليست زوجة ولا ملك فتكون حراماً بنص القــرآن ، وقال في آية الميراث ليس في عمومها ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم يورث ، لأن الخطاب شامل للمقصودين به ، وليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم مخاطب بها ، وإن لم يعلم أن المعين مقصود لم يشمله ، وكاف الجماعة في القرآن تارة تكون للنبي ، وللمؤمنين ، وتارة تكون لهم دونه ، كقوله : (واعلموا أن فيكم رسول الله(١)) الآية وقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم(٢)) الآية وقوله : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (٣)) فلم يجوز

---

(١) سورة الحجرات – الآية ٧ .

(٢) سورة التوبة – الآية ١٢٨ .

(٣) سورة محمد – الآية ٣٣ .

أن تكون الكاف في يوصيكم الله في أولادكم مثل هذا ؟ فإن قيل ما ذكر فيه ما يقتضي اختصاص الأمة ،فإنه لما خاطبهم بطاعته علم أنه ليس داخلا ، وقيل وكذلك آية الفرائض ، لما قال آباؤكم وأبناؤكم ، وكذلك قوله غير مضار ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » واتفقت الأمة عليه حتى ظن بعض الناس أن آية الوصية نسخت به .

وأما السلف والجمهور فقالوا الناسخ آية الفرائض ؛ إن الله قدر فرائض محدودة منع من تعديلها ، والآية لم يقصد بها بيان من يرث ، ومن لا يرث ، ولا بيان صفة الموروث والوارث وإنما قصد بها أن المال الموروث يقسم بين الوارثين على هذا التفضيل ، ولهذا لو كان الميت مسلما وهؤلاء كفارا لم يرثوا إجماعا ، وكذلك بالعكس وكذلك لو كان عبدا وهم أحرار ، والعكس ، وإذا علم أن في الموتى من يرثه أولاده ومن لايرثه ولم يذكر صفة الوارث والموروث علم أنه لم يقصد بها بيان ذلك ، وهذا كقوله : (فيما سقت السماء العشر) قصد به الفرق بين ما يجب فيه العشر ونصفه فلا يحتج به على صدقة الخضروات ، وقوله : (وأحل الله البيع وحرم الربا(١)) قصد به الفرق بينهما ، لا يجوز بيعه وما لا يجوز فلا يستدل بهعلى جواز بيع كل شيء ولو قدر العموم فقد خص منه الولد الكافر والعبد والقاتل بأدلة أضعف من خروجه صلى الله عليه وسلم منها وبالجملة فإذا خصصت بنص أو إجماع خصت بنص آخر إجماعا ، وفي تخصيص عموم القرآن ، إذا لم يكن مخصوصا بخبر الواحد خلاف ومن سلك هذا

(١) سورة البقرة – الآية ٢٧٥ .

قال عموم مخصوص ، ومن سلك الأول لم يسلم ظهور العموم فهي عامة في الأولاد والموتى مطلقة في الموروثين ، والشروط لم تتعرض لها الآية كقوله اقتلوا المشركين عام في الأشخاص ، مطلق في المكان ، والأحوال ، فالخطاب المقيد لهـذا المطلق خطاب مقيد مبين لحكم شرعي وقوله : (وورث سليمان داود(١)) وقوله : (يرثني ويرث من آل يعقوب(٢)) يدل على جنس الإرث لا على إرث المال فالاستدلال به عملية جهل بوجه الدلالة ، وأما آية الطهارة فليس فيها أن الله أذهب عنهم الرجس كلهم ، ومن قاله : فقد كذب على الله ، وأيضا إنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم ، وذهاب الرجس عنهم ، فإن الإرادة فيها كقوله : (يريد الله ليبين لكم(٣)) الآية وكقوله : (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم(٤)) ومعناها الأمر والمحبة ، ليست إرادة لمشيئته المستلزمة لوقوع المراد ، وهذا على قول هؤلاء الشيعة القدرية أظهر فعندهم أنه يريد مالا يكون وحديث الكسا يرد عليهم من وجهين : أحدهما الدعاء بذلك ، ولو وقع لأثنى على الله بوقوعه ، وشكره لا يقتصر على الدعاء والثاني أنه قادر على إذهاب الرجس عنهم ومما يبين تضمنها للأمر والنهي قوله في سياق الكلام : (يانساء النبي من يأت منكن(٥)) الآية فدل على أنه أمر ونهي ، وأن أزواجه من أهل بيته فالسياق في خطابهن ويدل

---

(١) سورة النمل – الآية ١٦ .
(٢) سورة مريم – الآية ٦ .
(٣) سورة النساء – الآية ٢٦ .
(٤) سورة المائدة – الآية ٦ .
(٥) سورة الأحزاب – الآية ٣٠ .

على أنه عم غيرهن لذكره بصيغة التذكير لما اجتمع المذكر والمؤنث ، وهؤلاء خصوا بكونهم من أهل البيت فلهذا خصهم بالدعاء ، كما أن مسجد قباء أسس على التقوى فتناول اللفظ لمسجده أولى ، واختلف أهل أزواجه من آله هما روايتان عن أحمد : أصحهما أنهن من آله ، لما في الصحيحين اللهم صلي على محمد ، وعلى أزواجه ، وذريته إلى آخره ، وتحريم الصدقة ، من التطهير الذي أراده الله ، لأنها أوساخ الناس ، وقوله في آية المودة غلط ، ابن عباس من كبار أهل البيت ، وأعلمهم بتفسير القرآن يدل عليه أنه لم يقل إلا المودة لذوي القربى كما في آية الخمس،والرسول لا يسأل أجرا أصلا ، وأنما أجره على الله وعلى المسلمين موالاتهم ، لكن بأدلة أخرى والآية مكية قبل تزوج على بفاطمة وأما آية الابتهال فخصهم لأنهم أقرب إليه من غيرهم ، فإنه لم يكن له ولد ذكر إذ ذلك وبناته لم يبق منهن إلا فاطمة فإن المباهلة سنة تسع ، وهى تدل على كمال اتصالهم به لحديث الكساء ، ولا يقتضي أن يكون الواحد منهم أفضل من سائر المؤمنين ، ولا أعلم لأن ذلك بكمال الإيمان ، والتقوى لا بقرب النسب ، وحديث المؤاخاة موضوع وقوله : (وأنفسنا وأنفسكم (١)) كقوله : (ولا تقتلوا أنفسكم(٢)) وقوله لعلي : (أنت مني وأنا منك) قاله : لغيره ، وقوله : (ومن قتله منكم متعمدا(٣)) فالقائلون بوجوب الجزاء على المخطيء يستدلون بالسنة ، والآثار ، والقياس على القتل خطأ ويقولون خص الله

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٦١ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٩ .

(٣) سورة المائدة – الآية ٩٥ .

المتعمد لذكره من الأحكام ما يختص به من الانتقام ومثله : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا(١)) أراد قصر العدد والأركان، وهو يتعلق بالسفر، والخوف، ولا يلزم من اختصاص المجموع بالأمرين أن لا يثبت أحدهما مع أحد الأمرين وله نظائر .

(١٣٢) قال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه بشيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله(٢)) فإن المماثل له إما أن يقول الله أوحى إليّ ، أو يقول أوحي إليّ ، أو ألقي إليّ ، ولا يسمى القائل أو يضيفه إلى نفسه فإنه إذا جعله من الشياطين لم يقبل ، ومن جعله من الملائكة داخل فيما يضيف إلى الله ، فتبين كيف جعل الأولين في حيز الذي جعله وحيا من الله ، أو وحيا ولم يسم الموحى فإنهما جنس واحد ، في إدعا جنس الأنباء ، وجعل الآخر في حيز بهؤلاء الثلاثة المدعون لجنس النبوة ، وقد تقدم قبلهم الكذب لها فهذا يعم جميع أصول الكفر ، وهذه هي أصول البدع التي تردها وهذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما قال الزهري ، كان علماؤنا يقولون .. الاعتصام بالسنة نجاة ، وقال مالك : السنة سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وذلك أنها هي الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله ، والرسول هو الهادي الخريت ، ومن أصول الإيمان الله (٣)

---

(١) سورة النساء – الآية ١٠١ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ٩٣ .

(٣) قال في حاشية المخطوطة هكذا في الأصل .

يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ، كما قال تعالى : (ضرب الله مثلا كلمة طيبة (١)) الآية والكلمة أصل العقيدة ، فالاعتقاد الكلمة التي يعتقدها المرء ، وأطيب الكلم كلمة التوحيد ، وأخبث الكلم كلمة الشرك ، ولهذا قال سبحانه : (ما لها من قرار) ولهذا كل ما بحث الباحث ، وعمل العامل على هذه الكلمات والعقائد الخبيثة لايزداد إلا ضلالا ، وعلما ببطلانها ، ولهذا قال : (والذين كفروا أعمالهم كسراب (٢)) الآية وهؤلاء يعيبون منازعهم ، إما بعدم التمييز بين الحديث الصحيح وغيره ، وأما لأن اتباع الحديث في مسائل الأصول لا يفيد ذلك ، أولا يفي به ، فالأمر يرجع إلى أحد أمرين إما ريب في الإسناد ، أو أن ما فهموه لا يعلم من اللفظ لما فيه من الاحتمال ، ولا ريب أن هذا عمدة كل زنديق منافق يبطل العلم الذي بعث الله به رسله تارة ، يقول لا نعلم أنهم قالوه ، وتارة يقول لا نعلم ما أرادوا بهذا القول ، ولمعنى انتفاء العلم بقولهم لم نستفد علما من جهتهم فيتمكن بعد ذلك أن يقول ما يقول آمنا أن نعارض بآثار الأنبياء ، وهذا عين الطعن في النبوة ولما بلغ الإمام أحمد عن ابن أبي قتيلة أنه قال أصحاب الحديث قوم سوء فقام أحمد وهو ينفض ثوبه ويقول : زنديق زنديق فإنه عرف مغزاه ، وعيب المنافقين للعلماء ، وبما جاء به الرسول قديم من المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يدعون القراء فقالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء الخ . والصحابة يعلمون ما جاء به ، وفيه بيان الحجة على بطلان كفر كل كافر وبيان

(١) سورة إبراهيم — الآية ٢٤ .
(٢) سورة النور — الآية ٣٩ .

ذلك بقياس صحيح أحق وأحسن بيانا من مقاييس أولئك الكفار ، كما قال : (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا(١)) أخبر سبحانه أن الكفار لا يأتون بقياس عقل لباطلهم إلا جاء الله بالحق ، وجاء من البيان والدليل وضرب المثل ما هو أحسن كشفا للحق من قياسهم ، وجميع ما يقولونه مندرج في علم الصحابة ، والآية ذكرها الله بعد قوله : (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ، وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا (٢)) فبين أن من هجر القرآن فهو من أعداء الرسل ، وأن هذا الأمر لا بد منه إلى قوله ويوم يعض الظالم على يديه إلى قوله خذولا ، والله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العالمين ، وضرب الأمثال فيما أرسله به لجميعهم ، كما قال : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون (٣)) فأخبر أنه ضربها لجميعهم ، وإلا فالمخاطبين بحسب الحاجات كالسلاح في القتال ، فإذا كان العدو في تحصنهم على غير ما كانت عليه فارس والروم كان جهادهم على ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع ، وللعبد أنفع كرمي أهل الطائف بالمنجنيق ، وكاتخاذ الخندق ، وما أمر به الرسول فهو من الدين الذي شرعه الله ، وإن تنازع أولو الأمر في بعضه وسواء فعل على عهده صلى الله عليه وسلم أولا ، فما فعل بعده بأمره من قتال المرتدين ، والخوارج المارقين ، وفارس والروم ،

---

(١) سورة الفرقان – الآية ٣٣ .

(٢) سورة الفرقان – الآية ٣٠-٣١ .

(٣) سورة الزمر – الآية ٢٧ .

والترك ، وإخراج اليهود ، والنصارى من جزيرة العرب ، وغير ذلك هو من سنته ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز من رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، وكما أن الله بين في كتابه مخاطبة أهل الكتاب وأقام عليهم الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما حرفوا وبدلوا ، وصدق بما جاءت به الرسل حتى إذا سمع ذلك العالم منهم المنصف وجده من أبين الحجة والمحاجة ولا تنفع إلا مع العدل ، وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه ، ويمتنع عن النظر والاستماع ، وهو معرض كما أن الإحساس الظاهر كذلك وطالب العلم يجتهد في طلبه من طرقه ، ولهذا سمي مجتهدا ، ولهذا قال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم(١)) فالظالم ليس علينا مجادلته بالتي هي أحسن ، فإن حرفوا الكلم أمكن معرفة ذلك ، كما قال تعالى : (قل فأتوا بالتوراة(٢)) الآية وإذ ذكروا حجة عقلية فهمت أيضا ، وبين مافي القرآن من ردها كالنسخ قال الله تعالى : (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(٣)) وعلى بعض ما في الآية اعتماد جميع المتكلمين حيث قالوا : التكليف إما تابع للمشيئة أو للمصلحة ، وعلى التقديرين فهو جائز ، ثم بين سبحانه وقوعه بتحريم الحلال في التوراة وقد أحلها لإسرائيل ، وأنه تحليل بخطاب ليس لمجرد البقاء على الأصل حتى يكون نسخا ، كما ادعاه بعضهم ، والكلام الذي يخالف القرآن

---

(١) سورة العنكبوت — الآية ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران — الآية ٩٣ .

(٣) سورة البقرة — الآية ١٤٢ .

أو يوافقه من كلام أهل الكتاب والصابئين ، والمشركين فالقرآن فيه تفصيل كل شيء ، كما قال تعـالى : (ولكن تصـديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء(١)) ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه ، وتبليغه لغير العرب بالترجمة ، وإذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم وجد القرآن والسنة كاشفا لأحوالهم ، مبينا لحقهم ، مميزا بين حق ذلك وباطله والصحابة أعلم الخلق به ، وهم أقوم الخلق بجهاد الكفار ، والمنافقين كما قال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ، كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، فأخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم ، وهذا قليل في المتأخرين كما يقال : من العجائب فقيه صوفي ، وعالم زاهد ، فإن أهل بر القلوب يقترن بهم كثير ، لعدم المعرفة التي توجب النهي عن الشر والجهاد (٢) ، وأهل التعمق في العلم قد يذكرون من معرفة الشرور والشبهات ، ما يوقعهم في الغي والضلال ، وأكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن به التكلف المذموم من المتكلمين ، والمتعبدين ، وهو القول والعمل بلا علم ، وطلب ما لايدرك ، خلافا لما عليه الصحابة ، وهذا من من الله على هذه الأمة ، كما في أثر المسيح « أهب لهم من علمي وحلمي » وهذا من خواص متابعة الرسول ، فمن كان له أتبع كان فيه أكمل ،

---

(١) سورة يوسف - الآية ١١١ .

(٢) لعلها الفساد .

كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله(١)) إلى آخر السورة ثم ذكر حديثي أبي موسى ، وابن عمر ، فدل الكتاب والسنة على أن الله يؤتي أتباع الرسول من فضله مالم يؤته لأهل الكتابين ، فكيف بغيرهم ؟ والمقصود ذكر الطريقة العلمية والعملية ، فمتى كان غير الرسول قادراً على علم ذلك أو بيانه أو محبة نفاذه فهو أعلم بذلك ، وأحرص على الهدى ، وأقدر منه على بيانه .

(١٣٣) اعلم أن الله سبحانه علم آدم الأسماء كلها ، وميز كل مسمى باسم يدل على ما يفصله من الاسم المشترك ، وما يخصه دون ما سواه ويبين به ما يرتسم معناه في النفس ، ومعرفة حدود الأسماء واجبة ، لأن بها قيام مصلحة الآدميين في المنطق الذي جعله الله رحمة لهم ، لا سيما حدود ما أنزل الله من الأسماء كالخمر والربا فهذه الحدود هي المميزة بين ما يدخل في المسمى وما يدل عليه من الصفات ، وبين ماليس كذلك ، ولهذا ذم الله من سمى الأشياء بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، كآلهة الأوثان ، فالأسماء المنطقية سمعية ، أما نفس تصور معانيها في الباطن ففطري يعرف بالحس الباطن ، والظاهر ، وبإدراك الحس وشهوده يبصر الإنسان الأشياء بباطنه ، وظاهره ، وبسمعه . بعلم أسمائها وبفؤاده يعقل الصفات المشتركة، والمختصة ، والله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، وجعل لنا السمع والأبصار ، والأفئدة فأما الحدود المتكلفة فليس فيها فائدة لا في العقل ، ولا في الحس ، ولا في السمع ، إلا ما هو كالأسماء مع التطويل أو ماهو كالتمييز بسائر الصفات ، والله سبحانه علم الإنسان البيان كما قال تعالى :

---

(١) سورة الحديد – الآيتين ٢٨ – ٢٩ .

(الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان(١)) وقال : (وعلم آدم الأسماء كلها (٢)) وقال : (علم الإنسان مالم يعلم(٣)) والبيان بيان القلب واللسان ، كما أن العمى والبكم يكون بالقلب واللسان ، كما قال تعالى : (صم بكم عمي(٤)) وقال صلى الله عليه وسلم « فإنما شفاء العي السؤال » ، وفي الأثر « العي عن القلب لا عن اللسان » وقال : (شر العمى عمى القلب) وكان ابن مسعود يقول ، إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه ، وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وأما بيان اللسان وخطابه فيحمد منه البلاغ ويذم منه (التشدق والتفهيق) (٥) وتبين الأشياء بالقلب ضد اشتباهها عليه ، كقوله الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات ، وقرىء (ولتستبين سبيل المجرمين(٦)) بالرفع والنصب أي تستبين أنت سبيلهم ، فالأشياء لتستبين الأشياء ، وهم يقولون بين الشيء ، وبينته وتبين وتبينته ، واستبان .. واستبنته ، كل هذا يستعمل لازما ومتعديا ، فقوله : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (٧)) هنا متعد وقوله : (فاحشة مبينة (٨)) فهنا لازم ، فالبيان بمعنى تبيين الشيء وبمعنى بينت الشيء ، أى أوضحته ، وهذا هو الغالب ، كقوله : « إن من البيان لسحرا »

(١) سورة الرحمن — الآية ١ — ٤ .
(٢) سورة البقرة — الآية ٣١ .
(٣) سورة العلق — الآية ٥ .
(٤) سورة البقرة — الآية ١٨ .
(٥) قال في الحاشية : في الأصل بياض لعله « التشدق والتفيهق » .
(٦) الأنعام — الآية ٥٥ .
(٧) سورة الحجرات — الآية ٦ .
(٨) سورة النساء — الآيات ١٩ .

أو المقصود ببيان الكلام حصول البيان للقلب ، والذي لا يستبين له فهو كما قال: (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى(١)) وقال: (يبين الله لكم أن تضلوا (٢)) وقوله : (قل إني على بينة من ربي (٣)) فأما الأشياء المعلومة التي ليس في زيادة وصفها إلا كثرة كلام ، وتفهيق ، وتشدق ، والتكلم والإفصاح بما يستقبح ذكره فهذا مما ينهى عنه ، كقوله : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها ،» وفي الحديث الحياء والعي شعبتان من الإيمان ، والبذا والبيان شعبتان من النفاق ، وأما متى أدخل أحدهما الحد ما أخرجه الآخر أو بالعكس فهذا علم يستفاد به حد الاسم ، ومعرفة عمومه ، وخصوصه ، مثل الكلام في حد الخمر هل هو عصير العنب المشتد أو كل مسكر ، وحد الغيبة ، ونحو ذلك ، وقوله الكبر بطر الحق ، وغمط الناس ، فقوله : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام لم يذكره للاستدلال على منازع بهذا التركيب ، بل أراد أن يبين لهم أن جميع المسكرات داخلة في مسمى الخمر ، فهو كقوله في حديث أبي موسى ، لما سئل عن أنواع فقال : كل مسكر حرام ، فأراد أن يبين لهم بالكلمة الجامعة وهي القضية الكلية أن كل مسكر خمر ، ثم جاء بما كانوا يعلمونه من أن كل خمر حرام ليثبت تحريم المسكر في قلوبهم ، كما صرح به في قوله كل مسكر حرام ، ولو اقتصر على قوله كل مسكر حرام لتأوله متأول على أنه أراد القدح الآخر كما تأوله بعضهم ، ولهذا قال أحمد : قوله : كل مسكر خمر أبلغ فإنهم لا يسمون القدح

---

(١) سورة فصلت – الآيات ٤٤ .
(٢) سورة النساء – الآية (الأخيرة) .
(٣) سورة الأنعام – الآية ٥٧ .

الآخر خمرا ، ولو قال كل مسكر خمر لتأوله بعضهم على أنه يشبه الخمر في التحريم فلما قال وكل خمر حرام علم أنه أراد به دخوله في اسم الخمر التي حرمها الله .

(١٣٤) وقال في كلامه على علم المنطق وعلم الكلام لما ذكر أن في كلامهم شيئا من الحق ، وكذلك أعمالهم مع أن ما يأمرون به من العلوم والأعمال والأخلاق لا تكفي في النجاة من عذاب الله فضلا عن أن تكون محصلة لنعيم الآخرة ، ثم ذكر الآيات منها قوله : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب [(١)] الآيات وكذلك قوله : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾[(٢)] إلى آخر السورة فأخبر هنا بمثل ما في الأعراف ، فإن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحده تركوا الشرك ، وكذلك أخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد والرسالة ، وقال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم[(٣)] ﴾ الآيات وهذا في القرآن في مواضع يبين أن الرسل أمروا بالتوحيد بعبادته وحده لاشريك له ، ونهوا عن عبادة شيء سواه أو اتخاذه إلها ، ويخبر أن أهل السعادة أهل التوحيد ، وأن المشركين أهل الشقاء ، وبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسالة مشركون فعلم أن التوحيد والأيمان بالرسالة متلازمان ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة ، ولهذا يجمع بينهم ، في مثل قوله : ﴿ ولا تتبع أهواء

---

(١) الأعراف – الآية ٣٧ .
(٢) غافر – الآية ٨٣ .
(٣) سورة الأعراف – الآية ١٧٢ .

الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١)) وأخبر عن جميع الأشقياء أن الرسل أنذرتهم باليوم الآخر ، وأخبر أن من آمن بالرسل ، وأصلح من الأولين والآخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل قوله : (إن الذين آمنوا والذين هادوا(٢)) الآية فذكر أن المؤمنين من هؤلاء هم أهل النجاة والسعادة ، وكذلك الإيمان بالرسل كلهم متلازم ، وذلك : (إن الذين يكفرون بالله ورسله(٣)) الآية فهذه الأصول الثلاثة التوحيد والإيمان بالرسل واليوم الآخر متلازمة ، وقال : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن (٤)) الآيات أخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف وهو المزين بغروره به والغرور التلبيس وهذا شأن كل كلام ، وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتفلسفة والمتكلمين وغيرهم من الأولين والآخرين ، ثم قال : (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه) فأخبر أن كلام أعداء الرسل يصغى إليه الذين لا يؤمنون بالآخرة ، فعلم أن مخالفة الرسل ، وترك الإيمان بالآخرة متلازمان ، فمن لم يؤمن بها صغى إلى زخرفة أعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود في أصناف الكفار ، والمنافقين في هذه الأمور ولهذا قال : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم(٥)) الآيتين أخبر أنهم يقولون إذا جاء تأويله

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١٥٠ .
(٢) سورة البقرة – الآية ٦٢ .
(٣) سورة النساء – الآية ١٥٠ .
(٤) سورة الأنعام – الآية ١١٢ .
(٥) سورة الأعراف – الآية ٥٢ – ٥٣ .

جاءت رسل ربنا بالحق ، وهذا كقوله : (فمن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا(١)) الآيات أخبر أن الذين تركوا اتباع آياته يصيبهم ذلك، فتبين أن أصل السعادة والنجاة من العذاب هو التوحيد واتباع الرسل ، والإيمان .. بالآخرة والعمل الصالح ، وهذه الأمور ليست في حكمتهم ليس فيها التوحيد بل كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم إذا بينوا ما في الأرواح والأجسام من القوى والطبائع ، وأن صناعة الطلاسم والشرك يورث منافع ويدفع مضار ، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم به لم ينه عنه ، بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحا ما فقد يرجح غيره من المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعا ، فتدبر هذا فإنه نافع جدا وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة ، والأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك ، وإن ادعوا التوحيد فهو بالقول لا بالعمل ، التوحيد لابد فيه من الإخلاص في العبادة ، وهذا شيء لايعرفونه ، وتوحيدهم الذي يدعونه هو التعطيل ، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الإشراك ، فلو كانوا موحدين بالكلام فهو لا يكفي بالنجاة والسعادة بل لابد أن يعبد الله وحده ، ويتخذه إلها دون ما سواه ، وهو معني قول لا إله إلا الله فكيف وهم في الكلام معطلون ، وأما الإيمان بالرسل فالذين دخلوا في الملل منهم آمنوا ببعض صفات الرسل ، وكفروا ببعض ، وأما اليوم الآخر فأحسنهم حالا من يقر بمعاد الأرواح ، وقد أضلوا بشبهاتهم من المنتسبين إلى الملل مالا يحيط به إلا الله ، وإذا كان ما تحصل به السعادة والنجاة ليس عندهم كان مايأمرون

---

(١) سورة طه الآيات من ١٢٣ - ١٢٧ .

به من الأخلاق والأعمال والسياسات هو كما قال الله تعالى : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة ، وفيهم زهد ، وأخلاق ، فهذا لايوجب السعادة والنجاة إلا بالأصول المتقدمة وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن والإرادة ، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادية بدون تلك الأصول بمنزلة من يعطى قوة في بدنه بدونها ، وأهل الرأي والعلم بمنزلة أهل الملك والإمارة ، وكل منهم لا ينفعه ذلك إلا بالأصول المتقدمة فمن لم يأت بها خلد في العذاب إذا قامت عليه الحجة بالرسل ، ولما كان كل واحد من أهل الملك والعلم قد يعارضون الرسل وقد يتابعونهم ذكر الله في كتابه في غير موضع ، فذكر فرعون ، والذي حاج إبراهيم في ربه والملأ من قوم نوح ، وغيرهم ، وذكر قول علمائهم ، كقوله : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم(١)) الآية وقال : (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد) الآيات إلى قوله (الذين يجادلون في آيات الله(٢)) الآيات ولهذا قال ابن عباس : كل سلطان في القرآن فهو الحجة وذكر في (حم غافر) من حال مخالفي الرسل من الملوك والعلماء واستكبارهم ما فيه عبره ، مثل قوله (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر(٣)) الآية وقوله : (الم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنىّ يصرفون (٤)) وذكر في سورة الأنعام ، والأعراف وعامة السور

(١) سورة غافر – الآية ٨٣ .
(٢) سورة غافر – الآية من ٥ – ٢٥ .
(٣) سورة غافر – الآية ٥٦ .
(٤) سورة غافر – الآية ٦٩ .

المكية ، وطائفة من السور المدنية حالهم فإنها تشتمل على خطابهم ، وضرب الأمثال والمقاييس لهم وذكر قصصهم ، وقصص الأنبياء وأتباعهم معهم ، ولهذا قال تعالى : (ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه(١)) الآية فأخبر بما مكنوا فيه من أصناف الإدراكات ، والحركات وأن ذلك لم يغن عنهم حيث جحدوا بالرسالة ، ولهذا حدثني ابن الخضيرى عن أبيه شيخ الحنفية في زمنه قال : كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا : كان كافرا ذكيا ، وقال تعالى : (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم(٢) قوة) الآية والقوة تعم قوة الإدراك النظرية ، وقوة الحركة العملية ، وفي الآية الأخرى (كانوا أشـــد منهم قوة وآثارا في الأرض(٣)) فاخبر بفضلهم في الكم والكيف،وقال عن اتباع هؤلاء الأئمـــة من أهل الملك والعلم المخالفين للرسل (يوم تقلب وجوههم في النار(٤)) الآيات وقال : (وإذ يتحاجون في(٥) النار) الآيات ومثل هذا في القرآن كثير ، وذكر ما في المنتسبين إلى اتباع الرسل من العلماء ، والعباد ، والملوك من النفاق ، والضلال في مثل قوله : (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان (٦)) الآيات وقوله : (ويصدون عن سبيل الله) يستعمل لازما ومتعديا والوصفان يجتمعان فيهم ، وقوله : (الم تر

---

(١) سورة الأحقاف – الآية ٢٦ .

(٢) سورة غافر – الآية ٢١ .

(٣) سورة غافر – الآية ٨٢ .

(٤) سورة الأحزاب – الآية ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(٥) سورة غافر – الآية (٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) .

(٦) سورة التوبة – الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) .

إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (١)) الآية وفي الحديث « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة » الخ فتبين أن في من يقرأ القرآن مؤمنين ومنافقين ، وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هي باتباع المرسلين فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثارهم ، وأتبعهم لها وهم الطائفة الناجية من كل أمة ، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة ، وأهل الكلام أكثر الناس شكا ، وأضعفهم علما ويقينا ، وهذا أمر يشهدونه من أنفسهم ويشهده الناس منهم ، وشواهده أعظم من أن تذكر هنا ، وقيل إن الأشعري مع كونه أقربهم إلى السنة والحديث وأعلمهم به صنف في آخر عمره كتابا ، وكما في الأدلة يعني أدلة أهل الكلام ، قال أبو حامد أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام والرازي من أعظم الناس في باب الحيرة لكن هو مسرف فيه ، له نهمه في التشكيك والشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده ، لكن قل أن ثبت أحد على باطل محض ، بل لابد فيهم من نوع من الحق ، وتوجد الردة فيهم كثيرا كالنفاق ، وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، لكن يقع ذلك في طوائف منهم في أمور يعلم العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى .. يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ، ونهيه عن عباده غيره ، فان هذا أظهر شعائر الإسلام ، ومثل أمره بالصلوات الخمس تعظيم شأنها ، ومثل معاداة المشركين ، وأهل الكتاب ، ومثل تحريم الفواحش والميسر ، ونحو ذلك ، ثم تجد كثيرا من

---

(١) سورة النساء – الآية ٥١ .

رؤسهم وقعوا في هذه الأنواع فكانوا مرتدين ، وإن كانوا قد يتوبون كالأقرع وعيينة ونحوهما ، فإن فيهم من يتهم بالنفاق ومرض القلب ، هم لما فيه من العلم يشبهون ابن أبي سرح لما ارتد ثم عاد إلى الإسلام ، ومن صنف في المشركين أحسن أحواله أن يكون عاد إلى الإسلام ، وكثير منهم هكذا تجده تارة يرتد ردة صريحة ، وتارة يعود مع مرض في قلبه ونفاق ، والحكايات عنهم بذلك مشهورة ، وقد ذكر ابن قتيبة منها طرفا ، وصنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب والأصنام وأقام الأدلة على حسنه ورغب فيه ، وهذه ردة عن الإسلام إجماعا .

(١٣٥) العلم يحصل في النفس كما يحصل سائر الإدراكات والحركات بما يجعله الله من الأسباب وعاء ، وعامة ذلك من الملائكة ، فإن الله ينزل بها على قلوب عباده من العلم والقوة وغير ذلك ما يشاء ، كما قال صلى الله عليه وسلم لحسان « اللهم أيده بروح القدس » ، وقال تعالى : (وأيدهم بروح(١) منه) وذكر صلى الله عليه وسلم فيمن لم يطلب القضا إبعث الله له ملكا يسدده ، وقال ابن مسعود (كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر) وقال أن للملك لمة ، وللشيطان لمة .. فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق هذا محفوظ عنه ، وربما رفعه بعضهم ، وهو جامع لأصول ما يكون من العبد من علم وعمل ، وذلك أن العبد له قوة الشعور وقوة الإرادة والحركة ، وإحداهما أصل الثانية مستلزمة لها ، والثانية مستلزمة للأولى ، ومكملة لها فبالأولى

---

(١) سورة المجادلة – الآية الأخيرة .

يصدق بالحق ويكذب بالباطل وبالثانية يحب النافع ويبغض الضار ، والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ، ومعرفة الباطل والتكذيب به ، ومعرفة النافع والمحبة له ، ومعرفة الضار والبغض له ، فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا أحبته واطمأنت إليه ، وذلك هو المعروف ، وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة وأبغضته وأنكرته قال تعالى : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر(١) ﴾ والإنسان حارث همام ، فهو دائم يهم ويعمل لكن لا يعمل إلا لما يرجو به منفعة ، أو دفع مضرة لكن قد يكون ذلك الرجاء مبنياً على اعتقاد باطل إما في نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا وإما في الوسيلة فلا يكون طريقا إليه ، هذا جهل ، وقد يعلم أن الشيء يضره ويفعله ، ويعلم أنه ينفعه ويتركه ، لأن ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى ، أو دفع ألم آخر ، فيكون جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذلك ، ولهذا قال أبو العالية : سألت أصحاب محمد عن قوله : ﴿ يعملون السوء بجهالة(٢) ﴾ فقالوا : كل من عصى الله فهو جاهل ، فإذا كان الإنسان لا يتحرك إلا لرجا وإن كان راهبا لم يسع إلا بما يزيل ذلك والرجاء لا يكون إلا بما يلقى في نفسه من الإيعاد للخير الذي هو طلب المحبوب وفوات المكروه ، فكل بني آدم له اعتقاد ، فيه تصديق بشيء ، وتكذيب بشيء ، وله قصدٌ وإرادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكن الوصول إليه والله خالق العبد ليصدق بالحق ، ويقصد الخير فيرجوه بعمله ، فإذا كذب بالحق ، ولم يرج

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٥٧ .

(٢) سورة النساء – الآية ١٧ .

الخير فيقصده ويعمل له كان خاسرا بترك التصديق بالحق ، وطلب الخير ، فكيف إذا كذب بالحق وكره إرادة الخير فكيف إذا صدق بالباطل وأراد الشر ؟ فذكر ابن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ، ولمة من الشيطان فلمة الملك تصديق بالحق ، وهو ما كان من جنس الاعتقاد الصحيح ، وإيعاد بالخير ، وهو ما كان من جنس إرادة الخير ولمة الشيطان من جنس الاعتقاد الفاسد ، وهو التكذيب بالحق وإيعاد بالشر وهو ما كان من جنس إرادة الشر ، وظن وجوده أما مع رجاءه إن كان مع هوى النفس وأما مع خوفه إن كان غير محبوب لها ، وكل من الرجا والخوف مستلزم للآخر ، فمبدأ العلم والحق والإرادة الصالحة من لمة الملك ومبدأ الاعتقاد الباطل ، والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان قال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء(١)) ، وقال: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه(٢)) أي يخوفكم أولياءه ، وقال : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم(٣)) الآية ، والشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، وإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ذكر الله سببا ، ومبدأ لنزول العلم ، والحق والإرادة الصالحة في القلب ، وكانت الغفلة عن ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل ، والإرادة الفاسدة في القلب ، ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه ، وفهمه ، ومذاكرة العلم كما قال معاذ ، ومذاكرته تسبيح ، وتنازع أهل الكلام في حصول العلم في القلب عقيب النظر في البديل ، وقال بعضهم

---

(١) سورة البقرة -- الآية ٢٦٨ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٧٥ .

(٣) سورة الأنفال – الآية ٤٨ .

ذلك على سبيل التولد ، وقال آخرون بل يفعله الله ، والنظر إما متضمن للعلم ، وأما موجب له ، وهذا صحيح بناء على أن الله معلم كل علم ، لكنه مجمل ليس فيه بيان السبب الخاص المضاف إلى الملائكة في الجملة ، فإن الله سبحانه يدبر أمر السماء والأرض بملائكته ، التي هي السفراء في أمره ، ولفظ الملائكة يدل على ذلك ، وبذلك أخبرت الأنبياء ، وشهد الكتاب والسنة من ذلك بما لايتسع له هذا الموضع ولكن يعلم أن المبدأ في شعور النفس وحركاتها هم الملائكة والشياطين ، فالملك يلقي التصديق بالحق والأمر بالخير ، والشيطان يلقى التكذيب بالحق ، والأمر بالشر ، والتصديق والتكذيب مقرون بالنظر ، كما أن الأمر والنهي مقرون بالإرادة ، فإذا كان النظر في دليل هادى كالقرآن وسلم من معارضات الشياطين تضمن العلم والهدى ، ولهذا أمر العبد بالاستعاذة عند القراءة ، وإذا كان النظر في دليل مضلّ ، والناظر يعتقد صحته بأن يكون مقدمتاه أو أحدهما متضمنة للباطل ويكونان صحاح لكن التأليف غير مستقيم ؛ صار في القلب به اعتقاد فاسد وهو غالب الشبهات المخالفة للكتاب والسنة ، وإذا كان الناظر لا بد له من متصور فيه والنظر في نفس المتصور المطلوب حكمه لا يفيد علما بل ربما حصل له بسببه أنواع من الشبهات يحسبها أدلة لفرط تعطش القلب إلى معرفة حكم تلك المسألة ، وأما النظر المفيد للعلم هو ما كان في دليل هادى ، والدليل الهادي على العموم هو كتاب الله وسنة نبيه ، فالذي جاءت به الشريعة من نوعي النظر هو ما ينفع وهو بذكر الله ، وما نزل من الحق ، فإذا أراد النظر في الأدلة المطلقة من غير تعيين مطلوب

ففي كتاب الله وتدبره ، كما قال تعالى : (قد جاءكم من الله نور [1]) الآيتين وقال : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا[2]) الآية وأما النظر في مسألة معينة لطلب حكمها والعبد لا يعرف ما يدله عليه فهذا النظر لا يفيد ، بل قد يقع له تصديقات يحسبها حقا ، وهي من إلقاء الشيطان ، وقد يقع له تصديقات من إلقاء الملك ، وكذلك إذا كان النظر في دليل هادي وهو القرآن فقد يفهم مقصود الدليل فيهتدي وقد لايفهمه أو يحرفه عن مواضعه فيضل به ، ويكون ذلك من إلقاء الشيطان ، كما قال تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)[3] وقال (يضل به كثيرا ويهديه به كثيرا)[4] وقال : (فزادتهم رجسا إلى رجسهم)[5] وقال: (والذين لايؤمنون في أذانهم وقر وهو عليهم عمى)[6] فالناظر في الدليل كالمترائي للهلال،قد يراه ، وقد لا يراه لعشى في بصره ، وكذلك عمى القلب ، فأمر الله بما ينزل على قلبه الأسباب الهادية ، ويصرف عنه الأسباب المعوقة وهو ذكر الله ، وذكر الله يعطي الإيمان ، وهو أصل الإيمان ، والله سبحانه رب كل شيء ومليكه ، وهو معلم كل علم وواهبه فكما أن نفسه أصل لكل موجود فذكره والعلم به

---

(١) سورة المائدة – الآيتين ١٥ – ١٦ .

(٢) سورة الشورى – الآية ٥٢ .

(٣) سورة الإسراء – الآية ٨٢ .

(٤) سورة البقرة – الآية ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) سورة التوبة – الآية ١٢٥ .

(٦) سورة فصلت – الآية ٤٤ .

أصل لكل علم وذكر في القلب ، والقرآن يعطي العلم المفصل فيزيد الإيمان ، كما قال جندب : « تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا » ولهذا كان أول ما نزل اقرأ باسم ربك ، فأمره أن يقرأ باسمه فتضمن الأمر بذكر الله ، وبما أنزل من الحق ، وقال (باسم ربك إلى قوله مالم يعلم) ذكر سبحانه أنه خلق الأعيان الموجودة عموما وخصوصا ، وهو الإنسان ، وأنه المعلم للعلم عموما وخصوصا للإنسان ، وذكر التعليم بالقلم لأنه آخر المراتب يستلزم تعلم القول والعلم الذي في القلب ، وحقيقة الأمر أن العبد مفتقر إلى ما يسأله من الهدى فبذكر الله والافتقار إليه يهديه الله ، كما قال : (يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته) وكما في حديث الاستفتاح ، اللهم رب جبرائيل .. الخ .. ولا بد أن يكون عند الناظر من العلم الثابت مالا يحتاج إلى نظر ، فيكون أصلا للتفكر الذي يطلب به معلوم آخر ولهذا كان الذكر متعلقا بالله والتفكر في مخلوقاته ، وفي الأثر تفكروا في المخلوقات ، ولا تفكروا في الخالق ، لأن التفكير في الأمثال والمقاييس وذلك يكون في الأمور المتشابهة ، وهي المخلوقات ، وأما الخالق جل جلاله وسبحانه وتعالى فليس له شبيه ، فالتفكير الذي مبناه على القياس ممتنع فيه ، وإنما هو معلوم بالفطرة ، فيذكره العبد وبذلك يحصل من العلم به أمور عظيمة ، أعني العلم به نفسه ، ولهذا كان كثير من أرباب العبادة يأمرون بملازمة الذكر ويجعلونه باب الوصول إلى الحق وهذا حسن إذا ضموا إليه اتباع القرآن والسنة ، واتباع ذلك وكثير من أرباب النظر يأمرون به ، ويجعلونه الطريق إلى معرفة الحق ، والنظر صحيح إذا كان في دليل حق ، فكل من الطريقين فيها حق ، لكن يحتاج إلى الحق التي في الأخرى ، ويجب

تنزيه كل منهما عما دخل فيهما من الباطل ، وذلك باتباع الرسل وقد بسطنا الكلام في هذا في غير هذا الموضع ، وبينا ما جاءت به الشريعة من الطريقة الكاملة الجامعة ، والمقصود هنا أن الإنسان يحس بأنه عالم كما يحس الطعام والشراب ، كذلك العلم طعام القلب وشرابه كما في الحديث «أن كل أدب يحب أن تؤتى مأدبته ، وأن مأدبة الله هي القرآن .

كما قال تعالى : (أنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها)(١) الآية وكما في قوله : (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث) الحديث فضرب مثل الهدى والعلم الذي ينزل على القلوب بالماء الذي ينزل على الأرض وكما أن لله ملائكة موكلة بالسحاب فله ملائكة موكلة بالهدى هذا رزق الأجساد وهذا رزق القلوب ، ولهذا قال الحسن في قوله: (ومما رزقناهم ينفقون(٢)) من أعظم النفقة نفقة العلم وقال كعب بن عجرة ألا أهدى لك هدية ، ثم ذكر حديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال معاذ ، عليكم بالعلم فإن طلبه عبادة ، وتعلمه لله حسنة ، وبذله لأهله قربة ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، والبحث عنه جهاد ، ومذكراته تسبيح ولهذا كان معلم الخير يستغفر له كل شيء ، وعكسه أولئك الذين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . ختم الكتاب سنة ١٢٢٧ قال كاتب الأصل آخر ما وجدت من خط ملخصه محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله وعفى عنه بمنه وكرمه .

---

(١) سورة الرعد : الآية ١٧ .

(٢) سورة البقرة ــ الآية ٣ .

وأنا أقول قد تم نسخه من الأصل في ش سنة ١٣٥٧ هـ وقد اجتهدت فيما أشكل فشوشت عليه ، وما جزمت عليه ، فأصلحته فمن وجد بخطي شيئا يحتاج إلى تصليح من خطأ وغيره فجزاه الله خيرا يصلحه وله الأجر والثواب ..

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

فهرس

ملحق مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب

الموضوع			الصفحة
مسألة	(١١)	قوله (إحرص على ما ينفعك)	١٢
«	(١٢)	قراءته صلى الله عليه وسلم على أبي لم تكن قراءة إبلاغ له بالخصوص	١٢
«	(١٣)	اليهود تشبه الخالق بالمخلوق	١٢
«	(١٤)	ذكر أن محبة الله أكثر ما تجيء باسم العبادة ...	١٢
«	(١٥)	كل مولود يولد على الفطرة	١٣
«	(١٦)	أين المتحابون بجلالي	١٣
«	(١٧)	رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه بعيني رأسه لم يثبت عنه	١٣
«	(١٨)	قال في الرد على متصوفة ينتسبون إلى التحقيق والتوحيد	١٤
«	(١٩)	عطف الخاص على العام يكون لأسباب	١٥
«	(٢٠)	العبادة يدخل فيها الدين كله	١٥
«	(٢١)	بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى ذي أهواء متفرقة	١٩
«	(٢٢)	مسألة رؤية الكفار ربهم في القيامة انتشر الكلام فيها بعد الثلاثمائة من الهجرة	٢٠
«	(٢٣)	إذا اشتبه عليه هل هذا الفعل مما يهجر المسلم عليه أم لا	٢٢
«	(٢٤)	ذكر في حديث الإفك نفقة أبي بكر على مسطح	٢٢
«	(٢٥)	اتفق على أن الأرض لا تخلو عن خراج وعشر	٢٣

الموضوع		الصفحة

الموضوع		الصفحة
مسألة (٤١)	العبد مأمور بالصبر على المقدور وأن يطيع المأمور، وإذا أذنب استغفر	٣٠
« (٤٢)	لأهل التعطيل شبهات في العلو	٣٠
« (٤٣)	ليس لأحد أن يتبع عورات العلماء	٣١
« (٤٤)	الذين استحلوا الدرهم بدرهمين يداً بيد	٣١
« (٤٥)	رجح رحمه الله فعل ذوات الأسباب	٣١
« (٤٦)	المنهي عنه من العادات والعبادات ثلاثة أنواع	٣٣
« (٤٧)	النزول في القرآن ثلاثة نزول	٣٤
« (٤٨)	شريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده	٣٤
« (٤٩)	قوله «والله لا يحب كل مختال فخور»... ...	٣٤
« (٥٠)	(ما أصابك من حسنة فمن الله)	٣٤
« (٥١)	كون الحسنات من الله إلى عبده	٣٥
« (٥٢)	قوله (من نفسك) فمن الفوائد أن المتعلم لا يطمئن إلى نفسه	٣٨
« (٥٣)	في الحديث الذي في الترمذي وصحيح الحاكم «للجن أحسن رداً منكم»	٣٩
« (٥٤)	إذا كان الحمد لايقع إلا نعمة	٤٠
« (٥٥)	المؤمن يرى أن عمله لله	٤٠
« (٥٦)	أما نعمة الضراء فاحتياجاتها إلى الصبر ظاهراً ...	٤١
« (٥٧)	أمر الله الرسل أن يكون دينهم واحداً	٤١
« (٥٨)	جميع الولايات مقصودها أن يكون الدين كله لله	٤٢

الصفحة	الموضوع	

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مختصر
تفسير سورة الانفال

للشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمـــه الله

تحقيق
د٠ ناصر بن سعد الرشيد

مقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله الأمين وبعد :

فإنه في أثناء تصوير مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة لبعض المخطوطات في مكتبة الأوقاف ببغداد عثرنا على مجموع فيه رسائل كثيرة لبعض أئمة الحنابلة كابن تيمية وابن رجب رحمهما الله ، وضمن هذا المجموع رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لفت نظرنا منها ثلاث هن : « الرد على الرافضة ومختصر تفسير سورة الأنفال » وهاتان الرسالتان لم يسبق لهما أن طبعا ورسالة بعنوان « ذكر بعض الفوائد التي في قصة الحديبية » وقد طبعت ضمن كتاب « الدرر السنية » الذي جمعه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي معنونة بتفسير سورة الفتح فكانت بمثابة نسخة أخرى لنسخة بغداد ، وهاتان المطبوعة والمخطوطة يصلحان أخطاء بعضهما ويكملان النقص خاصة في المطبوعة كما هو واضح من التحقيق وعند المقابلة رمزت لها بحرف « ط » . أما رسالة « مختصر سورة الأنفال » وكذلك « الرد على الرافضة » فلم أحصل لهما على أخرى لذلك فإن أمر التصحيح يبدو صعبا ولكني اجتهدت ما وسعني الجهد وحرصت على تثبيت نصوصهما .

ويلاحظ أن اسم ناسخ هذه الرسائل مذكور ثم محي ولعل بعضها نسخت بيد إبراهيم بن باز فله ذكر فيها كذلك على واحدة منهن تملك باسم الوهيبي .

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير إنه سميع مجيب .

الدكتور ناصر بن سعد الرشيد

مكة المكرمة ١٧-٩-١٣٩٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ذكر ما نزل من القرآن في وقعة بدر :

قال ابن عباس نزلت سورة الأنفال في بدر (١) وعن أبي أمامة قال سألت عبادة عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا نحن نفينا عنه العدو وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين ونزلت يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول الآية » ، قال الترمذي حديث حسن (٢) .

(١) تنوير المقباس : ١١٣ ، ابن كثير : ٢٨٢/٢ .

(٢) أحكام القرآن : ٨٣٧/٢ – ٨٣٨ ، ابن كثير : ٢٨٣/٢ .

وقوله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » قال ابن عباس : « هذا تحريج من الله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم » (١) وقوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » هو الذي يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له : اتق الله فيجل قلبه ، وقال ابن عباس : « وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه » (٢) وقوله : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » قال ابن مسعود : « ما جالس أحد القرآن فقام سالماً » ، وقوله : « وعلى ربهم يتوكلون » ثم قال : « الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » لمّا ذكر أعمال القلب نبه على أعمال الجوارح ، وقال الضحاك في قوله : « لهم درجات عند ربهم » : « أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذي هو فوق فضله ولا يرى الذي هو أسفل أنه فضل عليه أحد » (٣) .

وقوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » روي عن أبي أيوب أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « أني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها فقلنا : نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بخروجكم ؟ فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ثم قال : ما ترون في قتال العدو ؟

---

(١) الطبري : ١٧٧/٩ ، ابن كثير : ٢٨٥/٢ .
(٢) ابن كثير : ٢٨٥/٢ .
(٣) ابن كثير : ٢٨٦/٢ .

فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو : إذاً يا رسول الله لا نقول كما قال قوم موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » بل نقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله على رسوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية » (١) ، قال (٢) السدي : « بعدما تبين لهم » أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به » (٣) .

وقوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » روى أحمد عن ابن عباس « قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر : عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو أسير أنه لا يصلح لك لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ماوعد » (٤) .

وقوله : « ليحق الحق » ليس تكرير لأن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة فأنه ما فعل إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض .

وقوله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر

---

(١) نفس المصدر والجزء /٢٨٧ .

(٢) في الأصل : ابن السدي .

(٣) ابن جرير : ١٨٤/٩ .

(٤) ابن كثير : ٢٨٨/٢ ، أحكام القرآن : ٨٤١/٢ .

إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل القبلة وعليه رداؤه ثم قال : اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبدا » فما زال يستغيث بربه حتى التزمه الصديق من ورائه فقال : يا رسول الله يكفيك بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية . (١) .

وقوله : « مردفين » أي متتابعين ، وقوله : « وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم » وإلا فهو قادر على نصركم ولهذا قال : « وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » أي له العزة ولمن آمن به حكيم فيما شرعه من القتال مع القدرة على إهلاكهم بدونه .

وقوله : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » يذكرهم الله تعالى ما أنعم عليهم من إنزال النعاس عليهم في ذلك الموطن قال ابن مسعود (٢) النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة (ومجالس الذكر) من الشيطان » وقد أصابهم يوم أحد أيضاً .

وقوله : « وينزل عليكم من السماء ماء » الآية وذلك أنهم حين ساروا إلى بدر كان بينهم وبين الماء رمل فأصاب المسلمين ضعف وألقى الشيطان

---

(١) ابن جرير : ١٨٩/٩ ، ابن كثير : ٢٨٩/٢ ، ابن الجوزي : ٣٢٥/٣ ، زاد المعاد : ٨٧/٢ ، سيرة ابن هشام : ٢٦٧/٢ .

(٢) ابن جرير : ١٩٣/٩ ، ابن كثير : ٢٩١/٢ .

في قلوبهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم فشربوا واطهروا وتلبد الرمل للناس والدواب (١) وقوله : « وليربط على قلوبكم » أي بالصبر والإقدام على الأعداء وهو شجاعة الباطن ويثبت به الأقدام وهو شجاعة الظاهر .

وقوله تعالى : « إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار » هذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى ليشكروه عليها وهو أنه تبارك وتعالى وتقدس أوحى إلى الملائكة أن ثبتوا الذين آمنوا وآزروهم ، وقيل الإلقاء في قلوبهم الظفر « سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » أي اضربوا الرقاب أو الرءوس ، والبنان الأطراف وهي أيديهم وأرجلهم ، قال الربيع (٢) كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار » ، وقوله : « ذلك بأنهم شاقوا الله » أي ما وقع عليهم بسبب هذه المشاقة والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وذلكم خطاب للكفرة ، والمعنى ذوقوا هذا العاجل مع الذي لكم في الآخرة .

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم

---

(١) ابن كثير : ٢٩١/٢ - ٢٩٢ .

(٢) نفس المصدر والجزء /٢٩٣ .

الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » توعد سبحانه على الفرار من الزحف بالنار ، والزحف : المزاحفة وهي المقاربة والدنو ، وقوله : « إلا متحرفاً لقتال » أي يفرّ مكيدة ثم يعطف للقتال « أو متحيزاً إلى فئة » جماعة من المسلمين قيل ولو كان الإمام الأعظم (١) .

قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ! إن الله سميع عليم » يقول تعالى : هو الذي أنزل الملائكة وشاء الظفر والنصر وألقى الرعب في قلوبهم وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب بعد تضرعه فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه وأمر أصحابه أن يحملوا فأوصل الله ذلك التراب إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله ما شغله فولوا مدبرين (٢) ، وقوله : « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » أي ليعطيهم عطاء حسناً قال الشاعر : (٣) .

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ... وأبلاها خير البلاء الذي يبلو

وفي الحديث : « وكل بلاء حسن أبلانا (٤) (بعد قوله الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا) (٥) .

---

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢٦٨/٢ ، زاد المسير : ٣٣٢/٣ .

(٣) القائل : زهير بن أبي سلمي انظر شرح ديوانه : ١٠٩ .

(٤) ابن كثير : ٢٩٦/٣ .

(٥) مكان هذه الجملة غير واضح المعنى .

والمعنى والإحسان إليهم فعل ما فعل : إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم . وقوله : « ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين » هذه بشارة أخرى أعلمهم سبحانه أنه يضعف كيد الكافرين فيما يستقبل وأنَّ معطوف على ذلكم . يعني أن الغرض إبلاء هؤلاء وتوهين كيد هؤلاء .

وقوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » وذلك أن أبا جهل قال : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة (١) فكان هو المستفتح على نفسه « وإن تنتهوا » أي عن الكفر فهو خير لكم في الدنيا والآخرة ، « وإن تعودوا نعد » أي إن عدتم إلى الكفر عدنا لكم بمثل هذه الوقعة « ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت » لأن الله لا غالب له « وأن الله مع المؤمنين » أي كائن ذلك لأن الله معهم .

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » أي تتركوا طاعته « وأنتم تسمعون » أي علمتم ما دعاكم إليه « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا الآية » قال ابن اسحق (٢) « هم المنافقون يظهرون أنهم سمعوا

---

(١) زاد المعاد : ٨٩/١٢ ، سيرة ابن هشام : ٣١٢/٢ .
(٢) ابن كثير : ٢٩٧/٢ .

واستجابوا وليسوا كذلك » ثم أخبر أن هذا الضرب شر الخلق فقال : « إن شر الدواب عند الله » الآية ثم جعلهم شرها « ولو علم الله فيهم خيرا » أي قصدا صحيحا « لأسمعهم » أي أفهمهم ولو فعل لتولوا عناداً .

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » قال البخاري : (١) « لما يصلحكم » قال مجاهد : (٢) « وهو هذا القرآن فيه النجاة والتقاة والحياة » وقال عروة : (٣) « أي للحرب التي أعزكم بها بعد الذل » « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » قال ابن عباس (٤) « يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الإيمان » وقال مجاهد : (٥) « حتى يتركه لا يعقل » وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (٦) وقوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » يحذر تبارك وتعالى فتنة لا تخص أهل المعاصي بل تعم حيث لم تدفع فترفع قال ابن عباس : (٧) « أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم العذاب » .

وقوله : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن

---

(١) صحيح البخاري : ٩٤/٣ .
(٢) ابن كثير : ٢٩٧/٢ والرواية عن قتادة .
(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) زاد المسير : ٣٣٩/٣ ، ابن جرير : ٢١٥/٩ .
(٥) تفسير مجاهد : ٢٦١ ، ابن كثير : ٢٩٨/٢ .
(٦) مسند أحمد : ٢٥٧/٣ .
(٧) زاد المسير : ٣٤١/٣ ، ابن جرير : ٢١٨/٩ .

يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » ينبه تبارك وتعالى عباده على نعمه ليشكروها حيث كانوا بمكة كذلك « فآواكم » أي بالمدينـــة . قال قتـــادة في الآية (١) : « كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشاً وأجوعه بطوناً وأعراه جلوداً وأبينه ضلالا من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردي في النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا شر منزلا منهم حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله .

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » قال الزهري : (٢) « نزلت في أبي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة فاستشاروه في النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم وأشار بيده إلى حلقه ثم فطن فحلف لا يذوق ذواقاً حتى يموت أو يتوب الله عليه وانطلق إلى المسجد فربط نفسه بسارية » والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار ، وقال ابن عباس : (٣) « وتخونوا أماناتكم » الأمانة الأعمال التي ائتمن الله عباده عليها يعني الفريضة

---

(١) ابن كثير : ٢/٣٠٠ ، ابن جرير : ٩/٢٢٠ .
(٢) ابن كثير : ٢/٣٠٠ وانظر ابن جرير : ٩/٢٢١ ، زاد المسير : ٣/٣٤٤ .
(٣) ابن كثير : ٢/٣٠١ ، وابن جرير : ٩/٢٢٣ .

يقول لا تخونوها لا تنقصوها » ، وقال عروة : (١) « أي لا تظهروا له ما يرضى به عنكم ثم تخالفوه في السر إلى غيره فذاك هلاك لأمانتكم » وقوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة » أي اختبار ليعلم أتشكروه أم لا ، قال ابن مسعود : (٢) « ما منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن ...

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » أي فصلا بين الحق والباطل وقيل : نصرا وقيل : نجاة والأول أعم فإن من اتقى وفق لمعرفة الحق فكان ذلك سبب نصره ونجاته من شدائد الدنيا والآخرة وتكفير ذنوبه وهو محوها وغفرانها وهو سترها عن الناس .

ثم قال : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » هذه الآية نزلت في تشاورهم في دار الندوة في شأنه لما أراد الهجرة هل يثبتونه أي يحبسونه ويوثقونه (٣) أو يقتلونه أو يخرجونه أي ينفونه من مكة والقصة مذكورة في السيرة بطولها (٤) ، يقول الله تعالى : واذكر نعمته عليك وعلى المسلمين إذ خلصتك من تلك الشدة ومكرت بهم بكيدي المتين .

ثم قال : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا

---

(١) ابن كثير : ٣٠١/٢ مع زيادة كلمة « من الحق » .
(٢) ابن جرير : ٢٢٤/٩ مع زيادة حرف « من » في « من أحد » .
(٣) في الأصل : ويوثقوه .
(٤) انظر مثلا سيرة ابن هشام : ٩٢/٢ - ٩٥ .

إن هذا إلا أساطير الأولين ، وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » يخبر تعالى عن كفرهم وتمردهم أنهم إذا تليت عليهم الآيات يقولون : لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد تحداهم غير مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا وإنما قالوا هـــذا ليغيروا من اتبعهم ، والقائل لهذا هو النضر بن الحارث (١) ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم بدر صبرا فقال المقداد : يا رسول الله أسيري فقال : إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول فأمر بقتله فقال المقداد : يا رسول الله : أسيري فقال اللهم أغن المقداد من فضلك فقال المقداد : هذا الذي أردت » (٢) ومعنى أساطير الأولين : أي كتبهم يتعلم منها وقوله : « وإذ قالوا اللهم الآية » هذا من عظيم عنادهم وكان الأولى أن يقولوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليـــه وكذلك قال الجهلة من الأمم الســـالفة كقول قـــوم شعيب : « فأسقط علينا كسفا من السماء » الآية وقال عطا : (٣) « وهو النضر ابن الحارث » فقال الله تعالى : « وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب » وقال : « سأل سائل بعذاب واقع » ولقد أنزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله » قال قتادة : (٤) « قال سفهة هذه الأمة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها » وقوله : « وما كان

---

(١) زاد المسير : ٣٤٨/٣ .

(٢) ابن جرير : ٢٣١/٩ ، ابن كثير : ٣٠٤/٢ .

(٣) ابن جرير : ٢٣٢/٩ ، ابن كثير : ٣٠٤/٢ .

(٤) ابن جرير : ٢٣٣/٩ ، ابن كثير : ٣٠٥/٢ .

ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون » قال ابن عباس : (١) « أمانان : النبي والاستغفار فذهب النبي وبقي الاستغفار » وقوله : « وهم يستغفرون » يعني من سبق له من الله الدخول في الإيمان » وقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون » يخبر تعالى أنهم أهل لذلك لأجل هذا الفعل ولهذا لما خرج الرسول عنهم عذبهم الله يوم بدر وقوله : « وما كانوا أولياءه الآية » أي ليسوا أهلا له وإنما أهله النبي ومن معه كقوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآية » قال مجاهد : (٢) « هم المتقون من كانوا وحيث كانوا » . وقوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » المكاء : الصفير والتصدية أي التصفيق ، وقوله : « فذوقوا العذاب » هو ما أصابهم يوم بدر .

وقوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » قالوا : نزلت في إنفاق قريش وأبي سفيان الأموال بعد بدر وإرصادها لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وعلى كل تقدير فهي عامة وإن كان السبب خاصاً .

وقوله : « ليميز الخبيث من الطيب » يحتمل أن يكون في الآخرة

---

(١) ابن كثير : ٣٠٥/٢ .
(٢) ابن جرير : ٢٣٩/٩ .
(٣) تفسير مجاهد : ٢٩٢ ، ابن كثير : ٣٠٧/٢ .

ويحتمل في الدنيا أي إنما أقدرناهم على الأموال وجعلناهم ينفقونها في ذلك ليميز الله من يطيعه بقتالهم أو يعصيه بالنكول عن ذلك .

وقوله : « وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين » قال مجاهد : (١) « سنتنا فيهم يوم بدر وفي غيرهم من الأمم » .

وقولهم : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » في الصحيح أن رجلا جاء إلى ابن عمر فقال : ألا تسمع ما ذكر الله : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية » فقال : يابن أخي أغتر بهذه الآية أحب إلي أن أغتر بقوله : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا » قال : فإن الله يقول : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » قال ابن عمر : قد فعلنا إذ كان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يعود وإما أن يوثقوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة ، قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال : أما عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو عنه وأما علي فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وأشار بيده وهذا بيته حيث ترون ، وفي لفظ وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس كقتالكم على الملك » (٢) وفي لفظ في غير الصحيح قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله » (٣) قال ابن عباس (٤) « حتى لا تكون فتنة » :

---

(١) ابن كثير : ٣٠٨/٢ وانظر ابن جرير : ٢٤٧/٩ .
(٢) البخاري : ٩٥/٢ .
(٣) ابن كثير : ٣٠٨/٢ — ٣٠٩ .
(٤) نفس المصدر والجزء /٣٠٩ .

حتى لا يكون شرك » وكذا قال أبو العالية ومجاهد وغير واحد ، وقوله : « ويكون الدين كله لله » قال ابن عباس : (١) « يخلص التوحيد لله » وقال ابن اسحق : (٢) « ويكون التوحيد خالصاً لله ويخلع ما دونه من الأنداد » .

وقوله : « فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » أي إن استمروا على خلافكم فاعلموا أن الله سيدكم وناصركم عليهم .

وقوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » الغنيمة : ما أخذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب ، والفيء : ما أخذ منهم بغير ذلك كما ذكر في سورة الحشر ومن يجعل أمر الفيء والغنائم راجع إلى رأي الإمام يقول : لا منافاة بينهما إذا رآه الإمام ، وقوله : « لله خمسة » مفتاح كلام ، لله ما في السموات وما في الأرض كذا قال إبراهيم والشعبي والحسن (٣) وغير واحد ، وقوله : « إن كنتم آمنتم بالله الآية » أي امتثلوا ما شرعنا لكم في الخمس إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل .

وقوله : « ليقضي الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور » أي ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وإذلال الشرك عن غير ملأ منكم (٤) وقوله : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة

---

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) سيرة ابن هشام : ٣١٨/٢ ، ابن كثير : ٣٠٩/٢ .
(٣) ابن كثير : ٣١١/٢ .
(٤) نفس المصدر والجزء /٣١٤ .

وإن الله لسميع عليم » أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك والإيمان هو الحياة كقوله : « أو من كان ميتاً فأحييناه الآية (١) » « وإن الله لسميع عليم » لتضرعكم عليم بكم أنكم تستحقون النصر . وقوله : « إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور » قال مجاهد : (٢) « أراه الله إياهم في منامه قليلا فأخبر أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم » وقوله « وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور » هذا من لطفه تعالى بهم أن أراهم إياهم قليلا ليجزيهم عليهم ، ومعنى هذا أن الله أغرى كلا منهم بالآخر وقلله في عينه ليطمع فيه ليعذب من أراد وينعم على من أراد » .

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » هذا تعليم لآداب اللقاء وطريق الشجاعة ، وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العفو والعافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله فإن جلبوا وصيحوا فعليكم بالصمت » (٣) قال قتادة : (٤) « فرض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضراب بالسيوف » فأمر الله بذكره في هذه الحال والاستعانة به وطلب النصر منه وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك ولا يتنازعون فيكونون سبباً لفشلهم » .

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .

(٢) ابن جرير : ١٢/١٥ ، زاد المسير : ٣٦٣/٣ .

(٣) صحيح البخاري : ١٧٧/٤ .

(٤) ابن جرير : ١٤/١٠ ، ابن كثير : ٣١٦/٢ .

وقوله : « وتذهب ريحكم » يعني قوتكم وما كنتم فيه من الإقبال .

وقوله : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » يقول تعالى بعد أمره بالإخلاص في القتال وكثرة ذكره ناهياً لهم عن التشبه بالمشركين الذين خرجوا بطراً أي دفعاً للحق ، وقوله : « والله بما يعملون محيط » ولهذا جازاهم عليهم . بقوله : « إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » قال حين رأى الملائكة قال قتادة (١) « صدق عدو الله » وقوله : « إني أخاف الله » كذب عدو الله » .

قوله تعالى : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم » قال الشعبي : (٢) « كان ناس تعلموا بالإسلام فخرجوا مع أهل مكة يوم بدر فلما رأوا مكة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم » وقال مجاهد وغيره (٣) وقال الحسن : (٤) وهم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين » .

وقوله : « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الآية » أي لو عاينت ذلك لرأيت أمراً هائلا وهذا

---

(١) زاد المسير : ٣٦٧/٣ .
(٢) ابن كثير : ٣١٨/٢ .
(٣) ابن جرير : ٢١/١٠ .
(٤) ابن جرير : ٢١/١٠ ، وابن كثير : ٣١٨/٢ .

وإن كان سببه يوم بدر فهو عام في كل كافر إذا بشرته الملائكة بالعذاب كما في حديث البراء (١) وقوله : « ذلك بما قدمت أيديكم الآية » أي أن الله لا يظلم كما في الصحيح : « من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (٢) ولهذا قال : « كدأب آ ل فرعون الآية » أي فعل هؤلاء كما فعل من قبلهم ففعلنا بهم كما فعلنا بأولئك .

وقوله : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ولا هم يتقون » أي أن شر ما دب على الأرض الذين كفروا « فهم لايؤمنون » الذين كلما عاهدوا نقضوا وقوله : « وهم لايتقون » أي لا يخافون الله فيما ارتكبوا من الآثام .

وقوله : « فإما تثقفنهم في الحرب » أي تظفر بهم « فشرد بهم » أي نكل بهم ومعناه غلظ عقوبتهم ليخاف غيرهم من الأعداء .

وقوله : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين » أي إن خفت منهم نقضاً لما بينك وبينهم من العهد « فانبذ إليهم على سواء » أي أعلمهم أنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم أنهم حرب سواء ، وقوله : « إن الله لا يحب الخائنين » أي لو في حق الكفار وروى الإمام أحمد عن سلمان أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه : دعوني أدعهم كما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم فقال : إنما كنت رجلا منكم فهداني الله عز وجل إلى الإسلام فإن أسلمتم

(١) ابن كثير : ٣١٩/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ١٩٩٤/٤ .

فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون وإن أبيتم نابذناكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها » (١) .

وقوله : « ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » يقول تعالى : « ولا يحسبن الذين كفروا الآية » أي أنهم تحت قدرتنا ثم أمر بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الاستطاعة بقوله : « ما استطعتم » أي مهما أمكنكم من قوة ومن رباط الخيل والقوة الرمي ، وذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل (٢) ، وقوله : « وآخرين من دونهم » قال مجاهد : (٣) « قريظة » وقال الثوري : (٤) قال ابن يمان : هم الشياطين التي في الدور » وقال مقاتل وابن زيد : (٥) « المنافقون » ويشهد له قوله تعالى : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » .

وقوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو العزيز الحكيم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره

(١) مسند أحمد ٥/٤٤٠ ، الترمذي : ١١٩/٤ ، ١٢٠ .
(٢) ابن كثير : ٣٢١/٢ .
(٣) تفسير مجاهد : ٢٦٧ .
(٤) ابن كثير : ٣٢٢/٢ .
(٥) ابن جرير : ٣٢/١٠ ، ابن كثير : ٣٢٢/٢ .

وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » يقول تعالى : إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم فإن حاربوا فقاتلهم فإن جنحوا للسلم أي المصالحة فاجنح لها أي مل إليها ، وقوله : « وتوكل على الله » أي صالح مع التوكل فإن الله ناصرك ولو أرادوا بالصلح خديعة ليستعدوا ثم ذكر نعمته عليه بالمهاجرين والأنصار وتأليفه بين قلوبهم ، وقوله : « إن الله عزيز حكيم » أي منيع الجانب لا يخيب من توكل عليه حكيم في أفعاله يضع الأشياء مواضعها ، وقال ابن مسعود في الآية : (١) « نزلت في المتحابين في الله » قال ابن عباس : (٢) « إن الرحم لتقطع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ، قال الأوزاعي : (٣) « حدثني عبده بن أبي لبابة عن مجاهد ولقيته فأخذ بيدي فقال إذا التقى المتحابان بالله فأخذ أحدهما بيدي صاحبه وضحك إليه تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر ، قال عبده فقلت له : إن هذا ليسير فقال : لا تقل ذلك فإن الله يقول : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم الآية » فعرفت أنه أفقه مني » وقال ابن عون عن عمير بن إسحاق قال : (٤) « كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الألفة » .

وقوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين

---

(١) ابن كثير : ٣٢٣/٢ .
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٣) ابن جرير ٣٧/١٠ وابن كثير ٣٢٣/٢ .
(٤) المصدران السابقان .

إلى قوله : « والله مع الصابرين » يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتحريض المؤمنين على القتال ويخبرهم أنه حسبهم أي كافيهم وناصرهم وإن كثر عدوهم ثم قال مبشراً وآمراً : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية » ثم نسخ الأمر قال ابن عباس : (١) « لما نزلت شق على المسلمين حين فرض ألا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف فقال : « الآن خفف الله عنكم الآية » ونقص من الصبر بقدر ما خفف » .

وقوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » الآيات ، ذكر سبب النزول في السيرة (٢) .

وقوله : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم الآية » قال ابن عباس : (٣) « نزلت في عباس وأصحابه قالوا يا رسول الله آمنا بما جئت به ولننصحن لك على قومنا فأنزل الله هذه الآية » .

وقوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الآيات » ذكر تعالى أقسام المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين وأنصار فهؤلاء بعضهم أولياء بعض أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد فكانوا يتوارثون حتى نسخ (٤) ، ثم قال : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم

---

(١) ابن جرير : ١٠/٤٠-٤١ ، ابن كثير : ٢/٣٢٤ ، البخاري : ٣/٩٥-٩٦ .
(٢) البداية والنهاية : ٣/٢٩٦ - ٢٩٨ ، زاد المسير : ٣/٣٧٩ - ٣٨٠ .
(٣) ابن جرير : ١٠/٤٩ ، ابن كثير : ٢/٣٢٧ .
(٤) ابن جرير : ١٠/٥٢ .

من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » هؤلاء الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال .

وقوله : « وإن استنصروكم في الدين « يقول تعالى وإن استنصركم (١) هؤلاء في قتال ديني على عدولهم فانصروهم فإنهم إخوانكم في الدين إلا إن استنصروكم على كفار بينكم وبينهم ميثاق .

وقوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » لما ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار ولهذا روي : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » رواه أبو داود من حديث سمرة مرفوعاً (٢) وفي حديث آخر : « أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين » (٣) .

ومعنى قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة الآية » أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت الفتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المسلم بالكافر فيقع فساد عريض .

وقوله : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » كقوله في الحديث ، « المرء مع من أحب » (٤) وفي الحديث الآخر :

---

(١) في الأصل : استنصركم .
(٢) سنن أبي داود : ٢/٨٤ .
(٣) ابن كثير : ٢/٣٣٠ .
(٤) صحيح مسلم : ٤/٢٠٣٤ .

« من أحب قوماً حشر معهم »(١) ، وقوله : « وأولوا الأرحام الآية » وهذه ناسخة للإرث بالحلف « في كتاب الله » أي في حكم الله والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة يوم الأربعاء لسبع بقين من ربيع الآخر بقلم الفقير إلى ربه العلي (٢) .

---

(١) ابن كثير : ٣٣٠/٢ .

(٢) اسم الناسخ ممحو .

المصادر والمراجع

١ - آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور أحمد الضبيب ، الرياض . ١٣٩٧ هـ .

٢ - أحكام القرآن

لابن العربي ، الجزء الثاني ، تحقيق البجاوي ، القاهرة .

٣ - البداية والنهاية

لابن كثير ، الجزء الرابع ، بيروت والرياض ١٩٦٦ م .

٤ - تفسير مجاهـــد

تحقيق عبد الرحمن بن محمد السورتي ، الدوحة ١٣٩٦ .

٥ - تفسير ابن كثير

الجزء الثاني ، القاهرة .

٦ - تفسير الطبري

الجزء التاسع والعاشر ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ .

٧ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس

للفيروز أبادي ، القاهرة ١٣٧٠ .

٨ - تفسير القرطبي

دار الكتب المصرية ١٣٥٧ .

٩ - الدرر السنية

لابن قاسم العاصمي النجدي ، الرياض .

١٠ ــ الدر المنثور
للسيوطي ، القاهرة .
١١ ــ زاد المسير
لابن الجوزي ، الجزء الثالث ، بيروت ١٣٨٥ .
١٢ ــ زاد المعـــاد
لابن قيم الجوزية ، القاهرة ١٣٧٩ .
١٣ ــ سنن الترمذي
تحقيق إبراهيم عطوة ، القاهرة .
١٤ ــ سنن أبي داود
تعليق الشيخ أحمد سعد علي ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .
١٥ ــ سيرة ابن هشام
الجزء الثاني، ضبط الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة
١٦ ــ شرح ديوان زهير
صنعة ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٣ هـ .
١٧ ــ صحيح البخاري
طبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٢ هـ .
١٨ ــ صحيح مسلم
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٣٧٥ هـ .
١٩ ــ المسند
للإمام أحمد بن حنبل ، القاهرة .

الموضوع الصفحة

مختصر تفسير سورة الأنفال

من ١ — ٢٨

بعض فوائد صلح الحديبية

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمـــه الله

تحقيق

د • ناصر بن سعد الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر بعض الفوائد التي في قصة الحديبية

منها وهي أعظمها : تسمية الله تعالى لا إله إلا الله كلمة التقوى (١) وجعلها أعداء الله كلمة الفجور .

الثانية : تفسير شيء من شهادة أن محمدا رسول الله لاستدلال أبي بكر على عمر لما أشكل عليه مسألة من أشكل المسائل (٢) .

الثالثة : عظمة أعمال القلوب عند الله لأن أهل الشجرة لم يبلغوا ذلك إلا بأعمال الله (٣) في قلوبهم .

الرابعة : الخطر العظيم في أعمال القلوب لقوله : «كادوا أن يهلكوا »(٤)

الخامسة : أنهم مع ذلك مجاهدون (٥) في الدين على زعمهم لم يغضبوا إلا لله فلم تنفعهم النية الخالصة (٦) .

السادسة : حاجتهم إلى المدد الجديد فلولا أن الله أنزل السكينة عليهم لم يقو إيمانهم على تلك الفتنة .

---

(١) في ط : « تسمية الله لا إله إلا الله كلمة التقوى » .
(٢) سيرة ابن هشام : ٣٦٥/٣ .
(٣) في ط : « إلا بما علم الله » .
(٤) سيرة ابن هشام : ٣٦٧/٣ والعبارة : « كادوا يهلكون » .
(٥) في الأصل : مجاهدين وكذلك في ط .
(٦) في ط : « الصالحة » .

السابعة : أن هذا من أعظم ما يعرفك حاجتك إلى الله في تثبيت القلب على الإيمان كل وقت بل تعرفك حاجة الكمال إلى ذلك (١) .

الثامنة : أن ذلك الكمال محشو من السيئات(٢) العظيمة لقوله : « فعملت لذلك أعمالا » (٣) .

التاسعة : اجتماع الأضداد حتى في قلوب الكُمّل بعض الأحيان لقوله : « وأنا أشهد أنه رسول الله » (٤) .

العاشرة : أن أعلم الناس قد يفهم من النّص ما لايدل عليه لقوله : « تحدثنا أنا نأتي البيت » (٥) .

الحادية عشرة : معرفة أنه يتصور أن أعلم الناس وأتقاهم قد يعصى (٦) النص الصريح ديانة (٧) لقوله : « قوموا فانحروا فلم يفعلوا » (٨) .

الثانية عشرة : معرفة قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

الثالثة عشرة : معرفة قوله تعالى : « وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » .

---

(١) في ط : « بل تعرف حاجة الكمل إلى ذلك » .
(٢) في ط : « أن ذلك الجهاد محسوب من الآيات » .
(٣) زاد المعاد : ١٢٥/٢ والقائل هو عمر .
(٤) القائل هو عمر ، انظر سيرة ابن هشام : ٣٦٥/٣ ، وتاريخ الطبري : ٧٩/٣ .
(٥) زاد المعاد : ١٢٥/٢ .
(٦) كلمة : « يخالف » أحسن .
(٧) كلمة : « ديانة » ليست في ط .
(٨) زاد المعاد : ١٢٥/٢ .

الرابعة عشرة : أن ذلك الذي يحب قد تصير عاقبته بالعكس في نفس القضية .

الخامسة عشرة : أن المكروه قد تصير عاقبته كذلك في القضية .

السادسة عشرة : أن الله يبتلي بما تعجز عنه عقول كبار العلماء (١) .

السابعة عشرة : معرفة رفع الله من تواضع لأجله .

الثامنة عشرة : معرفة إذلال الله من تعزز بمعصيته .

التاسعة عشرة : معرفة فضيلة التسليم للشارع فيما لم يدرك العقل .

العشرون : (٢) اختلاف علم أكابر العلماء في ذلك .

الحادية والعشرون : أنهم لم يصلوا إلى السلامة فضلا عن الفضائل إلا بعفو الله .

الثانية والعشرون : رأفته صلى الله عليه وسلم ورحمته حيث لم يغضب .

الثالثة والعشرون : الفرق بين ذلك وبين غضبه في فسخ العمرة .

الرابعة والعشرون : ما أعطوا من قوة إيمان صبر (٣) أبي جندل واحتسابه (٤) .

الخامسة والعشرون : ما أعطوا من غزارة العلم والأدب لقصة عثمان (٥)

---

(١) في ط : « أكبر العلماء » .

(٢) في الأصل : « العشرين » ودرج على ذلك في جميع العشرين .

(٣) في ط : « الإيمان لصبر »

(٤) زاد المعاد : ١٢٥/٢ ، وسيرة ابن هشام : ٣٦٧/٣ .

(٥) زاد المعاد : ١٢٤/٢ ، وسيرة ابن هشام : ٣٦٤/٣ .

السادسة والعشرون (١) : أن قول عمر : « أخافهم على نفسي » (٢) ليس من الخوف المذموم .

السابعة والعشرون : قوله : « ليس فيها من بني عدي ما يمنعني » (٣) ليس من ترك التوكل على الله .

الثامنة والعشرون : قيام المغيرة على رأسه (٤) ليس من القيام المكروه .

التاسعة والعشرون : فعله بعروة بالسيف (٥) ليس مما يُكره .

الثلاثون : قول أبي بكر لعروة (٦) ليس من الفحش المذموم .

الحادية والثلاثون : قولهم : « خلأت القصواء » ليس الخطاب المذموم (٧) .

الثانية والثلاثون : مراعاتهم الكفاني في التلبية والهدى ليس من الرياء (٨) .

الثالثة والثلاثون : فعلهم في النخامة والوضوء والشعر ليس من الغلو المذموم (٩) .

---

(١) سيرة ابن هشام : ٣٦٣/٣ .

(٢) زاد المعاد : ١٢٣/٢ ، سيرة ابن هشام : ٢٦٣/٣ .

(٣) زاد المعاد : ١٢٤/٢ ، سيرة ابن هشام : ٣٦٣/٣ .

(٤) نفس المصدرين .

(٥) نفس المصدرين .

(٦) قول أبي بكر : « امصص بظر اللات ... » انظر زاد المعاد : ١٢٨/٢ وسيرة ابن هشام : ٣٦٢/٣ .

(٧) زاد المعاد : ١٢٣/٢ ، وابن هشام : ٣٥٧/٣ وفى ط « من الخطأ المذموم » وخلأت : حرنت .

(٨) تاريخ الطبري : ١٦٧/٤ .

(٩) زاد المعاد : ١٢٤/٢ ، البداية والنهاية : ١٦٧/٤ .

الرابعة والثلاثون : شكواهم قلة الماء (١) ليس من الشكوى المذمومة .

الخامسة والثلاثون : الإشارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير رأيه (٢) ليس من التقدم المذموم .

السادسة والثلاثون : الانتفاع بالكفار في بعض أمور الدين (٣) ليس مذموما لقصة الخزاعي (٤) .

السابعة والثلاثون : الوثوق بخبر الكافر في بعض أمور المسلمين ليس مذموما .

الثامنة والثلاثون : إخبار الكافر وأمره ببعض مصالحه في مثل قوله : « نهكتهم الحرب » (٥) ليس مذموما .

التاسعة والثلاثون : إشارة عمر لأبي جندل في قتل أبيه (٦) ليس من الخيانة .

الأربعون : الإشارة إلى الفرار لمثل أبي بصير لقوله : « ويل أمه » (٧) ليس من الخيانة (٨) .

الحادية والأربعون : محاربته ومن معه لقريش مع كونهم في الذمة لا بأس به وليس من الإخفار المذموم .

---

(١) صحيح البخاري : ٣٠/٣ .
(٢) زاد المعاد : ١٢٥/٢ .
(٣) في ط : « بعض الأمور » .
(٤) هو بديل بن ورقاء انظر : زاد المعاد : ١٢٤/٢ ، البخاري : ٣٢/٣ .
(٥) زاد المعاد : ١٢٤/٢ .
(٦) سيرة ابن هشام : ٣٦٧/٣ - ٣٦٨ .
(٧)
(٨) في ط « ليس مذموما » .

الثانية والأربعون : حكم الله في عدم رد النساء وإعطاء الزوج الصداق لا نقص فيه (١) .

الثالثة والأربعون : مراجعته صلى الله عليه وسلم في بعض المسائل لانقص فيه لقول عمر : « أفتح هو ! » (٢) .

الرابعة والأربعون : قبول رأي المرأة بعض الأحيان لانقص فيه (٣) .

الخامسة والأربعون : قد يكون رأيها هو الصواب .

السادسة والأربعون : شدة الحاجة إلى المشاورة .

السابعة والأربعون : الصلاة في آثار الأنبياء إذا مر بها (ولم يكثر منه) (٤) ليس من الغلو المذموم .

الثامنة والأربعون : كون الصحابة لا يكترثون بحفظها .

التاسعة والأربعون : إظهار الهيبة (٥) عند رسول الكفار ليس من الرياء المذموم .

الخمسون : أن إظهار العمل الصالح بعض الأحيان للناس ليس مذموما كقول عثمان لهم : « لا أطوف به » (٦) .

---

(١) تاريخ الطبري : ٨١/٣ .

(٢) زاد المعاد : ١٢٦/٢ وفي ط : « في بعض المسائل لقول عمر : « أفتح هو » .

(٣) المقصود رأي أم سلمة رضي الله عنها حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك » انظر زاد المعاد : ١٢٥/٢ .

(٤) مزيدة من ط .

(٥) فى ط « الهيئة » .

(٦) زاد المعاد : ١٢٤/٢ « ما طفت به » وفي ط : « لأطوفن » .

الحادية والخمسون : ما أعطى الصحابة من الشدة في أمر الله حين حرصوا على قتالهم على هذه الحالة وصعب عليهم تركه .

الثانية والخمسون : شدة كراهتهم لما ظنوا أن فيه على الملة غضباً (١) .

الثالثة والخمسون : مبايعتهم على الموت والحالة هذه (٢) .

الرابعة والخمسون : شدة تعظيمهم لنبيهم وأدبهم معه (٣) .

الخامسة والخمسون : ما أعطوا من دقة الفهم وغزارة العلم في فهم أبي بكر وعثمان .

السادسة والخمسون : ما فيهم من خشية الله لقوله (٤) : « فعملت لذلك أعمالا » .

السابعة والخمسون : ما أعطوا من الرجاء لقول عمر لأبي جندل : « إن الله جاعل لك فرجا » (٥) .

الثامنة والخمسون : ما أعطوا من المحبة كما يفهم من غير موضع .

التاسعة والخمسون : ما أعطوا من اليقين .

الستون : ما أعطوا من السكينة (٦) والثبات .

الحادية والستون : إكرامهم إياهم بإلزامهم بالكلمة .

---

(١) في ط : « غضاضة » .

(٢) صحيح البخاري : ٣١/٣ .

(٣) في ط : « ولربهم معه » .

(٤) في ط : « لقول عمر » .

(٥) سيرة ابن هشام : ٣٦٧/٣ .

(٦) في ط دمج التاسعة والخمسين مع الستين هكذا : « ما أعطوا من اليقين والثبات » .

الثانية والستون : الثناء عليهم بكونهم أحق بها .

الثالثة والستون : ثناؤه بكونهم أهلها .

الرابعة والستون : صدور ذلك عن علم وحكمة (١) .

الخامسة والستون : ما فيها من علامات النبوة التى يطول تعدادها ومن أراد ذلك فليتأمل سورة الفتح .

السادسة والستون : بيان كمال (٢) صديقية أبي بكر .

السابعة والستون : كمال قوة عمر (٣) .

الثامنة والستون : فهم علي وأدبه .

التاسعة والستون : فضائل ناس (٤) منهم كابن عمر وأبي سنان (٥) وسلمة والمغيرة .

السبعون : فضيلة هذه البيعة لقوله : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » (٦) .

الحادية والسبعون : كون خير لهم خاصة (٧) .

الثانية والسبعون (٨) : فيها شاهد لمذهب أهل السنة في السكوت عما شجر بينهم .

---

(١) في ط : « وحكم » .
(٢) (٣) كلمة « كمال » ليست في ط .
(٤) في ط : « أناس » .
(٥) في ط : « وابن سنان » .
(٦) سنن الترمذي : ٥/٦٩٥ .
(٧) في ط : « خيبر » .
(٨) في ط : « الثالثة والسبعون ولم يذكر الثانية والسبعين .

الثالثة والسبعون : فيها شاهد لمذهبهم أيضاً في جميعهم (١) والترضي عنهم .

الرابعة والسبعون : فيها شاهد أنه يغفر لهم مالا يغفر لغيرهم .

الخامسة والسبعون : أن أعظم ما كرهوا صار عاقبة تكفير السيئات والخلود في الجنات وغناهم وغنى عيلاتهم بعد الفقر والكفر الذي لم يخطر ببال (٢) .

السادسة والسبعون : أن صلة الرحم تعم المسلم والكافر .

السابعة والسبعون : أن الكافر قد يسأل المسلم ما يعظم به حرمات الله .

الثامنة والسبعون : استحباب اليمين عند الحاجة لإقسامه صلى الله عليه وسلم في هذه في غير موضع (٣) .

التاسعة والسبعون : أن الرفق بالرعية والإحسان إليهم لاينافي تحميلهم ما يكرهون عند الحاجة .

الثمانون : أن موافقة الكفار على شيء من هديهم يجوز عند الحاجة .

الحادية والثمانون : العبرة في كون الكفار ولاة البيت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مطرودون عنه (٤) .

---

(١) في ط : « وفي موالاتهم » .
(٢) دمج بين المسألة الرابعة والسبعين وبين الخامسة .
(٣) زاد المعاد : ١٢٤/٢ .
(٤) في ط : « ممنوعون عنه » .

الثانية والثمانون : العبرة في كونهم ما يحجون وما يعتمرون والرسول وأصحابه ممنوعون (١) .

الثالثة والثمانون : الإجماع على ذم الجهل وشرف العلم (٢) لقولهم : « اجلس إنما أنت أعرابي » (٣) .

الرابعة والثمانون : الإجماع على كون أهل القرى خيراً من البادية .

الخامسة والثمانون : هديهم في بدء الكتاب : « باسمك اللهم » (٤) خلاف أكثر الناس اليوم .

السادسة والثمانون : قولهم : « لو نعلم أنك رسول الله ما ابتعاك » (٥)

السابعة والثمانون : امتناعهم من كتابة هدي المسلمين واسم رسول الله في الكتاب .

الثامنة والثمانون : كون منهم قوم يتألهون (٦) .

التاسعة والثمانون : حرب الرجل لما رأى الهدي إعظاما للمعصية .

التسعون : إنكاره عليهم وقوله : « ما على هذا وافقناكم » (٧) أن يصد عن البيت .

---

(١) في ط : « العبرة في كون الكفار الذين يحجون ويعتمرون والرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ممنوعون عنه » .

(٢) في ط : « على شرف العلم وذم الجهل » .

(٣) ابن هشام : ٣٦١/٣ ، البداية : ١٦٦/٤ .

(٤) زاد المعاد : ١٢٥/٢ وابن هشام : ٣٦٦/٣ .

(٥) زاد المعاد : ١٢٤/٢ والعبارة « ما صددناك » وابن هشام : ٣٦٦/٣ : « ما قاتلناك » وفي ط « اتبعناك » .

(٦) ابن هشام : ٣٦٠/٣ .

(٧) سيرة ابن هشام : ٣٦٠/٣ والطبري : ٧٥/٣ والعبارة : « ما على هذا حالفناكم » .

الحادية والتسعون : أن من دينهم ألا يصد عن البيت أعدى العدو .

الثانية والتسعون : أن عداوة الدين فوق كل عداوة .

الثالثة والتسعون : ما أعطوا من العقول والنهى يفهم من كلام عروة لهم وللنبي صلى الله عليه وسلم (١) .

الرابعة والتسعون : استقباحهم القطعية لقوله : « هل سمعت أن أحدا الخ » (٢) وفعل بني أمية مع عثمان .

الخامسة والتسعون : ترك المسلم قتل قريبه الكافر لا ينكر لفعل أبي جندل (٣) .

السادسة والتسعون : أن قتل المسلم أباه الكافر لانقص فيه لفعل عمر (٤) .

السابعة والتسعون : فهمه صلى الله عليه وسلم من بروكها (٥) مالا يفهمون (٦) .

الثامنة والتسعون : استسلامه للأمر والوثوق بالله .

التاسعة والتسعون : كونه أحسنهم ظناً في عثمان .

المائة : حلمه صلى الله عليه وسلم على أصحابه لما جرى منهم ما جرى .

---

(١) النظر كلام عروة في الزاد : ١٢٤/٢ .
(٢) القائل عروة انظر الطبري : ٧٤/٣ وفي ط : « أن أحدا اجتاح أهله الخ » .
(٣) سيرة ابن هشام : ٣٦٨/٣ .
(٤) نفس المصدر والجزء : ٣٦٧ ، تاريخ الطبري : ٨٠/٣ .
(٥) زاد المعاد : ٢٣/٢ ، الطبري : ٧٣/٣ .
(٦) الأصل : يفهموا .

الحادية بعد المائة : استعمال الفال (١) .

الثانية (بعد المائة) : حسن سياسته صلى الله عليه وسلم مع المسلم والكافر يفهم من جوابه لعمر ومن قوله : « ابعثوا الهدي في وجهه » (٢)

الثالثة بعد المائة : ما كرمه الله به وشرفه على الأنبياء بنزول (٣) سورة الفتح التي فيها « ليغفر لك الله .. الخ » .

الرابعة : هوان الدنيا عنده .

الخامسة : تغنيه بالقرآن .

السادسة : حاجته لإنزال السكينة (٤) .

السابعة : إلزام الله له كلمة التقوى .

الثامنة : إزالته المشكلات عن أصحابه (٥) .

التاسعة : سؤالهم إياه ما أشكل عليهم من كلام الله أو كلامه .

الحادية عشرة (٦) بعد المائة : صبره على أذى عروة الذي لم يصبر عليه المغيرة وأبو بكر (٧) .

---

(١) لقوله صلى الله عليه وسلم لما جاء سهيل بن عمرو : « قد سهل لكم من أمركم » زاد المعاد : ١٢٥/٢ .

(٢) هو الحليس بن علقمة أو ابن زيان انظر سيرة ابن هشام : ٣٦٠/٣ .

(٣) في ط : « ما أكرمه الله به تعالى وشرفه به على الأنبياء من نزول أول سورة » .

(٤) في ط : « النزول » .

(٥) في ط : « عن الصحابة » .

(٦) في الأصل : عشر .

(٧) الأذى أن عروة كان يأخذ بلحية النبي صلى الله عليه وسلم كلما تكلم ويضرب المغيرة بيده بنصل السيف ، انظر زاد المعاد : ١٢٣/٢ وفي ط « ولا أبو بكر » .

الثانية عشرة بعد المائة : قوله : « دعوهم يكون لهم بدء الغدر وثناؤه » (١) .

الثالثة عشرة (بعد المائة) : حلمه عمن أراد اغتياله غدرا .

الرابعة عشرة : عمرته في أشهر الحج .

الخامسة عشرة : جواز فسخ نيتها إلى الجهاد (٢) .

السادسة عشرة : حسن خلقه مع أصحابه حتّى يدع رأيه لرأيهم .

السابعة عشرة : ليس ذلك من التقدم بين يديه .

الثامنة عشرة : إهداء البدن في العمرة .

التاسعة عشرة : تقليده .

العشرون : إشعاره .

الحادية والعشرون : الاشتراك فيه .

الثانية والعشرون : ما يفعل المحصر .

الثالثة والعشرون : كون الهدي أكل أوباره (٣) بأمره صلى الله عليه وسلم .

الرابعة والعشرون : إهداؤه جمل أبي جهل مغايظة لهم (٤) .

الخامسة والعشرون : جواز المصالحة عشر سنين للحاجة .

---

(١) تاريخ الطبري ٧٦/٣٠ والعبارة فيه : « دعوهم يكن لهم بدء الفجور » .

(٢) في ط : « فسخ تسميتها » . وانظر تفسير ابن كثير : ١٨٨/٤ .

(٣) سقطت كلمة « أوباره » من ط .

(٤) سيرة ابن هشام : ٣٦٩/٣ وفي ط : « عليهم » .

السادسة والعشرون : كون هذا الصلح فتحاً مبيناً .

السابعة والعشرون : أنه عند السلف وفي القرآن لا فتح مكة (١) .

الثامنة والعشرون : نفي التسوية بين من أنفق وقاتل قبله وبين غيره .

التاسعة والعشرون : كون موضع الشجرة خفي عليهم العام الآتي(٢) .

الثلاثون بعد المائة : الصلاة في الحرم للنازل في الحل .

الحادية والثلاثون : سرعة فرج الله للمستضعفين .

الثانية والثلاثون : كون قريش سألوه أن يؤديهم (٣) .

الثالثة والثلاثون : العجب العجاب دفع (٤) عن قريش بأبغض البغضاء إليهم .

الرابعة والثلاثون : كبر أذى المسلم عند الله .

الخامسة والثلاثون : لزوم الدية في قتل الخطأ .

السادسة والثلاثون : دخول الناس(٥) الجنة بسبب أبغض الناس إليهم .

السابعة والثلاثون : التنبيه على عدم احتقار الضعفاء .

الثامنة والثلاثون : لعل الله يعطيك الخير ويصرف عنك السوء بسببهم .

التاسعة والثلاثون : بركة الطاعة وإن كرهت والله أعلم تمت .

---

(١) صحيح البخاري : ١٣٥/٣ .

(٢) نفس المصدر والجزء : ٣١ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٣٧٣/٣ ، وقد سقطت « سألوه أن يؤديهم » من ط .

(٤) في ط : « العجب دفع الله عن قريش بأبغض البغضاء إليهم وهم المسلمون بمكة » .

(٥) في ط : « أناس » .

المصادر والمراجع

١ ـ آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب
للدكتور أحمد الضبيب ، الرياض ١٣٩٧ .

٢ ـ البداية والنهاية
لابن كثير ، الجزء الرابع ، بيروت والرياض ١٩٦٦ .

٣ ـ تاريخ الطبري
الجزء الثالث ، المطبعة الحسينية ، القاهرة .

٤ ـ تفسير ابن كثير
الجزء الرابع ، القاهرة .

٥ ـ الدرر السنية
جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي ، الرياض .

٦ ـ زاد المعاد
لابن قيم الجوزية ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٣٧٩ .

٧ ـ سنن الترمذي
الجزء الخامس تحقيق : إبراهيم عطوة ، القاهرة .

٨ ـ سيرة ابن هشام
الجزء الثالث تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة

٩ ـ صحيح البخاري ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .

رسالة
في الرد على الرافضة

تأليف الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

تحقيق

الدكتور / ناصر بن سعد الرشيد

مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد :

فإنه في أثناء تصوير مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز لبعض المخطوطات في مكتبة الأوقاف في بغداد عثرنا على مجموع فيه رسائل كثيرة لبعض أئمة الحنابلة كابن تيمية وابن رجب رحمهما الله ، وضمن هذا المجموع رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهذه الرسالة « الرد على الرافضة » كانت إحدى الرسائل التي لفتت نظري لأهميتها فعقدت العزم على القيام بتحقيقها .

ولما كانت فريدة ولم أستطع العثور على نسخة أخرى لها فقد عمدت إلى تصحيحها وتخريج أحاديثها وتتبع نصوصها سواء أخذت هذه النصوص من مصادر سنية أو شيعية ولما كانت مصادر الشيعية غير متوفرة فقد عمدت إلى المخطوط منها في مكة المكرمة ثم إلى ما وصلت إليه يدي من كتبهم المطبوعة خاصة الفقهية منها ثم إني – على ضيق من الوقت – كلفت أحد زملائي الباحث في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الذي قضى إجازة عيد الفطر في العراق أن يتتبع بعض مصادر الشيعة الهامة التي أشار إليها الشيخ في رسالته فكان نعم المساعد وجزاه الله خيراً .

هذا وقد كنت حريصاً أن أثبت ما في هذه الرسالة من عناوين على شكل مطالب سواء كانت من أصل التأليف أو من تبويبات الناسخ وهو الأرجح ، وكذلك المقدمة القصيرة التي حمد الله فيها وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم .

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير والسداد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من أهل السنة والصلاة والسلام على عبده الذي أكمل علينا به المنة وعلى آله وأصحابه الذين حبهم واتباع آثارهم أقوى جنة ، أما بعد :

فهذا مختصر مفيد (١) للشيخ محمد بن عبد الوهاب تغمده الله بالرحمة والرضوان في بعض قبائح الرافضة الذين رفضوا سنة حبيب الرحمن واتبعوا في غالب أمورهم خطوات الشيطان فضلوا وأضلوا عن كثير من موجبات الإيمان بالله وسعوا في البلاد بالفساد والطغيان يتولون أهل النيران ويعادون أصحاب الجنان نسأل الله العفو عن الافتتان من قبائحهم .

مطلب الوصية بالخلافة :

إن مفيدهم ابن المعلم (٢) قال في كتابه روضة الواعظين (٣) : « إن الله أنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بعـــد توجهه إلى المدينة في الطريق في حجة الوداع فقال : يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام

(١) في الأصل : فهذا مختصر جل من النواقض وهو من كلام الناسخ .

(٢) مفيدهم : يقصد : المفيد محمد بن محمد ويعرف بابن المعلم انتهت إليه رئاسة الشيعة قال الذهبي : « أكثر من الطعن على السلف وكانت له صولة في دولة عضد الدولة » انظر ميزان الاعتدال : ٣٠/٤ ، والأعلام : ٢٤٥/٧ .

(٣) انظر : ٨٩/١-٩٠ ومؤلف الكتاب هو : محمد بن الفتال . ت ٥٠٨ .

ويقول لك : انصب علياً للإمامة ونبه أمتك على خلافته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أخي جبريل إن الله بغض أصحابي لعلي إني أخاف منهم أن يجتمعوا على إضراري فاستعف (١) لي ربي فصعد جبريل وعرض جوابه على الله تعالى فأنزله الله تعالى مرة أخرى وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مثلما قال أولاً فاستعفى النبي صلى الله عليه وسلم كما في المرة الأولى ثم صعد جبريل فكرر جواب النبي صلى الله عليه وسلم فأمره الله بتكرير نزوله معاتباً له مشدداً عليه بقوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » فجمع أصحابه وقال : يا أيها الناس إن علياً أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ليس لأحد أن يكون خليفة بعدي سواه (٢) ، من كنت مولاه فعَلَيٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه انتهى » .

فانظر يا أيها المؤمن إلى حديث هؤلاء الكذبة الذي يدل على اختلاقه ركاكة ألفاظه وبطلان أغراضه ولا يصح منه إلا من كنت مولاه (٣) ، ومن اعتقد منهم صحة هذا فقد هلك إذ فيه اتهام المعصوم قطعاً من المخالفة بعدم امتثال أمر ربه ابتداءاً وهو نقص ، ونقص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفر ، وأن الله تعالى اختار لصحبته من يبغض أجل أهل بيته ، وفي ذلك ازدراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة لما مدح الله به رسوله (٤)

---

(١) في الأصل : فاستعفي .

(٢) في الأصل : سواء .

(٣) في الأصل : كنت اه .

(٤) في الأصل : به ورسوله أصحابه .

وأصحابه من(١) أجل المدح قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما »(٢) واعتقاد ما يخالف كتاب الله والحديث المتواتر كفر ، وأنه صلى الله عليه وسلم خاف إضرار الناس وقد قال الله تعالى : « والله يعصمك من الناس »(٣) قبل ذلك كما هو معلوم بديهة واعتقاد عدم توكله على ربه فيما وعده نقص ونقصه كفر وإن فيه كذباً على الله تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً » وكذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استحل ذلك فقد كفر ، ومن يستحل ذلك فقد تفسق ، وليس في قوله : من كنت مولاه أن النص على خلافته متصلة ولو كان نصاً لادعاها علي رضي الله عنه لأنه أعلم بالمراد ، ودعوى ادعائها(٤) باطل ضرورة ، ودعوى علمه يكون نصاً على خلافته وترك ادعائها تقيه أبطل من أن يبطل .

ما أقبح ملة قوم يرمون إمامهم بالجبن والخور والضعف في الدين مع أنه من أشجع الناس وأقواهم .

---

(١) كلمة : من زائدة هنا .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) في الأصل : وادعاها .

مطلب إنكار خلافة الخلفاء :

ومنها إنكارهم صحة خلافة الصديق رضي الله عنه (١) وإنكارها يستلزم تفسيق من بايعه واعتقد خلافته حقاً وقد بايعه الصحابة رضي الله عنهم حتى أهل البيت كعلي رضي الله عنه وقد اعتقدها حقاً جمهور الأمة واعتقاد تفسيقهم يخالف قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (٢) إذ أي خير في أمة يخالف أصحاب نبيها إياه ويظلمون أهل بيته بغصب أجل المناصب ويؤذونه بإيذائهم ويعتقد جمهورها الباطل حقاً (سبحانك هذا افتراء عظيم) ومن اعتقد ما يخالف كتاب الله فقد كفر والأحاديث الواردة في صحة خلافة الصديق وبإجماع الصحابة وجمهور الأمة على الحق أكثر من أن تحصر ، ومن نسب جمهور أصحابه صلى الله عليه وسلم إلى الفسق والظلم وجعل اجتماعهم على الباطل فقد ازدرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وازدراؤه كفره ، ما أضيع صنيع قوم يعتقدون في جمهور (٣) النبي صلى الله عليه وسلم الفسق والعصيان والطغيان مع أن بديهة العقل تدل على أن الله تعالى لا يختار لصحبة صفيّه ونصرة دينه إلا الأصفياء من خلقه والنقل المتواتر يؤيد ذلك ، فلو كان في هؤلاء القوم خير لما تكلموا في صحب النبي صلى الله عليه وسلم وأنصار دينه إلا بخير لكن الله أشقاهم فخذلهم بالتكلم في أنصار الدين كل ميسر

---

(١) رجال الكشي : ٦١ ، منهاج الكرامة : ١٩٤-٢٠٢ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) لعله : جمهور أصحاب النبي .

لما خلق (له) (١) . عن علي رضي الله عنه قال : « دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله استخلف علينا قال : إن يعلم الله فيكم خيراً يول عليكم خيركم فقال علي رضي الله عنه : فعلم الله فينا خيراً فولى علينا خيرنا أبا بكر رضي الله عنه » رواه الدارقطني (٢) ، وهذا أقوى حجة على من يدعي موالاة (٣) علي رضي الله عنه ، وعن جُبير بن مطعم قال : « أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه فقالت : إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت ، قال : إن لم تجديني فأت (٤) أبا بكر » رواه البخاري ومسلم (٥) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله شيئاً فقال : تعودين فقالت يا رسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال : إن جئت فلم تجديني فأتي أبا بكر فإنه الخليفة بعدي » رواه ابن عساكر (٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « سمعت رسول الله يقول : يكون خلفي اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث إلا قليلا » رواه البغوي بسند حسن (٧) . وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمر رضي الله

(١) كلمة : له مزيدة .
(٢) الصواعق المحرقة : ٤٧ .
(٣) لعل الشيخ استعمل هذه الكلمة حسب السياق وإلا فهي خلافة .
(٤) الأصل فأتى .
(٥) صحيح البخاري : ١٩٧/٢ ، ومسلم : ١٨٥٦/٤-١٨٥٧ .
(٦) الصواعق المحرقة : ٢٠ .
(٧) كنز العمال : ١٥٥ صفوة الصفوة : ٢٣٥/١ .

عنهما » رواه أحمد والترمذي وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه ورواه الطبراني عن أبي الدرداء والحاكم عن ابن مسعود (١) وعن حذيفة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتمسكوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه » رواه أحمد وغيره (٢) .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود » رواه ابن عدي (٣) وعنه بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أسأله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك فقال : « إلى أبي بكر » رواه الحاكم وصححه (٤) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن (٥) ويقول قائل : أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » رواه مسلم وأحمد (٦) وهذا الحديث يخرج من يأبى خلافة الصديق عن المؤمنين ، عن علي رضي

---

(١) سنن ابن ماجة : ٣٧/١ ، الترمذي : ٦٠٩/٥ ، المستدرك : ٧٥/٣ .

(٢) المستدرك : ٣/٧٥-٧٦ ، مسند أحمد : ٣٨٥/٥ وفيهما : « وما حدثكم به » .

(٣) الجامع الصغير : ٥٧/٢ .

(٤) المستدرك : ٧٧/٣ .

(٥) في الأصل متمني .

(٦) صحيح مسلم : ١٨٥٧/٤ ، مسند أحمد : ١٠٦/٦ .

الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت الله أن يقدمك ثلاثاً فأبى الله إلا تقديم أبي بكر » وفي رواية زيادة : « ولكني خاتم الأنبياء وأنت خاتم الخلفاء » رواه الدارقطني والخطيب وابن عساكر(١) ، وعن سفينة قال : « لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجراً وقال لأبي بكر : ضع حجرك إلى جنب حجري ثم قال لعمر :ضع حجرك إلى جنب حجَر أبي بكر ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدي» رواه ابن حبان قال أبو زرعه :إسناده قوي لا بأس به والحاكم وصححه والبيهقي (٢) ، روي في تفسير قوله تعالى : « وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه » (٣) الإخبار بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٤) قيل يشير إلى خلافة الصديق رضي الله عنه قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم أصحاب النار هم فيها خالدون » (٥) لأنه هو الذي جاهد أهل الردة قوله تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » الآية (٦) لأنه هو الذي باشر قتال بني حنيفة الذين كانوا من أشد الناس حين ارتدوا وقوله تعالى : «وعد الله الذين

---

(١) جمع الجوامع : ٣٥٨/١ ، تاريخ بغداد : ٢١٣/١١ وعنده « فأبى علي إلا تقديم ... » .

(٢) كنز العمال : ١٥٦/٢ ، مجمع الزوائد : ١٧٦/٥ ، المطالب العالية : ١٨/٤ .

(٣) التحريم : ٣ .

(٤) مجمع الزوائد : ١٧٨/٣ ، تفسير ابن كثير : ٣٩٠/٤ .

(٥) البقرة : ٢١٧ .

(٦) الفتح : ١٦ .

آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم» الآية (١) وقد مكن الإسلام بأبي بكر وعمر فكانا خليفتين (٢) حقين لوجود صدق وعد الله تعالى وما صح من قوله صلى الله عليه وسلم « الخلافة بعدي ثلاثون » (٣) وفي بعض الروايات خلافة رحمة ، وفي بعضها خلافة النبوة (٤) وما صح من أمره صلى الله عليه وسلم أبا بكر في مرض موته بإمامة الناس (٥) وهذا التقديم من أقوى إمارات حقيقة خلافة الصديق وبه استدل أجلاء الصحابة كعمر وأبي عبيدة وعلي رضي الله عنهم أجمعين فهذه وما شاكلها (٦) تسود وجوه الرافضة والفسقة المنكرين خلافة الصديق رضي الله عنه .

مطلب دعواهم ارتداد الصحابة رضي الله عنهم :

ومنها أنه روى الكشي (٧) منهم وهو عندهم أعرفهم بحال الرجال وأوثقهم في رجاله وغيره عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وحاشاه من ذلك أنه قال لما مات النبي صلى الله عليه وسلم : ارتد الصحابة كلهم إلا أربعة المقداد وحذيفة وسلمان وأبو ذر رضي الله عنهم فقيل له :

---

(١) النور : ٥٥ .

(٢) في الأصل خليفين .

(٣) المستدرك : ٧١/٣ ، مسند أحمد : ٢٢٠/٥ ، سنن الترمذي : ٥٠٢/٤ .

(٤) مسند أحمد : ٥٠/٥ ، سنن أبي داود : ٥١٥/٢ .

(٥) سنن الترمذي : ٦١٣/٥ .

(٦) في الأصل : وما تشاكلها .

(٧) رجال الكشي : ١٢ ، ١٣ .

كيف حال عمار بن ياسر قال : حاص حيصة ثم رجع » هذا العموم المؤكد يقتضي ارتداد علي وأهل البيت وهم لا يقولون بذلك وهذا هدم لأساس الدين لأن أساسه القرآن والحديث فإذا فرض ارتداد من أخذ من النبي صلى الله عليه وسلم إلا النفر الذين لا يبلغ خبرهم التواتر وقع الشك في القرآن والأحاديث نعوذ بالله من اعتقاد يوجب هدم الدين وقد اتخذ الملاحدة كلام هؤلاء الرافضة حجة لهم فقالوا : كيف يقول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلا نحو خمسة أو ستة أنفس منهم لامتناعهم من تقديم أبي بكر على علي وهو الموصى به فانظر إلى كلام هذا الملحد تجده من كلام الرافضة فهؤلاء أشد ضرراً على الدين من اليهود والنصارى وفي هذه الهفوة الفساد من وجوه . فإنها توجب إبطال الدين والشك فيه وتجوز كتمان ما عورض به القرآن وتجوز تغيير القرآن وتخالف قوله تعالى : «رضي الله عن المؤمنين (١) وقوله تعالى : « رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٢) وقوله فيمن آمن قبل الفتح وبعده : « وكلا وعد الله الحسنى » (٣) وقوله في حق المهاجرين والأنصار ، «أولئك هم الصادقون » (٤) « وأولئك هم المفلحون » (٥) ، وقوله : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء

(١) الفتح : ١٨ .
(٢) البينة : ٨ .
(٣) الحديد : ١٠ .
(٤) الحشر : ٨ .
(٥) الحشر : ٩ .

على الناس » (١) وقوله : « وكنتم خير أمة أخرجت للناس » (٢) وغير ذلك من الآيات والأحاديث الناصة على أفضلية الصحابة واستقامتهم على الدين ، ومن اعتقد ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كفر ، ما أشنع مذهب قوم يعتقدون ارتداد من اختاره الله لصحبة رسوله ونصرة دينه .

مطلب دعواهم نقص القرآن :

ومنها ما ذكروه في كتبهم الحديثية والكلامية أن عثمان رضي الله عنه نقص من القرآن فإنه كان في سورة « ألم نشرح » بعد قوله تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » وعلياً صهرك فأسقطها بحسد اشتراك الصهرية ، قالوا وكانت سورة الأحزاب مقدار سورة الأنعام فأسقط عثمان منها ما كان في فضل ذوي القربى (٣) ، قيل أظهروا في هذه الأزمنة سورتين يزعمون أنهما من القرآن الذي أخفاه عثمان كل سورة مقدار جزء وألحقوهما بآخر المصحف سموا إحداهما سورة النورين وأخرى سورة الولاء (٤) يلزم من هذا تكفير الصحابة حتى علي حيث رضوا بذلك فهي كالتي قبلها في المفاسد وتكذيب قوله تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(١) البقـــرة : ١٦٣ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) فصل الخطاب : ١٨٠ ، بصائر الدرجات ، عن الحويزي : ٦٠٣/٥ ، ٦٠٥ ، الخطوط العريضة : ١٢ ، ومختصر التحفة الاثني عشرية : ٣١ .

(٤) فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب : ١٨٠ ، تذكرة الأئمة : ٣١٨ .

خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١) وقوله : « إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون » (٢) ومن اعتقد عدم صحة حفظه من الإسقاط واعتقد ما ليس منه أنه منه فقد كفر ، ويلزم من هذا رفع الوثوق بالقرآن كله وهو يؤدي إلى هدم الدين ويلزمهم عدم الاستدلال به والتعبد بتلاوته لاحتمال التبدل ، ما أخبث قول قوم يهدم دينهم ، روى البخارى أنه قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين » (٣) .

مطلب السب :

ومنها إيجابهم سب الصحابة لاسيما الخلفاء الثلاثة نعوذ بالله ، رووا في كتبهم المعتبرة عندهم عن رجل من أتباع هشام الأحول أنه قال : كنت يوماً عند أبي عبد الله جعفر بن محمد فجاءه رجل خياط من شيعته وبيده قميصان فقال : يا ابن رسول الله خطت أحدهما وبكل غرزة إبرة وحدت الله الأكبر وخطت الآخر وبكل غرزة إبرة لعن الا بعد (٤) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم نذرت لك ما أحببته لك منهما فما تحبه خذه وما لا تحبه رده فقال الصادق : أحب ما تم بلعن أبي بكر وعمر واردد إليك الذي خيط بذكر الله الأكبر ، فانظر إلى هؤلاء الكذبة الفسقة ماذا ينسبون إلى أهل البيت من القبائح حاشاهم ، قال الله تعالى : « وكذلك

(١) سورة فصلت : ٤٢ .
(٢) الحجـر : ٩ .
(٣) صحيح البخاري : ١٦٥/٣ .
(٤) في الأصل : أبا بكر .

جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » (١) فإذا لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطاً فمن يكون غيرهم ،

وقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (٢) فإذا لم يكن أصحابه من خيرهم فمن يكون سواهم وقال : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » (٣) ومن سب من رضي الله عنه فقد حارب الله ورسوله وقال : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » (٤) ، وكيف يسب من رضي عنه مولاه واصطفاه ، وقال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود » (٥) كيف يجوز سب من يمدحه ربه ، وقال تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » (٦) ومن وعده سيده الجنة كيف يسب ، وقال تعالى : « للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله

---

(١) البقرة : ١٦٣ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) التوبة : ١٠٠ .

(٤) الفتح : ١٨ .

(٥) الفتح : ٢٩ .

(٦) الحديد : ١٠ .

« أولئك هم الصادقون » (١) وقال في الأنصار : « فأولئك هم المفلحون » (٢) . والقرآن مشحون من مدح الصحابة رضي الله عنهم فمن سبهم فقد خالف ما أمر الله من إكرامهم ومن اعتقد السوء فيهم كلهم أو جمهورهم فقد كذب الله تعالى فيما أخبر من كمالهم وفضائلهم ومكذبه كافر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » رواه مسلم (٣) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير أمتي قرني ثم الثاني ثم الثالث وخير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر » رواه الحاكم والترمذي (٤) ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الله يفتح على الناس ببركة الصحابة ، وعن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم أو نصيفه » رواه مسلم (٥) وغيره ، وعن عمر رضي الله عنه يقول : « لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره » رواه ابن ماجة (٦) ،

---

(١) الحشر : ٨ .
(٢) الحشر : ٩ .
(٣) صحيح : ١٩٦١/٤ .
(٤) سنن : ٥٠١-٦٠٠ ، الفتح الكبير : ٩٩/٢ .
(٥) : ١٩٦٧/٤-١٩٦٨ .
(٦) سنن : ٥٧/١ .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم » (١) وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل النار من حضر الحديبية إن شاء الله تعالى (٢) ، وقد روي عنه بطرق إسناد بعضها رجال الصحيح غير واحد وهو ثقة قال : « لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي » (٣) وقد روي بأسانيد بعضها حسن عن ابن عباس قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده علي رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم . « يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون » (٤) وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على كمال الصحابة رضي الله عنهم خصوصاً الخلفاء الراشدين فإن ما ذكر في مدح كل واحد مشهور بل متواتر لأن نقلة ذلك أقوام يستحيل تواطؤهم على الكذب ويفيد مجموع أخبارهم العلم اليقيني بكمال الصحابة وفضل الخلفاء .

فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم وارتدادهم وارتداد معظمهم عن الدين أو اعتقد حقية سبهم وإباحته أو سبهم مع

---

(١) البخاري : ٧٠٦/٣ .

(٢) الحديث : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » سنن الترمذي : ٦٩٥/٥ ، وفي صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ « لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد » .

(٣) مجمع الزوائد : ٢١/١٠ .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٢/١٠ ، الصارم المسلول : ٥٨٧ — ٥٨٨ ، الصواعق المحرقة : ٥ .

اعتقاد حقية سبهم أو حليته فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضائلهم وكمالاتهم المستلزمة لبراءتهم عما يوجب الفسق والارتداد وحقية السب أو إباحته ومن كذبهما فيما ثبت قطعاً صدوره عنهما فقد كفر ، والجهل بالمتواتر القاطع ليس بعذر وتأويله وصرفه من غير دليل معتبر غير مفيد كمن أنكر فرضية الصلوات الخمس جهلاً لفرضيتها فإنه بهذا الجهل يصير كافراً وكذا لو أولها على غير المعنى الذي نعرفه فقد كفر لأن العلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي ، ومن خص بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكذبه كافر ، وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق لأن سباب المسلم فسوق ، وقد حكم بعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقاً والله أعلم ، وإن كان ممن لم يتواتر (١) النقل في فضله وكماله فالظاهر أن سابه فاسق إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك كفر وغالب هؤلاء الرفضة الذين يسبون (٢) الصحابة لا سيما الخلفاء يعتقدون حقية سبهم أو إباحته بل وجوبه لأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى ويرون ذلك من أجل أمور دينهم كما نقل عنهم (٣) ما أضل عقول قوم يتقربون إلى الله تعالى بما يوجب لهم خسران الدين والله الحافظ .

---

(١) في الأصل : يواتر .

(٢) في الأصل : يسبوا .

(٣) كتاب الخصال : ١٨١ .

هذا وإني لا أعتقد كفر من كان عند الله مسلماً (١) ولا إسلام من كان عنده كافراً بل أعتقد من كان عنده (٢) كافراً كافراً ، وما صح عن العلماء من أنه لا يكفر أهل القبلة فمحمول على من لم يكن بدعته مكفرة لأنهم اتفقت كلمتهم على تكفير من كانت بدعته مكفرة ولا شك أن تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه قطعاً كفر والجهل في مثل ذلك ليس بعذر والله أعلم .

مطلب التقية :

ومنها إيجابهم التقية ورووا عن الصادق رضي الله عنه : « التقية ديني ودين آبائي » (٣) حاشاه عن ذلك وفسر بعضهم قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » أكثركم تقية وأشدكم خوفاً من الناس (٤) وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من فسر القرآن برأيه فقد كفر » (٥) ونقل علماؤهم عن أحد ثقاتهم أنه قال : « إن جعفر الصادق رضي الله عنه نام ليلة عندنا في خلوته الخاصة ولم يكن عنده إلا من لم نشك في تشيعه فقام للتهجد فتوضأ ماسحاً أذنيه غاسلاً رجليه وصلى ساجداً على اللبد عاقداً يديه فكنا نقول لعل الحق ذلك حتى سمعنا صيحة فرأينا رجلاً ألقى بنفسه على قدميه يقبلهما ويبكي ويعتذر فسئل عن حاله فقال : كان

---

(١) في الأصل : مسلما مسلما فقد تكون الكلمة الثانية مسلماً .

(٢) كلمة : عنده مزيدة في الحاشية .

(٣) الكافي للكليني : ٢١٩/٢ وهذا الكتاب عندهم كالبخاري عندنا .

(٤) انظر « الاعتقادات » لابن بابويه : باب التقية .

(٥) لم أجد نص هذا الحديث ، في ما بين يدي من مصادر .

الخليفة وأركان دولته يشكون فيك وأنا كنت من جملتهم فتعهدت بالفحص عن مذهبك وقد انتهزت الفرصة مدة مديدة حتى ظفرت هذه الليلة بأن دخلت الدار واختفيت ولم يطلع علي أحد فالحمد لله الذي أذهب ذلك عني وحسن اعتقادي يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبقني على سوء ظني ، قال الشيخ : فعلمنا أن الله لا يخفي عن المعصوم شيئاً وعلمنا أن هذه كانت تقية منه انتهى .. (١) .

والمفهوم من كلامهم أن معنى أن التقية عندهم كتمان الحق أو ترك اللازم أو ارتكاب المنهي خوفاً من الناس والله أعلم فانظر إلى جهل هؤلاء الكذبة وبنوا على هذه التقية المشئومة كتم علي نص خلافته ومبايعة الخلفاء الثلاثة وعدم تخليصه حق فاطمة رضي الله عنها من إرثها على زعمهم وعدم التعرض لعمر حين اغتصب بنته من فاطمة رضي الله عنها وغير ذلك ، قالوا فعل ذلك تقية قبحهم الله وقد وردت نصوص كثيرة عن علي وأهل بيته دالة على براءتهم عنها وإنما افتراها عليهم الرافضة لترويج مذهبهم الباطل وهذا يقتضي عدم الوثوق بأقوال أئمة أهل البيت وأفعالهم لاحتمال أنهم قالوها أو فعلوها تقية وإن أرادوا بقوله ودين آبائي النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده فقد جوزوا عليه عدم تبليغ ما أمره الله تبليغه خوفاً من الناس ، ومخالفة أمر الله في أقواله وأفعاله خوفاً منهم ويلزم من هذا عدم الوثوق بنبوته ، حاشاه عن ذلك ومن جوز عليه ذلك فقد نقصه ، ونقص الأنبياء عليهم السلام كفر ، ما أشنع قول قوم يلزم منه نقص أئمتهم المبرإين عن ذلك .

---

(١) ذكر شيخهم المفيدة أشياء كثيرة عن التقية والعصمة لأئمتهم في كتابه « أوائل المقالات » انظر مثلا : ٢٦١ ، ٨٠ ، ٢٥٦ ، ٨٤ .

مطلب سبهم عائشة رضي الله عنها المبرأة :

ومنها نسبتهم الصديقة الطيبة المبرأة عما يقولون فيها إلى الفاحشة (١) وقد شاع في هذه الأزمنه بينهم ذلك كما نقل عنهم ، قال تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امريء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإن لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم . يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم » (٢) وقال تعالى : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم

---

(١) رجال الكشي : ٥٥-٥٧ ، منهاج .

(٢) النور : ١١-٢١ .

وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » (١) وقد روى عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد (٢) والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله عنها أنها المبرأة المرادة من هذه الآيات (٣) وروى سعيد ابن منصور وأحمد والبخاري وابن المنذر وابن مردويه عن أم رومان رضي الله عنها ما يدل أن عائشة رضي الله عنها هي المبرأة المقصودة بهذه الآيات (٤) ، وروى البزار وابن مردويه بسند حسن عن أبي هريرة ما يوافق ما تقدم ، وروى ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه مثلما سبق ، وروى الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما ما يطابق السابق وروى ابن مردويه والطبراني عن أبي إياس الأنصاري ما يوافق ما تقدم وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير ما يوافق ما تقدم ، وروى الطبراني عن الحكم بن عتيبة مثل ذلك وروى عن عبد الله بن الزبير ما يوافقه وروى عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعمرة بنت عبد الرحمن

---

(١) النور : ٢٣-٢٦ .

(٢) تفسير ابن جرير : ١٨/٩٠-٩٣ ، البخاري : ٣/١١٧-١١٩ ، ابن كثير : ٣/٢٦٨-٧٢ .

(٣) البخاري : ٣/٢٩ .

(٤) زاد المعاد : ٢/١١٣ .

وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وسلمة بن عبد الرحمن بن عوف والقاسم ابن محمد بن أبي بكر والأسود بن يزيد وعباد بن عبد الله ابن الزبير ومقسم مولى ابن عباس وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها مثله ، وكونها هي المبرأة المرادة من الآيات مشهور بل متواتر فإذا عرفت هذا فاعلم أنه من قذفها بالفاحشة مع اعتقاده أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها بقيت (١) في عصمته بعد هذه الفاحشة فقد جاء بكذب ظاهر واكتسب الإثم واستحق العـــذاب وظن بالمؤمنين سوءاً وهو كاذب وأتى بأمر ظنه هيناً وهو عند الله عظيم واتهم أهل بيت (٢) النبوة بالسوء ومن هذا الاتهام يلزم نقص النبي صلى الله عليه وسلم ومن نقصه فكأنما نقص الله ومن نقص الله ورسوله فقد كفر وهو بفعله هذا خارج عن أهل الإيمان ومتبع لخطوات الشيطان وملعون في الدنيا والآخرة ومكذب الله في قوله تعالى : « والطيبات للطيبين » الآية ومن كذب الله فقد كفر ومن قذفها مع زعمه أنها لم تكن زوجته أو لم تبق في عصمته بعد هذه الفاحشة فإن قلنا : إنه ثبت قطعاً أنها هي المرادة بهذه الآيات وهو الظاهر يلزم من قذفها ما تقدم من القبائح ، والحاصل أن قذفها كيفما كان يوجب تكذيب الله تعالى في إخباره عن تبرأتها عما يقول القاذف فيها ، وقد قال بعض المحققين من السادة : « وأما قذفها الآن فهو كفر وارتداد ولا يكتفى فيه بالجلد لأنه تكذيب لسبع عشرة آية من كتاب الله كما مر فيقتل ردة وإنما اكتفى صلى الله عليه وسلم بجلدهم أي من تحذفها في زمنه مرة

---

(١) في الأصل : بقية .

(٢) في الأصل : أهل البيت النبوء .

أو مرتين لأن القرآن ما كان أنزل في أمرها فلم يكذبوا القرآن وأما الآن فهو تكذيب للقرآن ، أما نتأمل في قوله تعالى : « يعظكم الله أن تعودوا لمثله » الآية ، ومكذب القرآن كافر فليس له إلا السيف وضرب العنق انتهى » ولا يخالف هذا قوله : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً » الآية (١) لأنه روى عبد الرزاق والفريابي وسعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في الصمت وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : « فخانتاهما » : أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتهما (٢) ، وروى ابن عساكر عن أشرس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما بغت امرأة نبي قط » (٣) وروى ابن جرير عن مجاهد : « لاينبغي لامرأة كانت تحت نبي أن تفجر » (٤) ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه فهو من ضرب عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ولسان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

---

(١) التحريم : ١٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧٠/٢٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٤ / ٣٩٣ عن الضحاك عن ابن عباس ، روح المعاني : ١١٧/٩ .

(٤) تنوير المقباس : ٣٦١ « لم تفجر امرأة نبي قط » .

« يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن آذاني في أهلي (١) » « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » (٢) فأين أنصار دينه ليقولوا نحن نعذرك يارسول الله فيقومون بسيوفهم إلى هؤلاء الأشقياء الذين يكذبون الله ورسوله ويؤذونهما والمؤمنين فيبيدونهم ويتقربون (٣) بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستوجبون (٤) بذلك شفاعته ، اللهم إنا نبرأ إليك من قول هؤلاء المطرودين .

مطلب تكفير من حارب علياً :

ومنها تكفير من حارب علياً رضي الله عنه مرادهم بذلك عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم ومعاوية وأصحابه ، وقد تواتر منه صلى الله عليه وسلم ما يدل على إيمان هؤلاء وكون بعضهم مبشراً بالجنة ، وفي تكفيرهم تكذيب لذلك فإن لم يصيروا كفرة بهذا التكذيب فلا شك أنهم يصيرون فسقة وذلك يكفي في خسارتهم في تجارتهم .

مطلب استهانتهم بأسماء الصحابة :

ومنها استهانتهم (٥) بأسماء الصحابة (٦) ولا سيما العشرة وقد تواتر

(١) انظر مثلا البخاري : ٢٨/٣ ، ٧١٨ .
(٢) الأحزاب : ٥٨ .
(٣) في الأصل : ويتقربوا .
(٤) في الأصل : ويستوجبوا .
(٥) في الأصل : إهانتهم .
(٦) تفسير القمي : ٢١٤/١ .

عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على وجوب تعظيمهم وإكرامهم وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك في مواضع من كتابه ، ويلزم من إهانة هؤلاء إياهم استحقاقهم لذلك عندهم ، ومن اعتقد منهم ما يوجب إهانتهم فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر من وجوب إكرامهم وتعظيمهم ، ومن كذبه فيما ثبت عنه قطعاً فقد كفر .

ومن عجب أنهم يتجنبون التسمية بأسماء الأصحاب ويسمون بأسماء الكلاب فما أبعدهم عن الصواب وأشبههم بأهل الضلال والعقاب .

مطلب انحصار الخلافة في اثنى عشر :

ومنها دعواهم انحصار الخلافة في اثنى عشر فإنهم كلهم بالنص والابصار عمن قبله (١) وهذه دعوى بلا دليل مشتملة على كذب فبطلانها أظهر من أن يبين ويتوسلون بها إلى بطلان خلافة من سواهم (٢) في ذلك تكذيب لنصوص واردة في خلافة الخلفاء الراشدين وخلافة قريش .

مطلب العصمة :

ومنها إيجابهم العصمة للاثنى عشر بناء على أن العصمة عندهم شرط في الإمامة (٣) وبطلان هذا أظهر ويلزم من اعتقادهم هذا مشاركة الأئمة الاثنى عشر الأنبياء في وصف العصمة (٤) ، فإن قلنا : إنها مخصوصة

---

(١) هكذا في الأصل ومعنى ذلك : يزعمون أن ذلك بالنص : منهاج الكرامة : ٧٨ .
(٢) منهاج الكرامة : ١٩٤ .
(٣) انظر الكافي : ٨٤-٩٣ .
(٤) منهاج الكرامة : ١٩٣ .

بهم لا توجد في غيرهم أو لاتلزم لغيرهم فإثباتها للأئمة جرم جسيم ، قال في التجريد (١) : « الإمام لطف فيجب نصبه على الله تحصيلا للغرض » ، قال شارحه (٢) « اختلفوا في أن الإمام هل يجب أن يكون معصوماً أم لا فذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى وجوبه والباقون بخلافه » ثم قال في المتن وامتناع التسلسل : « يوجب عصمة الإمام إلى آخر ما ذكر والظاهر أن إيجاب العصمة لأئمتهم من أكاذيبهم وافترائهم لم يرد به دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع ولا من القياس الصحيح ولا من العقل السليم قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

مطلب فضل الإمام علي رضي الله عنه :

ومنها : أنه قال ابن المطهر الحلي (٣) « اجتمعت الإمامية على أن علياً بعد نبينا أفضل من الأنبياء غير أولى العزم وفي تفضيله عليهم خلاف قال وأنا من المتوقفين في ذلك وكذلك الأئمة من آله » وقال الطوسي في تجريده : (٤) « وعلى أفضل الصحابة لكثرة جهاده إلى أن قال وظهور المعجزات عنه واختصاصه بالقرابة والأخوة ووجوب المحبة والنصرة ومساواة الأنبياء انتهى » ، وقال الشارح : (٥) « ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى

---

(١) شرح التجريد ورقة ١٥٠ .
(٢) نفس المصدر ورقة : ١٥١ .
(٣) انظر مختصر التحفة : ١٠٠ .
(٤) شرح التجريد : ورقة : ١٦٢ .
(٥) شرح التجريد ورقة ١٦٤ .

إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي ابن أبي طالب » فإنه أوجب مساواته الأنبياء في صفاتهم انتهى » وفي صحة هذا نظر وبعد فرض صحته لايوجب المساواة لأن المشاركة في بعض الأوصاف لاتقتضي المساواة كما هو بديهي ، ومن اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم ومساوياً (١) لهم فقد كفر وقد نقل على ذلك الإجماع غير واحد من العلماء فأي خير في قوم اعتقادهم يوجب كفرهم .

مطلب نفي ذرية الحسن رضي الله عنه :

ومنها قولهم : إن الحسن بن علي لم يعقب وأن عقبه انقرض وأنه لم يبق من نسله الذكور أحد وهذا القول شائع فيهم وهم مجمعون عليه ولا يحتاج إلى إثباته كذا قيل ، ومنهم من يدعي أن الحاج مثلهم كلهم وتوصلوا بذلك إلى أن يحصروا الإمامة في أولاد الحسين ، ومنهم في إثنى عشر وأن يبطلوا إمامة من قام بالدعوة من آل الحسن مع فضلهم وجلالتهم واتفاقهم بشروط الإمامة ومبايعة الناس لهم وصحة نسبتهم ووفور علمهم بحيث أنهم كلهم بلغوا درجة الاجتهاد المطلق فقاتلهم الله أنى يؤفكون ، انظر إلى هؤلاء الأعداء لآل البيت المؤذين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بإنكار نسب من يثبت نسبه قطعاً أنه من ذرية الحسن – رضي الله عنه وثبوت نسب ذريته متواتر لا يخفى على ذي بصيرة ، وقد عدّ صلى الله عليه وسلم الطعن في الأنساب من أفعال الجاهلية ، وقد ورد ما يدل على أن المهدي من ذرية الحسن رضي الله عنه كما رواه أبو داود وغيره (٢) .

(١) في الأصل : مساو لهم .

(٢) أحاديث المهدي في أبي داود : ٤/٥٠٥-٥٠٦ .

مطلب خلافهم في خروج غيرهم من النار :

ومنها أنه قال الحلي في شرح التجريد (١) : « اختلف الأئمة في غير الاثني عشرية من الفرق الإسلامية هل يخرجون من النار ويدخلون الجنة أم يخلدون فيها بأجمعهم قال : والأكثرون على الثاني ، وقال شرذمة بالأول ، وقال ابن نوبخت (٢) « يخرجون من النار ولا يدخلون السنة بل هم بالأعراف انتهى » وهذا مبني على أن مذهبهم اعتقادهم أهل الجنة كفاراً أو فساقاً مع اعتقادهم أن الفاسق لا يخرج من النار أبداً وهذا يستلزم تكذيب ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من إخراج عصاة الموحدين من النار وما ورد في فضل السواد الأعظم الذين هم أهل السنة وقد صح أن الصحابة وأخيار التابعين مذهب أهل السنة مذهبهم وقولهم هذا يشبه قول أهل الكتاب حيث قالوا « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » (٣) وكذلك هؤلاء يقولون بأفواههم لن يدخل الجنة إلا من كان رافضياً انظر كيف يفترون على الله الكذب بل أفعالهم تقتضي حرمانهم عنهـا .

مطلب مخالفتهم أهل السنة :

ومنها أنهم جعلوا مخالفة أهل السنة والجماعة الذين هم على ما (عليه) رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصلا للنجاة فصاروا كلما فعل أهل السنة تركوه وإن تركوا شيئاً فعلوه فخرجوا بذلك عن الدين

(١،٢) مختصر التحفة : ٢٠٧ .

(٣) البقرة : ١١١ .

رأساً فإن الشيطان سول لهم وأملى لهم وادعوا بأن هذه المخالفة علامة أنهم الفرقة الناجية (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم : « الفرقة الناجية الناجية هي السواد الأعظم وما أنا عليه(٢) وأصحابي » (٣) فلينظر إلى الفرق ومُعْتَقَداتهم وأعمالهم فما وافقت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هي الفرقة الناجية وأهل السنة هم المتبعون لآثاره صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه كما لا يخفى على منصف ينظر بعين الحق فهم أحق أن يكونوا الفرقة الناجية وآثار النجاة الظاهرة (٤) فيهم لاستقامتهم على الدين من غير تحريف وظهور مذهبهم وشوكتهم في غالب البلاد ووجود العلماء المحققين والمحدثين والأولياء والصالحين فيهم وقد نزع الولاية عن الرافضة فما سمع فيهم ولي قط .

مطلب الرجعة :

ومنها : أنه ما قال أضلهم محمد بن بابويه القمي (٥) في عقائده في مبحث الإيمان بالرجعة فإنهم عليهم الصلاة قالوا : من لم يؤمن برجعتنا فليس منا وإليه ذهب جميع علمائهم قالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم وعلياً رضي الله عنه والأئمة الاثنى عشر يحيون في آخر الزمان ويحشرون بعد خروج المهدي وبعد قتله الدجال ويحيى كل من الخلفاء الثلاثة وقتلة

(١) رمضات الجنات : ٣٠٦/٦ .
(٢) عليه : مزيدة .
(٣) هكذا في الأصل ولعلها : ظاهرة فيهم .
(٤) مجمع الزوائد : ٢٥٨/٧ مع اختلاف في اللفظ .
(٥) لم أجد هذا النص في عقائد بن بابويه لكن ذكره ورد مجملا في مختصر التحفة : ٢٠٠-٢٠١ .

الأئمة فيقتل النبي صلى الله عليه وسلم الخلفاء حداً والقتلة قصاصا ويصلبون الظالمين ويبتدئون بصلب أبي بكر وعمر على شجرة فمن قائل يقول : إن تلك تكون رطبة فتجف تلك الشجرة بعد أن صلبا عليها فيضل بذلك خلق كثير من أهل الحق ، ويقولون ظلمناهم ومن قائل يقول : الشجرة تكون يابسة فتخضر بعد الصلب ويهتدي به جم غفير من محبيهما ، قيل ذكروا في كتبهم أن تلك الشجرة نخلة وأنها تطول حتى يراها أهل المشرق والمغرب وأن الدنيا تبقى بعد ذلك خمسين ألف سنة وقيل مائة وعشرين ألف سنة لكل إمام من الاثنى عشر اثنى عشر ألف سنة ، وقال بعضهم إلا المهدي فإن له ثمانين ألف سنة ثم يرجع آدم ثم شيث ثم إدريس ثم نوح ثم بقية الأنبياء إلى أن ينتهي إلى المهدي وأن الدنيا غير فانية وأن الآخرة غير آتية كذا نقل عنه والله أعلم .

فانظر أيها المؤمن إلى سخافة رأي هؤلاء الأغبياء يختلقون ما يرده بديهة العقل وصراحة النقل ، وقولهم هذا مستلزم تكذيب ما ثبت قطعاً في الآيات والأحاديث من عدم رجوع الموتى إلى الدنيا فالمجادلة مع هؤلاء الحمر تضيع الوقت ، لو كان لهم عقل لما تكلوا أي (شيء) (١) يجعلهم مسخرة للصبيان ويمج كلامهم أسماع أهل الإيقان لكن الله سلب عقولهم وخذلهم في الوقيعة ، في خُلّص أوليائه لشقاوة سبقت لهم .

مطلب زيادتهم في الأذان :

ومنها : زيادتهم في هذه الأزمنة في الأذان والإقامة وفي التشهد

---

(١) مزيدة على النص .

بعد الشهادتين أن علياً ولي الله وهذه بدعة مخالفة للدين لم يـَرِدْ بها كتاب ولا سنة ولم يكن عليها إجماع ولا فيها قياس صحيح ومخالفة لأهل مذهبهم فردها لا يحتاج إليه .

مطلب الجمع بين الصلاتين :

ومنها : تجويزهم الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير عذر وقد روى الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين صلاتين بغير عذر فقد أتى بابا من الكبائر » (١) وقد ورد أن من أشراط (٢) الساعة تأخير الصلاة عن أوقاتها ، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من الجمع بين العصرين والعشاءين فمؤول بتأخير الأولى إلى آخر وقتها وأداء الأخرى في أول وقتها والله أعلم ، قيل أن سبب جمعهم بين الظهرين والمغربين طول الدهر مع اختيار التأخير فيهما هو «أنهم ينتظرون (٣) القائم المختفي في السرداب ليقتدوا به فيؤخرون الظهر إلى العصر إلى قريب غروب الشمس فإذا يئسوا من الإمام واصفرت الشمس وصارت بين قرني الشيطان نقروا عند ذلك كنقر الديك فصلوا الصلاتين من غير خشوع ولا طمأنينة فرادى من غير جماعة ورجعوا خائبين خاسرين نسأل الله العفو والعافية وقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالجبل على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولى الألباب ولقد أحسن القائل شعراً : (٤)

---

(١) سنن الترمذي : ٣٥٦/١ .
(٢) في الأصل : اشتراط .
(٣) في الهامش : خروج المهدي أعني إمامهم الغائب المنتظر .
(٤) الصواعق المحرقة : ١٦٨ .

ما آن للسرداب أن يلد الذي   كلمتوه بجهلكم ما آنـا
فعلى عقولكم العفـاء فإنكم   ثلثتم العنقـاء والغيلانا

مطلب العصمة :

ومنها : اشتراطهم كون الإمام معصوماً وإيجابهم على الله عدم إخلاء الزمان من إمام معصوم وحصر الإمام (١) المعصومين في اثنى عشر (٢) وبطلان هذا وتناقضه واشتماله على سوء الأدب مع الله أظهر من أن يذكر وأبطلوا بهذا القول الباطل الجماعة في الصلاة التي هي من أعلى شعائر الإسلام لكنهم ليس لهم نصيب منها فحرموا هذه الكرامة العليـة .

مطلب المتعة :

ومنها : إباحتهم نكاح المتعة بل يجعلونها خيراً من سبعين نكاحاً دائماً وقد جوز لهم شيخهم الغالي علي بن العالي أن يتمتع اثنا عشر نفساً في ليلة واحدة بامرأة واحدة وإذا جاءت بولد منهم أقرعوا فمن خرجت قرعته كان الولد له ، قلت هذا مثل أنكحة الجاهلية التي أبطلها الشرع كما في الصحيح (٣) وعن علي رضي الله عنه أنه قال (٤) رسول الله

---

(١) هكذا في الأصل والصحيح : وحصر الأئمة .

(٢) منهاج الكرامة : ١٩٣ .

(٣) البخاري : ٣/٣٤٨ .

(٤) لعله : أن رسول الله .

صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة رواه البخاري ومسلم وغيرهما (١) وعن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أباح نكاح المتعة ثم حرمها رواه الشيخان (٢) وروى مسلم في صحيحه عن سبرة نحو ذلك (٣) وعن ابن عمر : « نهانا عنها يعني المتعة رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه الطبراني بإسناد قوي (٤) وقد نقل عن ابن عباس رجوعه عنها (٥) وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه : « هدم المتعة الطلاق والعدة والميراث » وإسناده حسن (٦) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : « كانت المتعة في أول الإسلام حتى نزلت هذه الآية : « حرمت عليكم » وتصديقها من القرآن « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم « وما سوى هذا فهو حرام » رواه الطبراني والبيهقي (٧) والحاصل : أن المتعة كانت حلالا ثم نسخت وحرمت تحريماً مؤبداً فمن فعلها فقد فتح على نفسه باب الزنا .

---

(١) الدارمي : ١٤٠/٢ ، النسائي : ١٠٣/٦ ، البخاري : ٢٤٦/٣ ، مسلم : ١٠٢٧/٣ .

(٢) مسلم : ١٠٢٣/٣ ، البخاري : ٢٤٦/٣ ، وفي الهامش « أن بعد ذلك بياضاً في الأصل بقدر اسم » ولا فائدة من ذلك كما ترى .

(٣) صحيح مسلم : ١٠٢٤/٣ ، ١٠٢٥ .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٦٥/٣ .

(٥) سنن الترمذي : ٤٣٠/٣ .

(٦) مجمع الزوائد : ٢٦٤/٣ .

(٧) سنن الترمذي : ٤٣٠/٣ .

مطلب النكاح بلا ولي وشهود :

ومنها : إباحتهم النكاح بلا ولي ولا شهود وهذا هو الزنا بعينه ، قال الحلي منهم : « ولا يشترط في نكاح الرشيدة الولي ولا يشترط الشهود في شيء من الأنكحة ولو تآمرا على الكتمان لم يبطل انتهى » (١) عن عمران بن حصين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل » رواه الشافعي والطبراني والدارقطني والبيهقي (٢) وهذا وإن كان منقطعاً فإن أهل العلم يقولون به ، وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لانكاح إلا بولي » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم (٣) وقال : وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وزينب بنت جحش قال : وفي الباب عن علي أنه قال : « لانكاح إلا بولي وشاهدي عدل وابن عباس وغيرهما وسرد تمام ثلاثين صحابياً (٤) وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيا امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل » رواه الشافعي وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان والحاكم (٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة المرأة

(١) شرائع الإسلام : ٢/٨ .

(٢) سنن الدارقطني : ٤/٢٢٧ ، سنن أبي داود ١/٤٨١ .

(٣) ابن ماجة : ١/٦٠٥ ، الترمذي : ٣/٤٠٧ .

(٤) ابن ماجه : ١/٦٠٥ ، سنن الترمذي : ٣/٤٠٧ وانظر المستدرك : ٢/٤١-٤٢ .

(٥) سنن أبي داود : ١/٤٨١ ، ابن ماجة : ١/٦٠٥ .

ولا نفسها إنما الزانية التي تنكح نفسها » وفي لفظ : « التي تنكح نفسها هي الزانية » رواه ابن ماجه والدارقطني (١) وعن عكرمة بن خالد قال : « جمعت الطريق ركباً فجعلت امرأة منهن ثيب أمرها بيد رجل غير ولي فأنكحها فبلغ ذلك عمر فجلد الناكح والمنكح » رواه الشافعي والدارقطني (٢) وروى الدارقطني عن الشعبي قال : « ماكان أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشد في النكاح من علي بن أبي طالب كان يضرب فيه » رواه الشافعي والدارقطني (٣) « قد روى ابن خيثمة مرفوعاً : « لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل » (٤) وعن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً : « لا نكاح إلا بأربعة خاطب وولي وشاهدين » (٥) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : « أدنى ما يكون في النكاح أربعة الذي يتزوج والذي يزوج وشاهدان » رواه ابن أبي شيبة وصححه البيهقي ورواه الدارقطني (٦) وعن عائشة رضي الله عنها نحو ذلك وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البغايا اللاتي ينكحن أنفسهن بغير بينة (٧) وروى مالك عن أبي الزبير أن عمر أتى بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامرأة قال : « هذا نكاح السر ولا أجيزه ولو كنت تقـدمت فيه

---

(١) سنن الدارقطني : ٢٢٧/٣ ، ابن ماجة : ٦٠٥/١ .

(٢) سنن الدارقطني : ٢٢٥/٣ ، المنتقى : ٥٣٩/٢ .

(٣) سنن الدارقطني : ٢٢٩/٣ ، المنتقى : ٥٣٩/٢—٥٤٠ .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٨٦/٣ .

(٥) مجمع الزوائد : ٢٨٦/٣ .

(٦) المصنف : ١٣١/٤ وعنده « الذي يزوج والذي يتزوج وشاهدين » .

(٧) سنن الترمذي : ٤١١/٣ .

لرجمته » (١) وعن عبد الله بن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعلنوا النكاح » رواه أحمد والحاكم وصححه (٢) ، قال بعض السادة : (٣) وإذا طرق سمعك ما سردنا عليك من الأحاديث فقد ظهر لك بطلان مذهبهم في تجويزهم النكاح بغير ولي ولا شهود والله أعلم .

مطلب وطء الجارية بالإباحة :

ومنها ، تجويزهم وطء الجارية للغير بالإباحة قال الحلي : يجوز إباحة الأمة للغير بشرط كون المبيح مالكاً لرقته جائز التصرف وكون الأمة مباحة بالنسبة إلى من أبيحت له . (٣) ويكفي في رد هذا الباطل قوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » (٤) ومعلوم قطعاً أن وطأها ليس بالنكاح ولا بملك اليمين وقوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » (٥) .

مطلب الجمع بين المرأة وعمتها :

ومنها : تجويزهم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها (٦) وعلى هذا ما ورد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الموطأ : ٥٣٥/٢ .

(٢) المستدرك : ١٨٣/٢ ، المسند : ٥/٤ .

(٣) وسائل الشيعة : ٤٦٣/٧-٤٦٤ .

(٤) المعارج : ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) النور : ٣٣ .

(٦) اللمعة الدمشقية : ١٨١/٥ .

وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها والخالة على بنت أختها لا الصغرى على الكبرى ولا الكبرى على الكبرى ؟ » رواه البزار (١) وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها بمثل حديث علي » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان وزاد عن ابن عباس : « إنكم إذا فعلتم قطعتم أرحامكم » (٢) وروى ابن ماجة عن أبي سعيد نحوه (٣) وروى ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنه نحوه (٤) وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة نحو ذلك (٥) وروى أحمد والبخاري والترمذي والنسائي عن جابر نحو ذلك (٦) وكلها مرفوعة ونقل ابن عبد البر الإجماع على حرمة ذلك (٧) وبهذا وأمثاله تعرف أن الرافضة (٨) أكثر الناس تركاً لما أمر الله وإتياناً لما حرمه وأن كثيراً منهم ناشيء عن نطفة خبيثة موضوعة في رحم حرام ولذا لاترى منهم إلا الخبيث اعتقاداً وعملاً وقد قيل كل شيء يرجع إلى أصله .

---

(١) سنن الترمذي : ٤٣٣/٣ ، الفتح الكبير : ٣٤١/٣-٣٤٢ ؛ مجمع الزوائد : ٢٦٣/٤ .

(٢) سنن أبي داود : ٤٧٦/١ .

(٣) ابن ماجة : ٦٢١/١ .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٦٣/٣ .

(٥) النسائي : ٨٠/٦ ، سنن أبي داود : ٤٧٦/١ .

(٦) النسائي : ٨١/٦ ، البخاري ، ٢٤٥/٣ .

(٧) سبل السلام : ١٢٤/٣ .

(٨) في الأصل : رفضة .

مطلب إباحتهم «أبعدهم الله» إتيان المرأة في دبرها :

ومنها إباحتهم إتيان الزوجة والمملوكة في الدبر (١) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما يدل على أن المراد من قوله : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » (٢) هو الإتيان في القبل وإليه يرشد لفظ الحرث بل هو نص في ذلك ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم لعن من فعل ذلك في الدبر وإطلاق الكفر عليه (٣) فهو خليق أن يكون حراماً قطعياً يخاف على مستحله الكفر ، الله الحافظ .

مطلب مسح الرجلين :

ومنها : إيجابهم المسح على الرجلين ومنعهم غسلهما والمسح على الخفين (٤) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله فيه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (٥) برواية علي رضي الله عنه غسلهما والأمر به (٦) وكذا عنه برواية عثمان وابن عباس وزيد بن عاصم ومعاوية بن مرة والمقداد بن معد يكرب وأنس وعائشة وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وعمرو بن عنبسة وغيرهم (٧)

---

(١) المختصر النافع : ١٩٦ ، شرائع الإسلام : ٧/٢ .

(٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) سنن أبي داود : ٤٩٨/٢ وانظر زاد المعاد : ١٤٨/٣ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ١٦/١ .

(٥) النحل : ٤٤ .

(٦) صحيح مسلم : ٢٣٢/١ .

(٧) سنن أبي داود : ٣٦/١، سنن النسائي : ٦٩/١ .

وقد صح عنه : « ويل للأعقاب من النار » (١) فمجموع ما ورد عنه في غسلهما فعلا وقولا يفيد العلم الضروري اليقيني ومن أنكر ذلك فقد أنكر المتــواتر وحال منكره معلوم أقل مراتبــه أن يكون فاسقاً بل تكون صلاته باطلة فيبعث يوم القيامة مصلياً بلا طهارة شرعية والله أعلم . وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم برواية نحو خمسين عن الصحابة أو ثمانين أو أزيد المسح على الخفين فمنكره مبتدع فلا خير في قوم يتركون المتواتر من فعله صلى الله عليه وسلم الذي يجب اتباعه في جميع أموره من اتبعه وصل ومن لم يتبعه ضل وانفصل أحيانا الله على سنته وأماتنا على ملته وحشرنا في زمرته .

مطلب الطلاق بالثلاث في لفظ واحد :

ومنها : قولهم : أن من طلق امرأته بالثلاث في لفظٍ واحد لايقع شيء (٢) وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة وإجماع أهل الإسلام فإنهم أجمعوا على وقوع الطلاق وإنما اختلافهم في عدد الطلاق أهي واحدة أم ثلاث ، روى ابن ماجه عن الشعبي قال : قلت لفاطمة بنت قيس : حدثيني عن طلاقك قالت : « طلقني زوجي ثلاثاً وهو خارج إلى اليمن فأجاز ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) وروى البيهقي عن علي

---

(١) صحيح البخاري : ٤٣/١ ، سنن ابن ماجه : ١٥٤/١ .

(٢) وسيلة النجاة ٣٧١/٢ .

(٣) سنن ابن ماجة : ٦٥٢/١ .

رضي الله عنه فيمن طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها قال : « لا تحل حتى تنكح زوجاً غيره » (١) وروى ابن عدي عنه : « إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » (٢) وروى البيهقي عن مسلمة بن جعفر الأحمس قال : قلت لجعفر بن محمد أن قوماً يزعمون أن من طلق ثلاثاً بجهالة رد إلى السنة يجعلونها واحدة يروونها عنكم قال : معاذ الله أن يكون هذا من قولنا من طلق ثلاثاً فهو كما قال (٣) وتعرف بهذا وأضرابه افتراء الرافضة الكذبة على أهل البيت وأن مذهبهم مذهب أهل السنة والجماعة ، وروي عن غير واحد من الصحابة ما يوافق هذا وروي عن الحسن رضي الله عنه ما يؤيد ذلك ، فهؤلاء الإمامية خارجون عن السنة بل عن الملة واقعون في الزنا وما أكثر ما فتحوا على أنفسهم أبواب الزنا في القبل والدبر فما أحقهم بأن يكونوا أولاد الزنا ــ حمانا الله وإياكم معاشر الإخوان من اتباع خطوات الشيطان .

مطلب نفي القدر :

ومنها : قولهم إن الله لم يقدر شيئاً في الأزل وأن الله لم يرد شراً ولا يريده (٤) ، وقد روى مسلم أن قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه

(١) السنن : ٧/٣٣٤ .

(٢) نفس المصدر والجزء : ٣٤٠ .

(٣) جمع الجوامع : ١/٧٠ وعنده : « إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً عند الاقراء أو طلقها ثلاثاً مبهمة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » .

(٤) انظر الكافي : ١/١٥٥-١٦٠ .

بقدر » نزل حين نازل المشركون فيه (١) ، وقد قال بعض السادة : قد رويت في إثبات القدر وما يتعلق به أحاديث رويت عن أكثر من مائة صحابي رضي الله عنهم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر » (٢) فإذا علمت ذلك فاعلم أن الله علم الأشياء قبل وجودها إجمالا وتفصيلا كلية وجزئية وعلم ما يتعلق به وقدر في الأزل لكل شيء قدراً فلا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر وأنه لا يوجد شيء إلا بإرادة الله ومشيئته والله بكل شيء عليم وما قدر الله يكون وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وثبت ذلك ببداهة العقل وتواتر النقل وعلم يقيناً فمن أنكر هذا البديهي والمتواتر فإن لم يصر كافراً فلا أقل (من) (٣) أن يصير فاسقاً .

مطلب مشابهتهم اليهود :

ومن قبائحهم تشابههم باليهود ولهم بهم مشابهات منها : أنهم يضاهون اليهود الذين رموا مريم الطاهرة بالفاحشة بقذف زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة المبرأة بالبهتان وسلبوا بسبب ذلك الإيمان ويشابهونهم في قولهم إن دينا بنت يعقوب خرجت وهي عذراء فافترعها مشرك بقولهم إن عمر اغتصب بنت علي رضي الله عنه ، ويلبس التيجان فإنها من ألبسته اليهود وبقص اللحى أو حلقها أو إعفاء الشوارب هذا دين اليهود وإخوانهم

---

(١) صحيح : ٢٠٤٦/٤ .

(٢) سنن أبي داود : ٥٢٥/٢ ، مسند أحمد : ٨٦/٢ .

(٣) مزيدة على النص .

من الكفر ، ومنها أن اليهود مسخوا قردة وخنازير وقد نقل أنه وقع ذلك لبعض الرافضة في المدينة المنورة وغيرها بل قد قيل إنهم تمسخ صورهم ووجوههم عند الموت والله أعلم .

مطلب تركهم الجمعة والجماعة :

ومنها (١) (ترك) الجمعة والجماعة وكذلك اليهود فإنهم لايصلون إلا فرادى ، ومنها : تركهم قول آمين وراء الإمام في الصلاة فإنهم لا يقولون آمين يزعمون أن الصلاة تبطل به ، (ومنها : تركهم تحية السلام فيما بينهم وإذا سلموا فعلوا بعكس السنة) (٢) ومنها : خروجهم من الصلاة بالفعل وتركهم السلام في الصلاة فإنهم يخرجون من الصلاة من غير سلام بل يرفعون أيديهم ويضربون بها على ركبهم كأذناب الخيل الشُّمْس . ومنها : شدة عدوانهم للمسلمين وأخبر الله عن اليهود : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود » (٣) وكذلك هؤلاء أشد الناس عداوة لأهل السنة والجماعة حتى أنهم يعدونهم أنجاساً فقد شابهوا اليهود في ذلك ومن خالطهم لا ينكر وجود ذلك فيهم .

ومنها : أنهم يجمعهم بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها يشابهون اليهود فإنهم كانوا يجمعون في شرع يعقوب بين الأختين .

ومنها : قولهم إن من عداهم من الأمة لايدخلون الجنة بل يخلدون في

---

(١) مزيدة على النص .

(٢) ما بين القوسين من الهامش .

(٣) المائدة : ٨٢ .

النار وقد قال اليهود والنصارى : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » (١) ومنها : اتخاذهم الصور الحيوانية كاليهود والنصارى وقد ورد الوعيد الشديد في تصوير الصور ذوات الأرواح في البخاري وغيره أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المصورين » (٢) وأنه قال : « إن المصور يكلف يوم القيامة أن ينفخ الروح فيما صوره وليس بنافخ (٣) ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ذات روح .

ومنها : تخلفهم عن نصر أئمتهم كما خذلوا علياً وحسيناً وزيداً وغيرهم رضي الله عنهم قبحهم الله ما أعظم دعواهم في حب أهل البيت وأجنبهم عن نصرهم وقد قال اليهود لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون (٤) ومنها : أن اليهود مسخوا وقد روي : إن كان خسف ومسخ ففي المكذبين بالقدر (٥) وهؤلاء مكذبون به ، وقد خسف بقرى كثيرة مرات عديدة من بلاد العجم ، ومنها : أن اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا وكذلك هؤلاء ضربت عليهم الذلة حتى أحيوا التقية من شدة خوفهم وذلهم .

ومنها : أن اليهود يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون : هذا من عند الله

---

(١) البقرة : ١١١ .

(٢) مسند أحمد : ٣٠٨/٤ بلفظ « المصور » بالإفراد .

(٣) البخاري : ٣٣/٤ .

(٤) المائدة : ٢٤ .

(٥) مجمع الزوائد : ٢٠٣/٧ .

وكذلك هؤلاء يكتبون الكذب ويقولون هذا من كلام الله تعالى ويفترون الكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رضي الله عنهم » (١) .

مطلب مشابهتهم النصارى :

ومن مشابهتهم النصارى : أنهم عبدوا المسيح كذلك غلاة هؤلاء عبدوا علياً وأهله رضي الله عنهم ، ومنها أن النصارى أطرت عيسى كذلك غلاة الرفضة أطروا أهل البيت حتى ساووهم بالأنبياء (٢) . ومنها : جماعهم النساء في الأدبار حالة الحيض وكانت النصارى تجامع النساء في المحيض .

ومنها : أن لبس بعضهم يشبه لبس النصارى .

مشابهتهم المجوس :

ومن مشابهتهم المجوس : أنهم قالوا بإلهين النور والظلمة وهؤلاء يقولون : الله خالق الخير والشيطان خالق الشر . ومنها « أن المجوس ينكحون المحارم كذلك غلاة الشيعة يفعلون ذلك . ومنها : المجوس تناسخيون وكذلك في غلاتهم تناسخيون ، ومن قبائح هؤلاء الرفضة أنهم يتخذون يوم موت الحسين رضي الله عنه مأتماً فيتركون الزينة ويظهرون الحزن ويجمعون النوائح يبكين ويصورون صورة قبور الحسين رضي الله عنه ويزينونها ويطوفون (٣) بها في السكك ويقولون : يا حسين

(١) لمزيد من التفصيل انظر منهاج السنة : ١/١٣-٣٥ وكذلك : ١/٣٣٢-٣٣٧ .
(٢) منهاج السنة : ١/٣٣٧ .
(٣) في الأصل : يطيفون .

ويسرفون في ذلك إسرافاً محرماً وكل ذلك بدعة ، أما ترك الزينة فمن الإحداد الذي حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الصحيح (١) ، وأما النياحة فمن أعظم منكرات الجاهلية ويترتب على ما يفعلون من المنكرات والمحرمات كما لا يحصى وكل ذلك بدعة ومنكر وفاعله والراضي به والمعين عليه والأجير فيه كلهم مشاركون في البدعة فاللازم على كل مؤمن منع هؤلاء المبتدعة من هذه البدعة القبيحة ومن سعى في إبطالها مخلصاً لله تعالى يرجى له الثواب الجزيل ، قال الشيخ ابن تيمية الحنبلي الحراني رحمه الله (٢) « اعلم وفقني الله وإياك أن ما أصيب به الحسين رضي الله عنه من الشهادة في يوم عاشوراء إنما كان كرامة من الله عز وجل أكرمه بها ومزيد خطوة ورفع درجة عند ربه وإلحاقاً له بدرجات أهل بيته الطاهرين وليهينن من ظلمه واعتدى عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الناس أشد بلاء قال : الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة فالمؤمن إذا حضر يوم عاشوراء وذكر ما أصيب به الحسين يشتغل بالاسترجاع ليس إلا كما أمره المولى عز وجل عند المصيبة ليحوز الأجر الموعود ، فيقوله : « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » (٣) ويلاحظ ثمرة البلوى وما أعده الله للصابرين حيث قال :

---

(١) صحيح مسلم : ١١٢٤/٢ .

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية : ٢٥٢/٢ .

(٣) البقرة : ١٥٧ .

قال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١) ويشهد أن ذلك البلاء من المبلي فيغيب برؤية وجدان مرارة البلاء وصعوبته قال تعالى : « فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (٢) وقيل لبعض الشطار متى يهون عليك الضرب والقطع فقال إذا كنا بعين من نهواه فنعد البلاء رخاء والجفاء وفاء والمحنة منحة فالعاقل يستحضر مثل هذا في ذلك الوقت ويستصغر ما يرد عليه من مصائب الدنيا وشدائدها وبلائها ويتسلى ويتعزى بما يصيبه من ذلك ويشتغل يومه ذلك بما استطاع من الطاعات والأعمال الصالحات لحثه صلى الله عليه وسلم على صوم يوم عاشوراء فبكل ذلك يصرف زمانه في أنواع القربات عسى أن يكتب من محبي أهل القربى ولا يتخذه للندب والنياحة والحزن كفعل الجهلة إذ ليس ذلك من أخلاق أهل البيت النبوي ولا من طريقهم ولو كان ذلك من طرائقهم لاتخذت الأمة يوم وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم مأتماً في كل عام فما هذا إلا من تزيين الشيطان وإغوائه : قال الشيخ عقب ذكر ذلك (٣) : « وهذا كما زين لقوم آخرين معارضة هؤلاء في فعلهم فاتخذوا هذا اليوم عيداً وأخذوا في إظهار الفرح والسرور إما لكونهم من النواصب المتعصبين على الحسين رضي الله عنه وأهل بيته وإما من الجهال المقابلين للفساد بالفساد والشر بالشر والبدعة فأظهروا الزينة كالخضاب ولبس الجديد من الثياب والاكتحال وتوزيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات ويفعلون فيه ما يفعل في الأعياد ويزعمون

---

(١) الزمر : ١١ .

(٢) الطور : ٢٨ .

(٣) نفس المصدر والجزء : ٢٥٣ .

أن ذلك من السنة والمعتاد والسنة ترك ذلك كله فإنه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع إليه إلى أن قال : « فصار هؤلاء بجهلهم يتخذون يوم عاشوراء موسماً كموسم الأعياد والأفراح وأولئك يتخذون مأتماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة متعرضة للحرم والجناح انتهى » .

وقال ابن القيم (١) « وأما أحاديث الاكتحال والأدهان والتطيب يوم عاشوراء فمن وضع الكذابين وقابلهم الآخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة ، وأما ما يحكى عن الرافضة من تحريم لحوم الحيوانات المأكولة يوم عاشوراء حتّى يقرأوا (٢) كتاب مصرع الحسين رضي الله عنه فمن الجهالات والأضحوكات لا يفتقر في إبطالها إلى دليل حسبنا الله ونعم الوكيل انتهى كلام الشيخ بنوع اختصار ، وقبائح هذه الطائفة أكثر من أن تذكر وفضائحهم أشهر من أن تشهر وفي هذا القدر كفاية في معرفة مذهبهم الكاسد وقولهم الفاسد .

مطلب الخاتمة رزقنا الله حسنها :

خاتمة : جاء في المطالب العالية عن نوف البكالِي أن علياً رضي الله عنه خرج يوماً للمسجد وقد أقبل إليه جندب بن نصير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام بن خيثم وكان من أصحاب البرانس المتعبدين فأفضى علي وهم معه إلى نفر فأسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه التحية ثم قال : من

(١) المنار المنيف : ١١٢-١١٣ .

(٢) في الأصل : حتى يقرأون .

القوم ؟ فقالوا أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين فقال لهم : خيراً ثم قال : يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فأمسك القوم حياء فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له : ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين ؟ فسكت فقام همام وكان عابداً مجتهداً (١) (وقال) أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم قال : فسأنبئكم جميعاً ووضع يده علي منكب همام وقال : شيعتكم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضائل الناطقون بالصواب مأكولهم القوة وملبوسهم الاقتصاد وشيمهم التواضع لله بطاعته وخضعوا إليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم موقفين أسماعهم على العلم بدينهم نزلت أنفسهم منهم بالبلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء رضا عن الله بالقضاء فلولا الأجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله تعالى والثواب وخوفاً من أليم العقاب عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فيهم على أرائكها متكئون والنار من رآها فهم فيها معذبون صبروا أياماً قليلا فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فأعجزوها ، أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلا يعظون أنفسهم بأمثاله يستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يمجدون جباراً عظيماً ويجأرون إليه في فكاك رقابهم هذا ليلهم ، وأما نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء براهم خوف باريهم كالقداح تحسبهم مرضى وقد خولطوا وما هم بذلك بل

(١) مزيدة وليست بالنص .

خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم وذهلت عنه عقولهم فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكية لايرضون له بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة في دين وحزما في لين وإيماناً في يقين وحرصاً على علم وفهما في فقه وعلماً في حلم وكيساً في قصد وقصداً في غناء وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وخشوعاً في عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء في حق ورفقا في كسب وطلباً في حلال ونشاطاً في هدوء واعتصاماً في شهوة لا يغره ما أجهله ولا يدع إحصاء ما عمله يستبطيء نفسه في العمل وهو من صالح عمل على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسي وهمه الشك يبيت حذراً سنة النفل ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة ورغبته فيما يبقى وزهادة فيما يفنى وقد قرن العلم بالعمل والحلم بالعلم دائماً نشاطه بعيداً كسله قريباً أمله قليلا زلله متوقعاً أجله خاشعاً قلبه ذاكراً ربه قانعة نفسه محرزا دينه كاظماً غيظه آمنا منه جاره سهلا أمره معدوما كبره بيناً صبره كثيراً ذكره لايعمل شيئاً من الخير رياء ولا يتركه حياء أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا ألا شوقاً إليهم ، » فصاح همام صيحة فوقع مغشياً عليه فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين رضي الله عنه ومن معه » (١) قال الشيخ (٢) : « فهذه صفة شيعة أهل البيت النبوي التي وصفهم بها إمامهم وهي صفة خواص المؤمنين لا من اشتغل بالتعصبات (٣) والترهات لأن بتلك الصفات تظهر علامة

(١) الصواعق المحرقة : ١٥٤–١٥٥ . .
(٢) نفس المصدر : ١٥٥ .
(٣) في الأصل : التعصبيات .

المحبة وهو طاعة المحبوب وإيثار محابه (١) ومرضاته والتأدب بآدابه وأخلاقه وعن هـــذا قال علي رضي الله عنه : « لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر » لأن التحقيق بالمحبة يستوجب التخلق بخلق المحبوب والأخذ بهديه وحب من أحبه ومن هدي علي رضي الله عنه حب أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم منحنا الله وإياكم ذلك وجعلنا من الفائزين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وأصحابه أجمعين آمين آمين آمين .

فرغت من كتابتها في الساعة الواحدة من الليلة الرابعة من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٥ ببغداد صانها الله من الفساد .

---

(١) لعلها : محبته .

المصادر والمراجع

أولا : كتب أهل السنة :

١ – الأعلام : الزركلي ، الجزء السابع ، القاهرة .

٢ – تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، الجزء الحادي عشر ، القاهرة .

٣ – تفسير ابن جرير الطبري ، القاهرة .

٤ – تفسير ابن كثير ، القاهرة .

٥ – تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، القاهرة .

٦ – الجامع الصغير : للسيوطي ، القاهرة .

٧ – جمع الجوامع : للسيوطي ، القاهرة ١٩٧٨ .

٨ – الخطوط العريضة : لمحب الدين الخطيب ، مكة المكرمة ١٣٨٠ .

٩ – روح المعاني : للألوسي ، بولاق ١٣٠١ .

١٠ – زاد المعاد : لابن قيم الجوزية ، القاهرة ١٣٧٩ .

١١ – سبل السلام : للصنعاني ، القاهرة ١٣٧٩ .

١٢ – سنن أبي داود : تعليق الشيخ أحمد سعد علي ، ١٣٨٢ هـ .

١٣ – سنن البيهقي : للبيهقي ، القاهرة .

١٤ – سنن الدارقطني : تحقيق عبد الله هاشم يماني ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

١٥ – سنن الدارمي : طبعة إحياء السنة النبوية ، القاهرة .

١٦ – سنن ابن ماجه : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧٢ .

١٧ – سنن النسائي : القاهرة ١٣٨٣ .

١٨ – الشيعة والسنة : إحسان إلهي ظهير ، لاهور ١٣٩٥ .

١٩ – الصارم المسلول : لابن تيمية ، حيدر أباد ١٣٢٢ .

٢٠ ــ صحيح البخاري ، القاهرة ١٣٧٢ .
٢١ ــ صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٣٧٥ .
٢٢ ــ صفوة الصفوة : لابن الجوزي حققه : محمود فاخوري وقلعة جي، حلب ١٣٨٩ .
٢٣ ــ الصواعق المحرقة : لابن حجر الهيتمي ، القاهرة ١٣٨٥ .
٢٤ ــ ضحى الإسلام : أحمد أمين ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٦٢ .
٢٥ ــ فتاوى ابن تيمية : القاهرة ١٣٢٦ .
٢٦ ــ الفتح الكبير على الجامع الصغير عمل النبهاني ، القاهرة ١٣٥١ .
٢٧ ــ كنز العمال : بحاشية مسند الإمام أحمد .
٢٨ ــ مجمع الزوائد : للهيثمي ، دار الكتاب ، لبنان .
٢٩ ــ المطالب العالية : لابن حجر ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الكويت ١٣٩٣ .
٣٠ ــ المغني : لابن قدامة ، الجزء السابع ، بيروت ١٣٩٢ .
٣١ ــ مسند الإمام أحمد ، القاهرة .
٣٢ ــ مسند أبي عوانة : الجزء الرابع ، حيدر أباد ١٣٨٥ .
٣٣ ــ مختصر التحفة الاثنى عشرية : شاه عبد العزيز الدهلوي ، القاهرة ١٣٨٧ .
٣٤ ــ مصنف ابن أبي شيبة : الجزء الرابع حيدر أباد ١٣٩٠ .
٣٥ ــ مقالات الإسلاميين : للأشعري ، القاهرة ١٩٥٠ .
٣٦ ــ المقالات والفرق : للأشعري ، طهران ١٩٦٣ .
٣٧ ــ الملل والنحل : للشهرستاني ، القاهرة ١٩٥٦ .
٣٨ ــ ميزان الاعتدال : للذهبي تحقيق علي البجاوي ، القاهرة ١٣٨٢ .

٣٩ – الوشية في نقد علماء الشيعة : لمجهول طبع الخانجي ، القاهرة .
٤٠ – تنوير المقباس من تفسيرابن عباس : للفيروز أبادي القاهرة ١٣٧٠ .
٤١ – منهاج السنة لابن تيمية : تحقيق الدكتور رشاد سالم ، القاهرة ١٣٨٢ ، وكذلك طبعة بولاق ١٣٢١ .

ثانياً : كتب الشيعة :

١ – الاحتجاج على أهل اللجاج : للطبرسي ، النجف ١٩٦٦ .
٢ – الاعتقادات : لابن بابويه القمي ، إيران ١٢٧٤ .
٣ – الأمالي : للشيخ المفيد ، النجف ١٣٥١ .
٤ – الأمالي : للشريف المرتضي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ .
٥ – أوائل المقالات : للمفيد بغداد ١٧٩٣ .
٦ – تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة : الدكتور عبد الله فياض ، بيروت ١٣٩٥ .
٧ – التبيان في تفسير القرآن : للطوسي ، النجف ١٩٥٧ .
٨ – تذكرة الأئمة (نقلا من تحفة الشيعة) للبروفيسور نور بخش المتوكلي ، طبعة لاهور .
٩ – تفسير القمي : مطبعة النجف ١٣٨٦ .
١٠ – تفسير نور الثقلين للحويزي ، قم بإيران .
١١ – الخصال : لابن بابويه القمي ، طهران .
١٢ – الرجال : للكشي ، كربلاء .
١٣ – الرجال : للحلي ، طهران ١٣٤٢ .
١٤ – روضة الجبات للخوانساري : الجزء السادس ، إيران .

١٥ ـ روضة الواعظين : لمحمد بن الفتال النيسابوري ، النجف ١٣٨٦ .
١٦ ـ شرائع الإسلام : للحلي ، بيروت .
١٧ ـ شرح تجريد العقائد : لمحمود بن أحمد الأصفهاني ، مخطوط مكتبة الحرم رقم ٥٥ .
١٨ ـ شرح تجريد العقائد لعلي القوشجي (الشافعي) مخطوط مكتبة الحرم رقم ١٥٤ (١) .
١٩ ـ فرق الشيعة للنوبختي ، اسطنبول ١٩٣١ .
٢٠ ـ فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب لحسين النوري الطبرسي ، إيران ١٢٨٩ .
٢١ ـ الكافي للكليني صححه محمد لاخوند ، الطبعة الثالثة طهران ١٣١٨ .
٢٢ ـ كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد : لابن المطهر الحلي ، مطبعة المصطفوي .
٢٣ ـ المختصر النافع : للحلي ، القاهرة ١٣٧٧ .
٢٤ ـ اللمعة الدمشقية : للعاملي ، النجف ١٣٨٧ .
٢٥ ـ من لا يحضره الفقيه : لابن بابويه القمي ، طبعة الهند .
٢٦ ـ منهاج الكرامة في معرفة الإمامة : لابن المطهر الحلي طبع ضمن المجلد الأول من منهاج السنة الذي حققه الدكتور رشاد سالم .
٢٧ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للحر العاملي ، بيروت ١٣٨٤ هـ .
٢٨ ـ وسيلة النجاة : لآية الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوي ، منشورات مكتبة الصدر بإيران .

(١) القوشجي شافعي ولكن متن التجريد من كتب الشيعة ألفه نصير الدين الطوسي .

صفحة

رسالة في الرد على الرافضة

من ١ إلى ٥٦

صفحة

الخطب المنبرية

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمـــه الله

قام بالمقابلة والتصحيح

الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم

ومحمـــد بن عبـــد الرزاق الدويش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

وبعد :

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقد وجدنا لها طبعتين الأولى طبعت في مطبعة أم القرى على نفقة المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله ، والثانية طبعت بالمطبعة السلفية وقد جمعها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله.

وقد عُزِيَ في طبعة أم القرى مجموعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب نصاً ، وجاء في نهاية ما تم عزوه قول الجامع « تم هذا المجموع الذي وجدناه من الخطب ، والحمد لله رب العالمين ، وصل الله على محمد وآله وصحبه » .

أما في طبعة السلفية فقـد جاءت جميع الخطب مطلقة دون عزو إلا في القليل النادر فإنه يشير إلى أنها للشيخ محمد بن عبد الوهاب أو للشيخ عبد اللطيف ، وكثيراً ما يترك العزو ، علماً أن الكتاب ـ طبعة السلفية ـ قد عنون له بخطب الشيخ وبعض أحفاده وتلاميذه ، مما جعلنا نتوقف طويلاً في التمييز بين ما هو للشيخ ، وما هو لأحفاده أو تلاميذه متتبعين في ذلك أسلوب الشيخ ، فيما ثبت أنه له ومقارنته فيما دار حوله شك ،

علاوة على الإستعانة بمن هم مظنة معرفة ذلك من آل الشيخ ، وغيرهم ممن له صلة وثيقة بمؤلفات الشيخ . وأخيراً ترجح لدينا إثبات ما نص على أنه للشيخ فقط دون ما لم ينص عليه ، واعتمدنا النص من النسخة المطبوعة في مطبعة أم القرى . وقابلناه على ما يوافقه في طبعة الشيخ عبد الرحمن بن محمد ، وبينا ما بين النسختين من اختلاف إن وجد . كما قمنا بتخريج ما فيها من أحاديث ، وترقيم ما فيها من آيات .

رحم الله الشيخ وأدخله فسيح جناته ، وجزى العاملين على نشر مصنفاته خير الجزاء ، وأشركنا معهم في الأجر إنه سميع مجيب ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

صالح بن عبد الرحمن الأطرم
محمد بن عبد الرزاق الدويش

الخطبة الأولى لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

الحمدُ لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون ، وبعدله ضل الضَّالون . لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون . أحمدهُ سبحانه حمد عبد نزه ربه عما يقول الظالمون . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له . وسبحان الله رب العرش عما يصفون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله الصادقُ المأمون . اللهمّ صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون . وسلِّمْ تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حقَّ تُقاته . وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته . وأجيبوا الداعيَ إلى دار كرامته وجناته . ولا تغرنّكُم الحياةُ الدنيا بما فيها من زهرةُ العيش ولذّاته . فقد قَرُبَ الرحيل وذُهِبَ بساعات العمر وأوقاته . واعلموا أن الخير كله بحذافيره في الجنة ، فأدلجوا في السير إليها . والشر كله بحذافيره في النار ، فاجتهدوا في الهرب منها . ألا وأن الدنيا عَرَض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، والمؤمن والكافر . والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قاهر . فلا تغُرَّنّكُم الحياة الدنيا فانها دار بلاء ، ومنزلُ ترحة وعناء . نَزَعَتْ عنها نفوسُ السعداء . وانتُزعت بالكره من أيدي الأشقياء ، وحال بينهم وبين ما أمّلوه القدر والقضاء . ضُربت لكم بها المقاييسُ والأمثال . وقُرِّبت لكم الحقيقةُ بالشبه والمثال ، فقال صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا . إنما مَثَل الدنيا كراكب قال في ظل

دَوْحة »(١) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إنّما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء فاختلط به نباتُ الأرضِ مما يأكلُ الناسُ والأنعام ، حتى إذا أخذتِ الأرضُ زُخرُفَها وازّينتْ وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حَصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس ، كذلك نُفَصل الآياتِ لقوم يتفكّرون . واللهُ يدعو إلى دار السّلامِ ويهدي مَن يشاءُ إلى صِراطٍ مستقيم . للّذين أحسنوا الحسنى وزيادَة ، ولا يَرْهَقُ وجوهَهم قَتَرٌ ولا ذِلّة ، أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون . والذينَ كسبوا السيئاتِ جزاءُ سيئةٍ بمثلِها وتَرهقُهم ذِلّة ، ما هم من الله من عاصم ، كأنّما أُغشِيتْ وجُوهُهُمْ قِطعاً من الليلِ مُظلماً أُولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون) (٢) بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر اللهَ العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمد لله العلي العظيم القادر ، هو الأولُ والآخر والباطن والظاهر ، عالم الغيب والشهادة المطلع على السرائر والضمائر . خلق فقدَّر ، ودبّر

---

(١) رواه الترمذي بلفظ « مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ، وهو جزء من حديث ، قال عنه الترمذي « حديث حسن صحيح » سنن الترمذي (٤ : ٥٨٨ — ٥٨٩) ، ورواه أيضاً ابن ماجه بلفظ « ما أنا والدنيا ، إنما أنا والدنيا ... » الحديث سنن ابن ماجة (٢ : ١٣٧٦) .

(٢) سورة يونس الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

فيسر ، فكل عبد إلى ما قدّره (١) عليه وقضاه صائر . أحمده سبحانه على خفيّ لطفه ، وجزيل بره المتظاهر . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا مظاهر . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات والبصائر . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن على سبيله إلى الله سائر . وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى ، واعملوا ليوم تنكشف فيه السرائر ، وتظهر فيه مخبآت الصدور والضمائر ، وتدور فيه على المجرمين الدوائر . وتحصى فيه الصغائر والكبائر . يُرفع فيه لواءُ الخزي لكل ناكث للعهد غادر . تُنصب فيه موازين الأعمال وتنشر الصحائف ، فكل عبد إلى ما قدمه لنفسه صائر . فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله يا خيبةَ الظالم والفاجر ، ويا سعادة من استجاب لله ورسوله من ذوي الإيمان والبصائر . فاتقوا الله عباد الله فإن تقواه أنفع الوسائل والذخائر ، ولا تكونوا كالذين بدّلوا نعمة الله كفراً ولم يلتفتوا إلى ما أمامهم من الموارد والمصادر . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَه في عنقهِ ونُخرجُ له يومَ القيمة كتاباً يلقاه منشورا . اقرأ كتابَكَ كفى بنفسك اليومَ عليك حسيبا . مَنِ اهتدى فإنّما يهتدي لنفسِه ، ومَنْ ضلّ فإنّما يضِلُّ عليها ؛ ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى ، وما كنّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رسولا . وإذا أرَدْنا أن نُهلِكَ قَريةً أمرنا مُتْرَفِيها ففَسقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدَمّرْناها تدميراً . وكم

(١) هكذا في طبعة السلفية ، وفي طبعة أم القرى : فكل عبد إلى ما قدمه من عمله لنفسه صائر .

أهلكْنا من القُرونِ مِنْ بَعْدِ نوحٍ ، وكفى بربِّك بذُنوبِ عِباده خبيراً بَصيراً) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل (٢) ، لي ولكم وسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنعوتِ جلاله . وأنار قلوبَ أصفيائه بمشاهدة صفات كماله . وتحبب إلى عباده بما أسداه إليهم من إنعامه وإفضاله . أحمده سبحانه حمدَ عبد أخلص لله في أقواله وأفعاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معين في تدبيره وأفعاله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي أنعم الله على جميع أهل الأرض ببعثه وإرساله . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى جميع أصحابه وآله وسلم تسليماً كثيراً . أما بعدُ فيا أيها الناس اتقوا اللهَ تعالى فإنّ تقواه عليها المعوَّل . واشكروه على ما أولاكم من الإنعام والخير الكثير وخوَّل . وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والصدرُ الأوَّل . وتدبروا ما جاء به نبيُّكم محمد صلى الله عليه وسلم من الحكمة والكتاب المنزَّل . واعتبروا بمن كان قبلكم ممن علا في الأرض وأمّل وتموَّل . فجاءهم هاذِمُ اللذات وكان الأجل مما أمّلوه أعجل . وسطا بهم رَيْبُ المنون مسرعاً فما توانى في

---

(١) سورة الإسراء الآيات من ١٣ إلى ١٧ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من طبعة أم القرى .

أخذهم وما أمهل . فاستحال النعيم عذاباً ، وانعكس القصد وتحوّل . فاتقوا الله عبادَ اللهِ وحاسبوا أنفسكم قبل القدوم على الله . قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فإذا نُفخَ في الصُّور فلا أنسابَ بينهُم يومئذ ولا يتساءلون . فمَن ثقُلَتْ مَوازينُه فأولئك همُ المُفْلِحون . ومَنْ خفّتْ مَوازينُه فأولئك الذين خَسِروا أنفُسَهم في جهنمَ خالدون . تَلفَحُ وُجوهَهُمُ النارُ وهم فيها كالحون . ألمْ تكنْ آياتي تُتْلى عليكم فكنتم بها تُكذِّبون . قالوا ربّنا غلَبَتْ علينا شِقْوَتُنا وكنا قوماً ضالّين . ربّنا أخرجنا منها فإن عُدْنا فإنّا ظالمون . قال اخْسَئُوا فيها ولا تُكلّمون . إنه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربّنا آمنّا فاغْفرْ لنا وارْحمْنا وأنت خيرُ الراحمين . فاتّخذْتمُوهم سُخْرِيّا حتى أنسَوْكم ذِكري وكنتم منهم تَضْحَكون . إني جزَيْتُهُمُ اليومَ بما صَبروا أنّهمْ همُ الفائزون) (١) بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر اللهَ العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة المؤمنون الآيات من ١٠١ إلى ١١١ .

خطبة له أيضاً

الحمدُ لله المحمود على كل حال . الموصوف بصفات الجلال والكمال . المعروف بمزيد الإنعام والإفضال . أحمدُه سبحانه وهو المحمود على كل حال ، وفي كل حال . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والجلال . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله الصادق المقال . اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا اللهَ حق تُقاته . وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته . وأجيبوا الداعيَ إلى دار كرامته وجناته . ولا تغرّنكم الحياة الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذاته . فقد قَرُب الرحيل ، وذُهب بساعات العمر وأوقاته . ألا وإن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن صحته لمرضه ، ومن حياته لموته ، ومن غناه لفقره ، فو الله ما بعدَ الموت من مُسْتَعْتَب ، وما بعد الموت من دار إلا الجنةُ أو النار . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيّسُ من دان نفسَه وعمِلَ لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسَه هواها وتمنى على الله الأماني (١) » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ليس بأمانيكمْ ولا أمانيّ أهلِ الكتاب ، مَنْ يَعْملْ سُوءاً يُجزَ بهِ ولا يجد له من دونِ اللهِ ولياً ولا نصيراً . ومن يَعْمل من الصالحات من

---

(١) رواه الترمذي (٤ : ٦٣٨) ، وسنن ابن ماجه (٢ : ١٤٢٢) ومسند أحمد (٤ : ١٢٤)

ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)(١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل . لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمدُ لله العليّ الأعلى ، الذي خلق فسوّى ، والذي قدّر فهدى . له ملكُ السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . الملكُ الحقُّ المبين الذي على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وقد وسعَ كلَّ شيءٍ رحمة وعلماً . أحمده سبحانه وبحمده يَلْهجُ أولو الأحلام (٢) والنهى . وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له عالم السر والنجوى . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلي كلمة التقوى . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أئمة العلم والهدى . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعدُ فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى . فقد طال إعراضُكم عن النبأ العظيم تغافلا وجهلا . وكثر اشتغالكم بالعرَض الحسيس الأدنى . وصار إقبالكم على ما يصدُّ عن الصراط السويّ والهدى . أما أيقظكم ما رأيتموه من حوادث القدَر والقضا . أما أنذركم (٣) ما سمعتموه من أخبار من كذب وعصى . ومن

---

(١) سورة النساء من آية : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) في طبعة أم القرى : أولو البصائر والنهى .

(٣) في طبعة أم القرى : أما وعظكم .

أعرض عما جاءت به الرسل وغلب عليه الشقاء والهوى . كيف وجدوا عقوباتِ الذنوب ، وكيف كان الحال بمن بغى وطغى . بلغتهـُم دعوة الرسل فلم يجيبوا . ورُفعت إليهم المواعظ فلم يلتفتوا ولم ينيبوا . فجاءهم أمر الله بغتة وأصيبوا . فهل تحسُّ منهم من أحد أو تسمعُ لهم رِكْزا . سل عنهم تلك القصورَ الدامرة ، والقبورَ الدائرة ، والعظامَ الناخرة . وكيف كان السؤال والجواب ، وهل وجدوا لهم من دون الله ملجأ ووزرا . فاتقوا الله عباد الله وأعملوا ليوم العرض والجزاء . ولا تكونوا ممن أعرض عن ذكر ربه ولم يُرد إلا الحياةَ الدنيا . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيها الناسُ اتقوا ربّكُم واخْشَوْا يوماً لا يَجْزِي والدٌ عن وَلَدِه ولا مَوْلودٌ هو جازٍ عن والدهِ شيئا ، إنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ فلا تغرَّنّكُم الحياةُ الدنيا ولا يغرّنّكُم بالله الغَرُور . إنَّ اللهَ عنده علمُ الساعة وينزِّل الغيث ويعلَمُ مافي الأرحامِ ، وما تَدْرِي نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً ، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تَموت ، إن الله عليمٌ خبير) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمدُ للهِ الذي أنزل على عبدهِ الكتابَ ولم يجعل له عِوَجا ، فصَّلَ وبَيّن وقرّر صراطاً مستقيماً ومنهجاً . ونصب ووضّح من براهين معرفته

---

(١) سورة لقمان آية : ٣٣ ، ٣٤ .

وتوحيده سلطاناً مبيناً وحججاً . أحمده سبحانه حمدَ عبد جعل له من كل همّ فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، شهادةً ترفع الصادقين إلى منازل المقربين درجا . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي وضع الله برسالته عن المكلفين آصاراً وأغلالا وحرجا . اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير الأنام طريقة وأهداهم منهجاً . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حقَّ تقواه ، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه . فقد خلقكم لأمر عظيم . وهيأكم لشأن جسيم . خلقكم لمعرفته وعبادته ، وأمركم بتوحيده وطاعته . وجعل لكم ميعاداً تجتمعون فيه للحكم فيكم وفصل القضاء بينكم ، فخاب وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنة عرضها السموات والأرض . وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانياً بباق ، وشقوة بسعادة . عباد الله ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين تتقلبون ، ويستخلفها بعدكم الباقون . ألا ترون أنكم في كل يوم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد انقضى أجله وانقطع عمله فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير ممهد ولا موسّد قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب . فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالتوبة قبل أن يغلق الباب ، ويسبل الحجاب . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ، وإنّما تُوَفَّوْنَ أجورَكمْ يوم القيامة ، فمن زُحزِحَ عن النارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فاز ، وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرُور)(١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمدُ لله فاطرِ الأرض والسموات . عالم الأسرار والخفيات . المطلع على الضمائر والنيات . أحاط بكل شيء علماً ، ووسع كل شيء رحمة وحلماً . وقهر كل مخلوق عزة وحكماً ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفَهم ولا يحيطون به علماً . لا تدركه الأبصار ، ولا تغيره الدهور والأعصار ، ولا تتوهمّه الظنون والأفكار . وكل شيء عنده بمقدار ، أتقن كلَّ ما صنعه وأحكمه ، وأحصى كلَّ شيء وعَلِمَه ، وخلق الإنسان وعلّمه . أحمدُه سبحانه على ما ألهمه من معلوم وفهّمه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف الحق والتزمه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من صدع بالحق وأسمعه ، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وسائر من نصره وكرمه . وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حق التقوى . واعرفوا ما دلت عليه هذه الكلمة من الحقيقة والمعنى . وتفطنوا لتفاصيل ذلك على القلوب والأعضاء وتدبروا كتاب الله واعرفوا ما فيه من العلم والهدى . وعالجوا به أمراض القلوب فهو الدواء النافع والشفاء وهو السبب الأعظم في حصول السعادة والسيادة في الآخرة والأولى . مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، ومَن أعرض عنه استحوذ عليه الشيطان وتولاه . فهو حبل الله المتين . ونوره المبين . وصراطه المستقيم . قال جندب بن

عبد الله رضي الله عنه : عليكم بالقرآن فإنه نور بالليل وهدًى بالنهار . فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة . فإن عرض بلاء فقدّم مالك دون نفسك . فإن تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك . فإن المحروب مَن حُرِبَ دينه ، والمسلوب من سُلبَ دينه . إنه لا فاقة بعد الجنة ولا غنىً بعد النار . إن النار لا يُفكُّ أسيرها ولا يَسْتغني فقيرها . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قال اهبِطا منها جميعاً ، بعضُكمْ لبعضٍ عَدُوّ ، فإمّا يأتينّكُمْ مِنِيّ هُدًى فمن اتبَع هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقى . ومن أعرض عن ذِكري فإنّ له مَعيشةً ضَنْكا ونحشُره يومَ القيامة أعمى . قال رَبِّ لِمَ حَشرتَنِي أعمى وقد كنتُ بَصيرا . قال كذلك أتتكَ آياتُنا فنَسيتَها وكذلك اليومَ تُنْسى . وكذلك نَجْزِي مَن أسرفَ ولم يُؤمنْ بآياتِ ربِّه ولَعذابُ الآخرةِ أشَدُّ وأبقى) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمدُ لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنةً وظاهرة ، الرحيم الذي لم تزل ألطافه على عباده متوالية متظاهرة ، العزيز الذي خضعت لعزّته رقابُ الجبابرة . والقويِّ المتين الذي أباد من كذّب رسله من الأمم الطاغيةِ الكافرة . أحمده حمد عبد لم تزل ألطافه عليه متتابعة متواترة . وأشهد

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣ إلى : ١٢٧ .

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة في الدار الآخرة . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات الباهرة . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه النجوم الزاهرة ، وسلمْ تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى ، فإن في تقواه كل خير جزيل . واحذروا أخذه وعقابه فإنه أليم وبيل . عباد الله ما هذا التكاسل وقد جاء الرحيل . وما هذا التغافل وقد وضح السبيل . وصار الأمر أوضح من أن يحتاج إلى دليل . أغرَّكم الغَرور بما أبداه من التسويف والتأميل . أم عندكم من الله عهد هو بالنجاة والسعادة كفيل . أم قد ظننتم حصول السلامة مع الإعراض عن معرفة الحق والدليل . ورجوتم نيلَ الفلاح وقد هجر فيما بينكم الوحي والتنزيل . هيهات هيهات خلاص الأكثرين واللهِ مستحيل . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أفلَمْ يَهْدِ لهمْ كمْ أهلَكْنَا قبلَهمْ مِنَ القرونِ يمشون في مساكنهم ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لاولي النُّهى . ولولا كلمةٌ سبَقَتْ من ربِّك لكان لِزاماً وأجَلٌ مُسَمّى . فاصبرْ على ما يقولون وسَبح بحمد ربّكَ قبلَ طلوع الشمسِ وقبل غُروبها . ومِنْ آناء الليل فَسَبحْ وأطرافَ النهار لعلّكَ ترضى) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة طه من آية : ١٢٨ إلى ١٣٠ ، وفي طبعة أم القرى بدأ من قوله تعالى : قال اهبطا منها جميعاً : الآية ١٢٣ إلى ١٢٧ .

خطبة له أيضاً

الحمدُ لله الذي له ما في السموات وما في الأرض . وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير . أحمده سبحانه على ما أسداه وأولاه من الإنعام والإكرام والخير الكثير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا ظهير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله السراج المنير والبشير النذير . اللهم صل على عبدك ورســولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن على سبيله إلى الله يسير . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقواه ، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه . فقد خلقكم لأمر عظيم . وهيأكم لشأن جسيم . خلقكم لمعرفته وعبادته وأمركم بتوحيده وطاعته . وأخذ على هذا مواثيقكم ، وارتهن بحقه نفوسكم ، ووكّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ويكتبون ما تعملون . وإن قوماً جعلوا أعمارهم لغيرهم وسعيهم لنيل حظوظهم وشهواتهم العاجلة ولم يلتفتوا إلى ما خلقوا له ففجأهم ريب المنون ، وأخذوا وهم كارهون ، وحيل بين القوم وبين ما يشتهون ، ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون . وحاق بهم ما كانوا يعملون . وهذا كتاب الله لا تفنى عجائبه . ولا يطفأ نوره ولا يضل متبعه . فاستضيئوا منه ليوم الظلمة ، واستمسكوا منه بأوثق شافع في كل خطب وملمة . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أَلَمْ أَعْهَدْ إليكمْ يا بني آدمَ أنْ لا تَعْبُدُوا الشيطانَ إنه لكمْ عدوٌّ مبين . وأنِ اعبدوني هذا صِراط مستقيم . ولقد أضلَّ منكم جِبِلاً كثيراً أفلمْ تكونوا تعقِلون . هذهِ جهنَم التي كنتمْ تُوعَدُون . اصْلَوْها اليومَ بمـا كنتمْ تكفُرون . اليومَ نَختِمُ على أفواهِهمْ وتُكَلِّمُنا أيديهمْ وتَشْهَدُ أرجُلُهمْ

بما كانوا يَكْسِبُون . ولو نَشَاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ فاستَبَقُوا الصراطَ فأنّى يُبْصِرون . ولو نَشاء لَمَسَخْناهم على مكانتهِم فما استَطاعوا مُضِيّاً ولا يَرْجِعون) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمد لله الملك العزيز العلام . العليّ العظيم الكريم السلام ، غافر الذنب وقابل التوب من جميع الآثام . أحمده سبحانه على ما اتصف به من صفات الجلال والإكرام . وأشكره على ما أسداه من جزيل الفضل والإنعام . وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوزَ بدار السلام . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله به الإيمان والإسلام . اللهم صلى على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تقية من خاف وحذر(٢) واستقام ، والتزموا ما أوجبه عليكم من حقوق الإيمان والإسلام . وأحبوه تعالى بما غذاكم به من سوابغ المن والإنعام . واشكروه على ما أولاكم من جزيل الفضل والإكرام . عباد الله قد وضح السبيل فما هذا الإعراض والاحجام . وقد استُمع (٣) النذير فما هذا الإخلاد والدار ليست بدار

---

(١) سورة يسن من آية : ٦٠ إلى آية ٦٧ .

(٢) في طبعة أم القرى : فاستقام .

(٣) هكذا في طبعة السلفية ، وفي طبعة أم القرى : أسمع .

مقام . هل يقنع بالسوم في هذه الدار ويرضاه لنفسه إلا أشباه الأنعام . عباد الله قد سار المؤمنون وشمروا إلى دار السلام . وصاموا عن محارم الله والآثام . فما أفطروا إلا يوم القدوم على الملك السلام . فنالوا من كرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الأنام . إن الله غرس جنة عدن بيده فقال لها : تكلمي ، قالت(١) (قَدْ أَفْلَحَ المؤْمنون) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (قد أفْلَحَ المؤْمنون الذينَ همْ في صلاتهِم خاشِعون . والذين هم عن اللغو مُعْرِضون . والذين همْ للزكاةِ فاعلون . والذين هم لِفُروجِهِم حافِظونَ . إلاّ على أزواجهم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهم فانهمْ غيرُ مَلُومِينَ . فمن ابتَغى وراءَ ذلكَ فأولئكَ همُ العادُونَ ، والذين همْ لأماناتِهم وعَهْدِهِمْ راعون ، والذينَ همْ على صَلواتِهمْ يحافظون أُولئك هُم الوارِثون الذين يَرِثون الفِرْدَوْسَ هم فيها خالدون) (٢) . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

« خطبة له أيضاً »

الحمدُ لله الغني الحميد ، المبديء المعيد ، ذي العرش المجيد ، الفعال لما يريد . أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء شهيد . أحمده سبحانه

---

(١) في طبعة السلفية : فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « قد أفلح المؤمنون . . . » الآيات .

(٢) سورة المؤمنون من آية ١ إلى آية : ١١ .

على ما أولاه من الإنعام والإكرام والتسديد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الإيمان والتوحيد . اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من صالحي العبيد . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس . اتقوا الله تعالى حق التقوى . وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى . وإياكم والاغترار بزهرة الحياة الدنيا . فقد اغترّ بها قوم قبلكم فأوردهم موارد العطب والردى . أسكرتهم برونقها فما أفاقوا إلا وهم في عسكر الموتى . كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وعدداً . كانوا أطول منكم آمالا وأحسن أثاثاً ومنظراً . سرت إليهم الأقدار فما ونت في سيرها وما أبقت منهم أحداً . فما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون لمّا نزل بهم القدر وقرب المدى . وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ولم يجدوا لهم من دونه موئلا وملتحداً . فانتبهوا رحمكم الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وكم مِنْ قَريةٍ أهلَكناها فجاءَها بأسُنا بيَاتاً أو هُمْ قائلون . فما كان دَعْواهُمْ إذ جاءَهم بأسُنا إلا أن قالوا إنّا كنّا ظالِمين . فَلَنَسْأَلنّ الذين أرسِلَ إليهم ولنَسْألنّ المُرْسَلين . فلنقصّنّ عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين . والوزنُ يومئذٍ الحقُّ فمن ثَقُلَتْ مَوازينُه فأولئكَ هُم المفلحون . ومن خَفّتْ موازينهُ فأولئكَ الذين خَسِروا أنفُسَهُمْ بما كانوا بآياتِنا يَظْلمون) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

---

(١) سورة الأعراف من آية ٤ إلى آية : ٩ .

الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

« خطبة له أيضاً »

الحمدُ لله عالم الغيب والشهادة ، القادر على تنفيذ ما قدّره وأراده . الحكيم في كل شيء قضاه حتى العجز والكيس والشقاوة والسعادة . أحمده سبحانه حمد عبد عظم رجاؤه للمغفرة والزيادة . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعْظِمْ بها من شهادة (١) . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين السادة . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهداية والإفادة . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فان تقواه أربح تجارة وبضاعة . واحذروا معصيته فقد خاب عبد فرط في أمر ربه وأضاعه . وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والجماعة . فخذوا بهديهم وما كانوا عليه في المعتقد والعمل والسّمت والطاعة . واحذروا الظلمَ فإن الظلم عار ونار وشناعة . عباد الله . ما هذه الجراءة على ذي العزة والجلال . وما هذا الإعراض عن واسع الأنعام والأفضال . عباد الله ، هل تعي قلوبكم من النصح ما يقال . أم قد حال دون ذلكم الرانُ والأقفال تالله . لتسألُنّ عن الرسول ومن أرسله وما جاء به وما قد قال . فأعدّوا جواباً منجياً مطابقاً عند السؤال . قبل أن يفجأ الأجل ويحال بينكم وبين الآمال . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وكمْ قَصَمْنَا مِنْ قريةٍ كانتْ ظالمةً وأنشأنا بعدَها قوماً آخرين . فلما

(١) في طبعة السلفية بدون « من » .

أحسُّوا بأسَنا إذا هم منها يرْكُضُون . لا تركُضوا وارجِعوا إلى ما أتْرِفْتُم فيه ومَسَاكِنكم لعلّكم تُسْألُون ، قالوا يا وَيْلَنا إنّا كنّا ظالِمين . فما زالتْ تلك دَعْواهم حتّى جَعَلْناهم حَصِيداً خامِدين) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة له أيضاً

الحمدُ لله الذي عمّتْ آلاؤه جميعَ مخلوقاته . فأبى أكثرُ الناس إلا كفوراً . ونصب من الآيات الباهرات ما دل على وحدانيته فعميت بصائر الكافرين والمنافقين فما زادتهم إلا نفورا . وبصّر المؤمنين في التفكير(٢) في آياته فأشرقت قلوبهم بالإيمان به مَنّا منه وتيسيراً . فسبحانه من قسّام ما أعْدله ، ومن قهار ما أحلمه ، ومن جواد ما أكرمه ، ومن عليم ما أعلمه ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يغادر صغيراً ولا كبيراً . أحمده سبحانه حمد عبد عرفه حق معرفته . وأشكره شكراً كثيراً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في إلهيته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس ،

---

(١) سورة الأنبياء من آية : ١١ إلى ١٥ .

(٢) هكذا فى طبعة السلفية وفى طبعة أم القرى « فى التفكر » .

اتقوا الله تعالى فقد أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فاشكروه ، وأوصاكم بالتمسك بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا وصية ربكم وأطيعوه . ولا تجعلوا أمره ونهيه وراء ظهوركم فيهلككم كما أهلك من قبلكم لمّا آسفوه . وتقربوا إليه بشكر نعمه عليكم وراقبوه ، فكم نعمة آتاكم وكم فتنة وقاكم وكم عدو كفاكم ، فاشكروه عباد الله على ما أولاكم ، فالسعيد من استعمل ما أوتيه من النعم في طاعة خالقه ومربيه ، والشقي من صرفه في إرادته وشهواته ولم يؤدّ حق الله تعالى الواجب فيه . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وإذ قال مُوسى لِقومه اذْكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ أنْجاكمْ مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومونَكم سُوء العَذابِ ويُذَبِّحُونَ أبْناءَكم ويَسْتَحْيونَ نِساءَكمْ وفي ذلِكمْ بَلاءٌ من ربِّكم عظيم . وإذْ تَأذَّنَ ربُّكمْ لِئنْ شَكرتمْ لأزِيدَنَّكمْ ولئنْ كفَرْتمْ إن عَذَابي لشديد . وقال موسى إن تكفُروا أنتمْ ومَن في الأرضِ جميعاً فإنَّ اللهَ لغنيٌّ حميد) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

« خطبة عند دخول رمضان له أيضاً »

الحمد لله الذي خصّ بالفضل والتشريف بعض مخلوقاته . وأودع فيها من عجائب حِكمِه وبديع إتقانه ، ما شهدت العقول السليمة بأنها

---

(١) سورة إبراهيم من آية ٦ إلى آية ٨ .

من أكبر آياته . خلق فقدّر ، ودبّر فيسّر . وربك أعلم حيث يجعل رسالاته . ويختص من شاء(١) بفضله وكراماته، أحمده حمد عبد يعلم أنه هو المحمود على جميع أقضيته وأحكامه وتدبيراته . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما يستحقه على العبد من طاعاته وعباداته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله به الإسلام بعد اندراس قواعده وأفول شموخه ونسيان آياته . اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين له على دينه ومحبته وموالاته ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق تُقاته . وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته . قبل انصرام العمر وفوات أوقاته وساعاته . واعلموا أنه قد نزل بساحتكم شهر كريم ، وموسم عظيم ، خصّه الله على سائر الشهور بالتشريف والتكريم ، أنزل فيه القرآن العظيم . وفرض صيامه وجعله أحد أركان الإسلام التي لا يقوم بناؤه على غيرها ولا يستقيم . وسنّ قيامه نبيكم الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ففي الحديث « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه (٢) » وفيه أيضاً « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه (٣) » . وفي الحديث « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غـمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً (٤) » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيُّها الذين آمنوا كتِبَ عليكمُ الصيامُ كما كُتِبَ عِلى الذين من قبلكم لعلّكمْ تتّقون ، أيّاماً مَعْدُوداتٍ فَمنْ كان

(١) هكذا في طبعة أم القرى ، وفي طبعة السلفية : بدون « من شاء » .
(٢) صحيح البخاري (٥ : ١٧)
(٣) صحيح البخاري (٥ : ١٥٥) .
(٤) صحيح البخاري (٥ : ٢٥) .

منكم مريضاً أو عَلَى سَفَرٍ فعِدَّةٌ من أيام أُخَر ، وعلى الذين يُطيقونهُ فِدْيَةٌ طعامُ مِسْكين ، فمن تطوَّع خيراً فهو خيرٌ له ، وأنْ تصوموا لكمْ إن كنتم تعلمون ، شهرُ رَمضانَ الذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدًى الناسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقان ، فمنْ شَهِدَ منكُم الشهرَ فلْيَصُمْهُ ومَن كان مَرِيضاً أو على سَفَرٍ فعدَّةٌ مَنْ أيَامٍ أُخَر ، يُريدُ اللهُ بكمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بكمُ العُسْر ولِتكْمِلُوا العِدَّةَ ولِتكبِّروا الله على ماهَداكمْ ولعلّكمْ تَشْكرون) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة التي بعدها في رمضان

الحمد لله الذي وفّق عبادَه المؤمنين لتلاوة كتابه الكريم ، وفتح عليهم من حقائق المعارف ولطائف العلوم ما عداهم به إلى صراطه المستقيم . وخصهم من مواهب بِرِّه وإحسانه بأسنى فضله العميم ، ومن على من شاء بالصدق في معاملته (٢) ، والله ذو الفضل العظيم أحمده سبحانه على ما أولاه من التعليم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله النبي الكريم . اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على الدين القويم وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٢ إلى آية ١٨٥ .

(٢) في طبعة أم القرى : « ومن شاء على محمد بالصدق في معاملته ... » .

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق تقواه ، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه . واحذروا أسباب سخطه ، فإن المؤمن من خاف الله واتقاه . عباد الله إنكم في شهر كريم ، وموسم عظيم ، متجر أولياء الله الصالحين . ومطلب الراغبين إلى الله في العتق من عذاب الجحيم . شهر تفتح فيه أبواب الجنات . وتجاب فيه الدعوات . وينشر الفضل العميم . شهر تكفر فيه السيئات . وتضاعف فيه الحسنات . وتقال فيه العثرات . ويكتب فيه (١) منشور السعادة والتكريم . فعظموه رحمكم الله بالقراءة والتكبير والركوع والسجود والتهليل والتسبيح والتحميد ، وأكثروا في أيامه من الصدمة والإحسان إلى الفقير والمسكين واليتيم . واحذروا ما يبطل العمل من الفعل السيء والقول الذميم . ففي الحديث (عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال(٢)) : «من لم يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه » (٣) وفيه أيضاً « رُبَّ صائم حظُّه من صيامه الجوعُ والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب(٤)» أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (سابِقوا إلى مَغفِرةٍ من ربّكمْ وجنّةٍ عَرْضُها كعَرْض السماء والأرض أعِدّتْ للذين آمنوا باللهِ ورُسُله ذلك فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذو الفضل العظيم(٥)) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ،

---

(١) في طبعة السلفية : ويكتب منشور ... بدون كلمة « فيه » .
(٢) ما بين القوسين ساقط من طبعة السلفية ، ومثبت في طبعة أم القرى .
(٣) رواه البخاري (٤ : ١١٦) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢ : ٣٧٣) وليس فيه لفظ « والتعب » ، وابن ماجه بلفظ « ليس له من صيامه » بدل « حظه من صيامه » وليس فيه لفظ « التعب » وقال بعد سياق الحديث « في الزوائد » إسناده ضعيف » بسنن ابن ماجه (١ : ٥٣٩) .
(٥) سورة الحديد آية ٢١ .

ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطب بعدها

الحمدُ لله الذي وفق عباده المؤمنين لأداء الأعمال الصالحات ، وشرح صدورَ أوليائه المتقين للإيمان بما جاء به رسوله من الحكمة والآيات ، وكشف عن قلوب أحبابه حجب الجهالة والضلالات ، ويسر لهم من الباقيات الصالحيات ما يتبوّأون به منازل الجنات ، فضلا منه ونعمة وربك يخلق ما يشاء ويختار من المخلوقات . أحمده سبحانه على ما له من الأسماء الحسنى والصفات ، وأشكره على ما أسداه من الإنعام والبركات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها رفيع الدرجات ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ذوي الهمم العاليات ، وسلم تسليما كثيرا . أما بعد فيا أيها الناس ، اتقوا الله تعالى فإن بتقواه تحصل السعادة والنجاة ، واجتهدوا في طاعته فقد أفلح من اجتهد في الطاعات ، وعليكم بالصدق في معاملته فقد خاب من كذب الله في المعاملات ، وأخلصوا له القصد والنية فانما الأعمال بالنيات ، وخصوا هذا الشهر العظيم بمزيد الطاعات والإكثار من الحسنات ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، وتعرضوا لنفحات بره فإن لله في أيام دهركم نفحات ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فقال « آمين آمين آمين » فقيل له : يا رسول الله ، إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين . فقال « أتاني جبرائيل

عليه السلام فقال : يا محمد رغم أنف امريء دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : رغم أنف امريء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل : آمين ، فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف امريء ذُكوتَ عنده فلم يصل عليك ، قل : آمين ، فقلت : آمين » (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبرائيل فيدارسه القرآن ، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة (٢) ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أُجيبُ دعْوةَ الداعي إذا دعاني فلْيَسْتجيبوا لي ولْيُؤْمنوا بي لعلّهم يَرْشدون)(٣) . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة بعدها لرمضان

الحمدُ لله العظيم الشأن ، الكبير السلطان ، خلق آدمَ من طين ثم قال له كن فكان ، أحسن كل شيء خلَقه وأبدع الإحسان والاتقان ، أحمده سبحانه وحمدُه واجبٌ على كل إنسان ، وأشكره على ما أسداه من الإنعام والتوفيق للإيمان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كثير الخير

(١) رواه الترمذي (٩ : ١٩٧) .
(٢) صحيح البخاري (١ : ٣٠) .
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

دائم السلطان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والبرهان ، اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه حملة العلم والقرآن ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس ، اتقوا الله تعالى حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعملوا ليوم ترجعون فيه إلى الله ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحْضَراً وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وهل ينفع المجرمَ ما يتمناه ، يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، وينشر المكتوب والمسطور ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، يوم يكشف للعبد غطاء عينيه ، ويعرف محصول عمله وما لديه ، ولا يروج البهرج يومئذ منه ولا عليه . يومئذ يعض الظـالم على يديه أسفاً على ما اقترفه وما جناه ، فاتقوا الله عباد الله وبادروا إلى ما يحبه الرب من العمل ويرضاه ، واعلموا أن أفضل شهركم هذا عَشْرُه الأخيرة ، فيها ليلة (١) مباركة فيها يُفرق كل أمر حكيم ، وتكتب الحوادث والتدبير ، يصل فيها الربُّ ويقطع ، ويعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويميت ويحيي ، ويسعد ويشقي ، وتجري أقلام القضاء والتقدير ، فعظموها رحمكم الله تعالى بالقيام والركوع والسجود والقراءة والتكبير ، والتمسوها في أفراد العشر كما جاء بذلك الخبر عن البشير النذير . قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحرَّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان (٢) » وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشدّ المئزر(٣) . وقال صلى الله

(١) في طبعة السلفية : عشره الأخير فيه ليلة مباركة .
(٢) رواه البخاري (٤ : ٢٥٩) .
(٣) رواه البخاري بلفظ « شد مئزره ، وأحيا ليله وأيقظ أهله » (٤ : ٢٦٩) .

عليه وسلم « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »(١) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (إنّا أنزلناه في ليلةِ القَدْر ، وما أدراك ما ليلةُ القدر ، ليلةُ القدر خيرٌ من ألفِ شهر ، تَنَزَّل الملائكةُ والرُّوح فيها بإذنِ ربِّهم من كل أمر ، سلامٌ هي حتى مَطْلع الفجر)(٢) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة بعدها آخر رمضان

الحمدُ لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، عالم ما يُسِرُّه العبد وما يخفيه ، أحصى(٣) عليه خطرات فكره وكلمات فيه . من توكل عليه كفاه ووجد كفايته خيرا من توقيه ، ومن تواضع له رفعه وزاد بقدر تواضعه في ترقيه ، أحمده سبحانه وأتوب إليه وأستغفره وأستهديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق كل شيء وهاديه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله معلم الإيمان وداعيه ، اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه ومن حمدت في الإسلام سيرته ومساعيه ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس . اتقوا الله تعالى والتمسوا من العمل ما يحبه ويرضيه ، وسارعوا إلى مغفرته وجنته فالمؤمن مَنْ يرجو الله ويتقيه ، ولا تتبعوا خُطُواتِ الشيطان فإنه يضل من اتبعه ويغويه ، ويأمره بالفحشاء والمنكر وإلى طريق

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤ : ٢٥٥) .
(٢) سورة القدر مكية : ١ إلى آية ٥ .
(٣) في طبعة السلفية يحصي .

الجحيم يهديه . عباد الله هذه العبر تمر بكم كل وقت وحين . وكتاب الله يقص عليكم نبأ المكذبين والمعرضين ويحذركم ما نزل بمن عصى رسله من الجبارين والمتكبرين (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) (١) . عباد الله ، هذا شهر الصيام قُوِّضت خيامه وتَصرَّمت أوقاته وأيامه . فمن أحسن فعليه بالإتمام ، والشكر لله على التوفيق والإسلام ، ومن فرط وأضاع فيما مضى من الأيام ، فعليه بالتوبة وحسن الختام ، فإن الأعمال بخواتيمها . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أول هذا الشهر رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النـــار » واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر على الذكر والأنثى والحر والعبد والصغير والكبير ، ففي الصحيح عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : كنا نعطيها زمن النبي صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط (٢) ووقتها يوم العيد قبل الصلاة ، ويجوز إخراجها قبله بيوم أو يومين ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيها الذين آمنُوا لا تُلْهِكُمْ أموالكُمْ ولا أولادُكم عن ذِكْرِ اللهِ ومن يَفْعلْ ذلك فأولئك هُم الخاسرون ، وأنْفِقوا ممّا رَزَقْناكم مِنْ قبلِ أنْ يأتي أحدَكم الموتُ فيقول ربِّ لولا أخرتَني إلى أجل قريبٍ فأصَّدَّق وأكُنْ منَ الصالحين . ولنْ يُؤخرَ اللهُ نفساً إذا جاء أجلُها والله خبير

---

(١) سورة القصص آية : ٥٨ .

(٢) صحيح البخاري (٤ : ١١٤) وصحيح مسلم (٧ : ١٦) .

بما تعملون) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة عيد الفطر

الله أكبر (تسعاً نَسَقاً (٢) ، ثم يقول) : الله أكبر عدد ماصام صائم وأفطر ، الله أكبر عدد ما هَلّل مهلّل وكبّر ، الله أكبر عدد ما التزم الملتزم ، الله أكبر عدد ما أفيض هناك من عبرة وندم (الله أكبر كلما أهلوا من الميقات محرمين)(٣) الله أكبر كلّما يَمّمُوا عرفة ملبّين « الله أكبر كلما سعوا بين المروة والصفا ، الله أكبر كلما هبطوا وادياً أو عَلَوْا شَرَفاً ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد . الحمد لله الذي سهّل للعباد طريق العبادة ويسر . وأفاض عليهم من خزائن جوده التي لا تحصر (٤) . وجعل لهم عيداً يعود في كل عام ويتكرر . نقّاهم به من دون الذنوب وطهّر . فما مضى شهر الصيام إلا وأعقبه أشهر الحج إلى بيته المطهّر . أحمده سبحانه على نعمه التي لا تحصر . وأشكره وهو المستحق لأنْ يُحْمِدَ ويشكر . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فقدّر ، ودبّر فيسر . وأشهد أن محمداً عبده

---

(١) سورة المنافقين من آية : ٩ إلى آية : ١١ .

(٢) في طبعة أم القرى « تسعاً ، تسعاً » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من طبعة السلفية .

(٤) في طبعة أم القرى : وأحصى .

ورسوله صاحب اللواء والكوثر . نبي نُصر بالرعب مسيرة شهر حتى إنه ليخافه ملك بني الأصفر . نبي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر . اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه ما لاح هلال وأنور ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واعلموا أنه ليس السعيد من أدرك العيد ولبس الجديد ، وخدمته العبيد ، إنما السعيد من اتقى الله فيما يبدي ويعيد ، وفاز بجنة نعيمها لا يفنى ولا يبيد ، ونجى من نار حرها شديد وقعرها بعيد ، وطعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد ، ولباسهم القطران والحديد . عباد الله الصلاة الصلاة ، فمن حفظها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، واعلموا أن الله تعالى أمركم ببر الوالدين وصلة الأرحام ، والصبر على(١) فجائع الأيام ، والإحسان إلى الضعفاء والأيتام ، قال تعالى (وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا)(٢) واجتنبوا الربا في المبايعات فإنه من أكبر السيئات ، ومن السبع الموبقات ، قال تعالى (يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وذَرُوا ما بَقِيَ من الرِّبا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذَنوا بحربٍ من اللهِ ورسوله)(٣) . عباد الله أوفوا المكاييل والموازين ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين ، قال تعالى (ويلٌ للمطففينَ الذينَ إذا اكتالوا على

---

(١) في طبعة أم القرى : عند .

(٢) سورة النساء آية : ٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الناس يَسْتَوفونَ وإذا كالوهمْ أو وَزَنوهم يُخْسرون . ألا يظن أولئك أنهمْ مَبْعوثون ليوم ٍ عظيم) (١) . ووقروا اليمين بالله في الخصومات، ففي الحديث « من اقتطع مال امريء مسلم بيمينه لقى اللهَ وهو عليه غضبان » ، قالوا : يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال « وإنْ كان قضيباً من أراك(٢) » . أيها الناس ، حجوا البيت الحرام ، فإن حجه أحد أركان الإسلام ، يكفر الله به جميع الذنوب والآثام ، قال تعالى (وإذْ بَوّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أنْ لا تشركَ بي شيئاً وطهِّرْ بيتيَ للطائفينَ والقائمينَ والركّعِ السُّجود . وأذِّنْ في الناسِ بالحجِّ يأتوكَ رِجالا وعلى كل ضامرٍ يأتينَ مِنْ كلِّ فَجٍ عميقٍ لِيَشْهَدُوا مَنافعَ لهم ويَذْكروا اسمَ اللهِ في أيّام معلوماتٍ على ما رَزَقَهم مِن بَهيمةِ الأنعام) (٣) . الله أكبر الله أكبر . لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

---

(١) سورة المطففين من آية ١ إلى آية : ٥ .

(٢) رواه ابن ماجه بلفظ « لا يقتطع رجل حق امريء مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار » فقال رجل من القوم : يا رسول الله : وإن كان شيئاً يسيراً ! قال : « وإن كان سواكاً من أراك » سنن ابن ماجه (٢ : ٧٧٩) ، وقد ورد هذا الحديث بغير هذا اللفظ فى كثير من كتب الصحاح والسنن ، فجاء بلفظ « من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امريء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان » البخاري (١١ : ٥٥٨) وفي رواية « على يمين هو فيها فاجر » أبو داود (٣ : ٥٦٥) الترمذي (٣ : ٥٦٩) ، ابن ماجه (٢ : ٧٧٨) . « وغيرها .

(٣) سورة الحج من آية ٢٦ إلى آية ٢٨ .

الله أكبر (سبعا نسقاً)(١) الحمد لله الذي خلق آدم من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين . قسمهم بعلمه (٢) إلى أصحاب شمال وأصحاب يمين . قَسمة كتبت فكتبت ، غير أن للسعادة والشقاوة عنواناً يستبين . أحمده سبحانه حمد أوليائه المتقين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين . اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى وأطيعوه وعظموا أمره ولا تعصوه . وعليكم بغضّ البصر فإن النظرة سهم من سهام إبليس . قال تعالى (قُلْ للمؤْمِنينَ يَغُضوا مَن أبصارِهم ويَحْفَظوا فُروجَهم ذلك أزكى لهمْ ، إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعون . وقُلْ للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِن أبصارهنَّ ويحفظنَ فُروجَهنّ ولا يُبدين زينتَهُنَّ إلا ما ظهر منها (٣)) الآية . واجتنبوا الخُيَلاءَ والإسبال في الثياب ، فإن ذلك محرم بنص السنة والكتاب ، قال تعالى (ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرَحاً إنك لَنْ تَخْرِقَ الأرضَ ولن تَبْلُغَ الجبالَ طولا) (٤) وفي الحديث « من جرَّ إزارَه خُيَلاءَ لم ينظر اللهُ اليه (٥) » . واعلموا أن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى:

---

(١) في طبعة أم القرى : سبعاً ، سبعاً .

(٢) في طبعة السلفية : بعمله .

(٣) سورة النور ، من آية ٣٠ إلى ٣١ .

(٤) سورة الإسراء آية ٣٧ .

(٥) رواه البخاري ومسلم ، وهو في البخاري بلفظ (ثوبه) بدل « إزاره » البخاري (١٠ : ٢٥٤) ، مسلم (١٤ : ٦٠-٦٣) .

(إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يصلُّون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (١) اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد النبي الهاشمي العربي الأوفى . وارْضَ اللهم عن الأربعة الخلفا . والسادة الحنفا . أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة أهل الصدق والوفا ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان ولطريقتهم اقتفى ، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا خير من تجاوز وعفا . اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين ، وأذِلَّ الشرك والمشركين ، واحم حوزة الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يارب العالمين ، اللهم أقم علم الجهاد ، واقمع أهل الشرك والريب والفساد ، وانشر رحمتك على هؤلاء العباد ، يا من له الدنيـــا والآخرة وإليه المعاد . عباد الله : « إن الله يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقُضوا الأيمان بعدَ توكيدِها وقد جعلتمُ اللهَ عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون (٢) » فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

خطبة في الحث على الحج (٣)

الحمد لله الذي هدى أولياءه لدين الإسلام ، ووفقهم لزيارة بيته الحرام ، وخصهم بالشوق إلى تلك المشاعر العظام ، وحط عن وفده

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(٢) سورة النحل من آية ٩٠ إلى آية ٩١ .

(٣) في طبعة السلفية : عن بدل على .

جميع الأوزار والآثام . أحمدهُ سبحانه على جزيل الفضل والإنعام ، وأشكره على ما أولاه من التوفيق والإلهام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق السلام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير معلّم وإمام ، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى الذي اصطفى لكم الإسلام ، وفضلكم به على كافة الأنام ، وأسبغ عليكم نعمه الجسيمة العظام ، ونصب لكم الأدلة على صحة الدين ورفع الأعلام ، فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ولا تكونوا ممن أعرض عن ذلك وسام مع بهيمة الأنعام ، واعلموا أن حج بيت الله الحرام أحد أركان الإسلام ، فرض على من استطاع السبيل إليه من الأنام ، وهو في تكفير الذنوب والسيئات واسطة (١) عقد النظام ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لقد هممت أن أنظر من استطاع الحج فلم يحج فأضع عليهم الجزية ، ما هم عندي بمسلمين » « وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من قدر على الحج فتركه فلاعليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً »(٢) فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالحج في هذا العام ، واحذروا ما يبطل العمل من الرفث والفسوق والآثام . ففي الحديث « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (٣) » وفيه أيضاً « الحج المبرور ليس له جزاء

(١) في طبعة أم القرى بدون كلمة « واسطة » .

(٢) أخرجه الترمذي بلفظ : عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً .... » الحديث سنن الترمذي (٣ : ١٧٦) .

(٣) صحيح البخاري (٤ : ١٢٥) .

إلا الجنة (١) » . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنةٍ عرضُها السموات والأرضُ أعِدّتْ للمتقينَ الذينَ يُنْفِقون في السراء والضراء والكاظمينَ الغَيْظَ والعافِينَ عن الناس ، واللهُ يحبُّ المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفُسهم ذكَروا اللهَ فاستغفروا لذُنوبِهم ومَن يَغفِرُ الذنوبَ إلا الله ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونِعمَ أجرُ العاملين(٢)) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة عيد النحر (٣)

الله أكبر (تسعاً نسقاً)الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد . الله أكبر كلما أحرموا من الميقات . وكلما لبى الملبون وزيد في الحسنات . الله أكبر كلما دخلوا فجاج مكة آمنين . وكلما طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ذاكرين مكبرين . الله أكبر كلما وقفوا بعرفة خاضعين مُخْبِتين منيبين مهلّلين . الله أكبر كلما وقفوا بالمشعر الحرام طالبين راغبين . الله أكبر كلما رموا الجمرات مكبرين . محلقين (٤)

---

(١) صحيح مسلم (٢ : ٩٨٣) .
(٢) سورة آل عمران من آية : ١٣٢ إلى آية ١٣٦ .
(٣) في طبعة أم القرى : عيد الحج .
(٤) في طبعة السلفية : محلقي رؤسهم .

رءوسهم ومقصرين . الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد . الحمد لله الذي خلق آدم بيده من صلصال كالفخار . وأسجد له ملائكته المقربين الأطهار . فسجدوا إلا إبليس أبى فباء باللعنة والصَّغار . مسح تعالى ظهر آدم بيده فاستخرج ذريته كالذر ونفّذ فيهم الأقدار . قبض قبضة وقال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي . وقبض قبضة فقال هؤلاء ولا أبالي إلى النار . لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي ، بل هو النافع الضّار . أحمده سبحانه على نعمه الغزار . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له توحيداً مقتنىً ليوم الحاجة والافتقار . متظاهرا عليه اللسان والجنان بالسر والجهار . مشهوداً به لربنا كما شهد به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه لا إله إلا هو العزيز الغفار . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى ونحر ، وحج واعتمر . وجاهد المنافقين والكفار . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار ، وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى ، والتمسوا من الأعمال ما يحب ويرضى ، واعلموا أن يومكم هذا يوم فضيل ، وعيد جليل ، رفع الله قدره وأظهر ، سماه يوم الحج الأكبر ، وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقال في خطبته « أيها الناس اعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم » (١) ، وقال « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ، وفي هذا اليوم يجتمع الحاج بمنى يستكملون مناسك الحج ، ويتقربون إلى الله بالعج والثج ، يحيون سنة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥ : ٢٥١) .

أبيهم إبراهيم بإهراق الدماء في هذا اليوم العظيم ، فإن الله ابتلاه بأن أمره يذبح ولده ، وفلذة كبده ، ليسلم قلبه لله ، ولا يكون فيه شركة لسواه ، فإن العباد لذلك خلقوا ، وبه أمروا ، فامتثل أمر ربه طائعاً ، وخرج بابنه مسارعاً ، وقال (يابُنَيَّ إني أرى في المنام أني أذبحُكَ فانظرْ ماذا ترى ، قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤْمر(١)) لا متوقفاً ولا متفكراً ، فاستسلما جميعاً للقضاء المحتوم ، وسلما أمرهما للحي القيوم ، فلما تلّه للجبين ، وأهوى إلى حلقه بالسكين ، أدركته رحمة أرحم الراحمين ونودي أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وأتى بكبش من الجنة فذبحه فداء ولده ، فأحيا نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم هذه السنّة وعظمها ، فأهدى في حجته مائة بدنة ، وضحى في المدينة بكبشين أملحين أقرنين أحدهما عن محمد وآل محمد والآخر عن أمة محمد ، فبادروا رحمكم الله إلى إحياء سنن المصطفين الأخيار ، ولا تكونوا ممن بخل وآثر كنز الدرهم والدينار ، على طاعة الملك الغفار ، فأكثر العلماء على أنها مستحبة ، وبعضهم يرى الوجوب مع اليسار ، وأفضلها أكرمها وأسمنها وأغلاها ، وتجزى الشاة عن الرجل وأهل بيته ، والبدنة عن سبع شياه . والمجزي من الضأن ما تم له ستة أشهر ، ومن الإبل ما تم له خمس سنين ، ومن البقر ما تم له سنتان . ومن المعز ما تم له سنة . ولا تجزى العوراء البين عورها ، ولا العرجاء البين ظلعها ، ولا المريضة البين مرضها ، ولا الهزيلة التي لاتنقى . ولا العضباء التي قطع أكثر أذنها أو قرنها . وتنحر الإبل قائمة معقولة يدها اليسرى يطعنها في وهدتها قائلا : بسم الله أكبر ،

(١) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

اللهم إن هذا منك ولك . ويتلفظ بالنية فيقول عن فلان . و « تذبح البقر والغنم على جنبها الأيسر . والسنّة جعل الأضاحي أثلاثاً : ثلثاً لأهله . وثلثاً لصديقه ، وثلثاً للفقراء . ووقت الذبح من انقضاء صلاة العيد إلى آخر اليوم الثالث من أيام التشريق . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ذلك ومَن يُعَظّمْ شَعائِرَ اللهِ فانّها من تقوى القلوب . لكم فيها مَنافع إلى أجل مسمّى ثم مَحِلُها إلى البيتِ العَتيق . ولكلّ أمةٍ جعلنا مَنْسَكا ليذكروا اسمَ اللهِ على ما رَزَقَهُم من بهيمةِ الأنعامِ ، فإلهكُمْ إله واحدٌ فله أسْلِموا وبشِّر المُخْبِتين . الذين إذا ذُكر اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم والصابِرينَ علِى ما أصابَهم والمُقِيمي الصلاة ومما رزقْنَاهُمْ يُنْفِقُون . والبُدْنَ جعلناها لكل مِنْ شعائرِ اللهِ لكمُ فيها خيرٌ ، فاذكروا اسمَ اللهِ عليها صَوافَّ ، فإذا وَجَبَتْ جُنوبُها فكلوا منها وأطعموا القانعَ والمُعتَر كذلك سَخّرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينالَ اللهَ لحومُها ولا دماؤُها ولكن ينالُه التقوى منكم ، كذلك سَخّرها لكم لِتُكَبّروا اللهَ علّى ما هداكم وبشِّر المُحْسِنين) (١) الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الخطبة الأخيرة

الحمد لله سيد الجمع والأعياد ، رافع السموات بغير عمد ترونها وباسط الأرض ومرسيها بالأطواد . أحمده سبحانه على نعمه التي لا يحصى لها تعداد . وأشكره وبالشكر تحلو النعم وتزداد . وأشهد أن لا إله إلا الله

(١) سورة الحج من آية : ٣٢ إلى آية ٣٧ .

وحده لا شريك له شهادة أعدُّها ليوم التناد . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الهادي إلى سبيل الرشاد . الداعي إلى الله على بصيرة حتّى دانت لدعوته العباد . اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأمجاد . وسلم تسليم كثيراً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واعلموا أنه ليس السعيد من أدرك العيد . ولبس الجديد . وركب الخيل المسوَّمةَ وخدمته العبيد . إنما السعيد من اتقى الله فيما يبدي ويعيد . وفاز بجنة نعيمها لا يفنى ولا يبيد . ونجا من نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وطعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد ، ولباسهم القطران والحديد ، واتقوا الله عباد الله بامتثال أمره الأكيد ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فهذا شأن العبيد . واعلموا أن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : (إن الله وملائكته يصلّون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً) اللهم صل على عبدك ورسولك محمد النبي الهاشمي الأوفى . وارضَ اللهمّ عن الأربعة الخلفا . والسادة الحنفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة أهل الصدق والوفاء . وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان ولطريقتهم اقتفى . وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا خير من تجاوز وعفا . اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين . وأذلَّ الشرك والمشركين . واحم حوزة الدين . واجعل هذا البلد مطمئناً وسائر بلاد المسلمين . اللهم أقم عَلَم الجهاد ، واقمع سبيل أهل الشرك والريب والفساد ، وانشر رحمتك على هؤلاء العباد . يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد . عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا

بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . إن الله يعلم ما تفعلون . فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

خطبة في الأيام العشر من شهر ذي الحجة (١)

الحمد لله مشّرف الأيام والشهور بعضها على بعض ، ومصرّف الأحكام بالإبرام والنقض ، وموقظ القلوب الغافلة بالتذكير والوعظ ، الرّب المالك الذي ليس لربوبيته تغير ولا إزالة ، الإله الحق الذي ليست الإلهية الحق إلا له ، أحمده سبحانه على ما أولاه من إحسانه وإفضاله . وأشكره على جزيل بره ونواله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وصفات كماله . شهادة أرجو بها النجاة من شدائد يوم الفزع وأهواله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنعم الله على جميع أهل الأرض ببعثه وإرساله . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى جميع أصحابه وآله ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى ، والتمسوا من الأعمال ما يحب ويرضى ، واعلموا أنكم في شهر كريم ، وموسم عظيم ، لا سيما هذه العشر المباركات ، فانهن الأيام المعلومات التي أقسم الله بها في محكم الآيات ، فاغتنموها رحمكم الله بالمسارعة في الأعمال الصالحات . والإكثار من الحسنات ، فإن الحسنات يذهبن السيئات . عباد الله ، هذه أيام مضاعفة الحسنات ، هذه أيام إجابة الدعوات ، هذه أيام الإفاضات والنفحات ، هذه أيام

---

(١) هذه الخطبة لم ترد في طبعة أم القرى .

عتق الرقاب الموبقات ، وهذه مواسم الأرباح والمجاهدات ، عند ذوي الهمم العاليات ، فاكثروا فيها من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والتوبة والإقلاع من الذنوب والسيئات ، ولا تذهب الأعمار منكم في الغفلات ، والتمادي في الشهوات ، فتندموا حين لا تنفع الندامات . فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من أيام العملُ الصالح أحبُّ إلى الله فيهن من هذه الأيام العشر . قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله . قال ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (سابِقوا إلى مَغْفِرةٍ مِن ربِّكمْ وجنةٍ عرضُها كعرض السماء والأرضِ أُعدَّتْ للذين آمنوا باللهِ ورُسُله ذلك فضلُ اللهِ يؤْتيهِ من يَشاءُ واللهُ ذو الفضل العظيم) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضا

الحمدُ لله الذي من اعتصم بحبل رجائه وفقه وهداه ، ومن لجأ إليه حفظه ووقاه ، ومن تواضع له رفعه وحماه . أحمده سبحانه على ما أعطى من الإنعام وأولاه ، وأشكره على ما خوّله بفضله وأسداه . وأشهد أن

---

(١) سورة الحديد آية ٢١ .

لا إله إلا وحده لا شريك له شهادة من عرف الله بصفاته ولم يعامل أحداً سواه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى خلقه بالتوحيد وأوصاه بتقواه ، وعن طاعة الكفار والمنافقين حذّره ونهاه . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين عضوا على سنته بالنواجذ وتمسكوا بهداه . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق تقواه .

عباد الله ما أحقر همة من جعل أكبر همه دنياه ، وما أبعد عن السداد من عرف الله وعامل سواه ، وما أسفه رأى من اتخذ إلهه هواه ، وما أعظم حسرة من اختار لنفسه أن تكون النار مثواه . وعليكم عباد الله بالنظر في العواقب فالسعيد من نظر في عقباه ، وتزينوا بلباس التقوى فالفائز من ألبسه الله حلل تقواه ، وتأهبوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون حفاة عراة على الله . واعملوا صالحاً قبل أن ينظر الإنسان ما قدمت يداه . يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ولا يرحم أحدٌ أحداً إلا من رحمه مولاه(١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيُّها الناسُ اتقوا ربّكم واخشَوْا يوماً لا يُجزى والدٌ عن وَلَدِهِ ولا مَوْلودٌ هو جازٍ عن والدِهِ شيئاً . إن وعدَ اللهِ حقٌ فلا تَغرنّكُم الحياةُ الدنيا ولا يَغرَّنّكمْ باللهِ الغَرور)(٢) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) في طبعة السلفية : إلا من رحمه من والاه .

(٢) سورة لقمان آية : ٣٣ .

خطبة أيضاً

الحمدُ لله اللطيف الذي بلطفه تنكشف الشدائد . الرءوف الذي برأفته تتواصل النعم والفوائد ، وبحسن الظن به تجري الظنون على أحسن العوائد . وبالتوكل عليه يندفع كيدُ كل كائد . وبالقيام بأوامره ونواهيه تحتوي القلوبُ على أجلّ العلوم والفوائد . أحمده سبحانه وحمدي له من نعمه ، وأشكره على قمع كل شيطان مارد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي له في كل شيء آية تدل على أنه واحد . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الأصل الماجد . وخارق نظام العوائد ، الذي انشق له القمر وحنّت إليه الجوامد . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين المعاقد ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى عباد الله قد غلب على النفوس الطمع فأهلكها . واستولت على القلوب الذنوب فسودتها ، فاجلوا سواد هذه الظلمة بالتوبة فالتوبة هي المصباح ، واستفتحوا أبواب الرحمة بالاستغفار فإن الله هو المفتاح ، وأصلحوا فساد أعمالكم يصلح الله أحوالكم ، وارحموا ضعفاءكم يرفع الله درجاتكم ، وواسوا فقراءكم يوسع الله في أرزاقكم ، وخذوا على أيدي سفهائكم يبارك لكم في أعماركم ، فمن رحم رحم ، ومن ظلم قصم ، ومن فرط ندم ، ومن اتجر في الأعمال الصالحة ربح وغنم(١) ، ومن اتقى الله في سره وعلانيته عصم وسلم (٢) ، واجتنبوا البغي والعداون والحقد والحسد . واعلموا أن الحسود لا يسود ولا يناله من حسده إلا الهم

---

(١) في طبعة أم القرى : واغتنم .

(٢) في طبعة أم القرى بدون كلمة : وسلم .

والغم والكد والنكد . فمن يردُّ نعمة الله التي أنعم بها على عباده أمّن يمنع عطاء الله الذي يقسمه على مراده . وتيقنوا أن كل إناء ينضح بما فيه ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع لا شك فيه . ومن كان لله به عناية فهو منصور ، ومن أدركته رحمة الله فهو مجبور وإن كل محسن أو مسيء مجازى بعمله يوم النشور . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (من جاءَ بالحسنةِ فله خيرٌ منها وهم مِنْ فَزَعٍ يومئذ آمنون . ومن جاءَ بالسيئةِ فكبّتْ وجوهُهم في النار هل تُجزَوْن إلا ما كنتم تعملون) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور . ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (٢) » نصب أدلة مخلوقاته ، وأقام براهين آياته ، وتحبب بنعمه وآلائه . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . أحمده سبحانه على ما أولاه من عظيم إنعامه . وما اختصنا به من معرفته وإكرامه ، وهدانا لتوحيده وإسلام الوجه له . وقد ضل عن ذلك الأكثرون . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسبحان الله رب العرش عما يصفون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله الصادق المأمون . اللهم صل على

---

(١) سورة النمل من آية ٨٨ إلى آية ٩٠ .

(٢) سورة الأنعام آية ١ .

عبدك ورسولك محمد وعن آله وأصحابه الذين هم بسنته مستمسكون وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته ، وتدبروا ما أنزل إليكم من حكمه وآياته ، واعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يضرب عنكم صفحاً ، بل خلقكم لمعرفته وعبادته ، وأمركم بتوحيده وطاعته ، وأرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ، فقامت بذلك حجته على العباد ، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا ، وظهرت أعلام الملة والدين . فتداركوا أعماركم قبل انخرام آجالها وحياتها فقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيها الناسُ اعبُدوا ربّكمُ الذي خلقكمْ والذين مِن قبلكم لعلّكمْ تتّقون الذي جعل لكمُ الأرضَ فِراشاً والسماءَ بناءَ وأنزلَ من السماء ماءَ فأخرجَ به من الثمراتِ رِزقاً لكم فلا تجعلوا للهِ أنداداً وأنتم تعلمون) (٢) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

الحمد لله المتوحِّد في الجلال بكمال الجمال تعظيماً وتكبيراً ، المتفرد بتصرف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديراً وتدبيراً ، المتعالى بعظمته

---

(١) سورة البقرة من آية ٢٠ إلى آية ٢٢ .

ومجده الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، أطلع شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، ومنّ بها على أهل الأرض فيا لها نعمة لا يستطيعون لها شكورا ، فجرّ ينابيع الهداية في قلوب من سبقت لهم منه الحسنى تفجيراً . أحمده حمد من يعلم أنه لم يزل ولا يزال بجميع المحامد جديرا ، وأستعينه استعانة من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأكبره تكبيرا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين ، فأبى أكثر الناس إلا كفورا . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى . عباد الله . أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأن تخلصوا له الأعمال وتراقبوه في جميع الأحوال وأن تتقربوا اليه من طاعته بما يرضيه ، وتجتنبوا مساخطه ومناهيه . فقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني (١) » . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسَبوا . وزنوها قبل أن توزنوا . وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ، يومئذ تعرضون لا تخفى على الله منكم خافية (٢) . وقال الحسن رحمه الله : إن أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في هذه الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم ، فإن كان الذي همّوا به

---

(١) سبق تخريجه ص ٧ .
(٢) في طبعة أم القرى بدون على الله .

لله مضوا فيه ، وإن كان عليهم أمسكوا ، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور فأخذوها من غير محاسبة ، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذَّر . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مُشْفِقِينَ مما فيه ويقولونَ يا وَيلَتَنَا ما لِهذا الكتابِ لا يُغادِر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها . ووَجدوا ما عمِلوا حاضراً ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحدا) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

الحمد لله الذي رفع قدر ذوي الأقدار ، عن الركون إلى هذه الدار . ومنح صفاء إحسانه الدارِّ لأهل تلك الدار . ونفّذ تصاريف الأقدار في أهل الجنة والنار . فسبحان من يسر كلا لما خلق له وربك يخلق ما يشاء ويختار . أحمده سبحانه وأشكره وللشكر على أصحاب الشكر آثار . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه ونجم الحق قد غار ، وشرر الباطل قد طار في الأقطار . فمهد قواعد الدين وأشاد المنار . وجاء البيت وللأصنام على فِناء الكعبة قرار . فما زاد أن أومى اليها بالقضيب وأشار . وهو يقول (جاء الحق

(١) سورة الكهف آية : ٤٩ .

وزهق الباطل)(١) فتهاوت للانكسار . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه فاتحي الفتوح وممصّري الأمصار . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن الجزاء واقع والمنتقم من العصاة هو الجبار . فحذارِ من سطوة الغضب حذار . أعلَى السرائر تلفق الأعذار . فالبدار البدار ، فقد ذهبت الغفلات بالأعمار . ما أبقت النصائح لبساً وهل يخفى النهار . فالنجاء النجاء في مهلة الإنظار . واللّجأ اللجأ قبل أن يقال العثار . يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، وتكشف الأسرار . يوم يجاء بالظالم والظلم يومئذ عار ونار . يوم يقضي الله بين خلقه بعلمه لا بالبينة ولا بالاستظهار . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وأنذِرْهمْ يومَ الآزِفة إذِ القلوبُ لدى الحناجرِ كاظمينَ ما للظالمينَ من حَميمٍ ولا شفيعٍ يطاع ، يعلم خائنةَ الأعينِ وما تُخْفي الصدورُ واللهُ يقضي بالحق والذين يَدْعون من دونه لا يقضون بشيء إنَّ اللهَ هو السميع البصير)(٢) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

الحمد لله الذي أرشد عقول أوليائه إلى توحيده وهداها . وثبت كلمة الإخلاص في قلوب أحبابه على أمواج الامتحان بسم الله مَجراها ومُرساها ،

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨١ .

(٢) سورة غافر من آية ١٧ إلى آية ٢٠ .

وأعمى بصائر المنافقين لمّا أدبرت عن الدين فلم تجبه لمّا دعاها . فسبحانه من جبار عظيم لا يُماثَلَ ولا يُضاهى . فجلّ ربّا وعزّ ملكا وتعالى إلهاً . أحمده سبحانه على نعمه التي لا تتناهى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف مدلولها لمّا تلاها . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بيّن كلمة التوحيد لفظها ومعناها . وجاهد عليها بلسانه وسنانه حتى أقرها وحمى حماها . اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه الذين عضوا على سنته بالنواجذ وتمسكوا بعراها . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وإياكم والتغافل والصدود فإن أمامكم القبر فاحذروا ضَغْطَتَه ووحشته ، وأن وراء ذلك ما هو أشد منه ، يوم يشيب من هوله المولود . ألا وإن وراء ذلك ما هو أعظم منه ، دار معدوم رجاؤها ، محتوم بلاؤها ، موحشة مسالكها ، مظلمة مهالكها . مخلد أسيرها . مؤبد سعيرها ، عال زفيرها (طعام أهلها الزّقّوم)(١) . وشرابهم الحميم . وعذابهم أبداً فيها مقيم . الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم . لهم فيها بالويل ضجيج ، وللهبها فيهم أجيج . أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم من أسرها فكاك . قد شدت أقدامهم إلى النواصي ، واسودّت وجوههم من ذل المعاصي ينادون من فجاجها وشعابها بُكيّاً من ترادف عذابها : يا مالكُ قد أثقلنا الحديد . يا مالك قد (٢) نضجت منا الجلود . يا مالك قد تفلذت منا الكبود . يا مالك العدم خير من هذا الوجود . يا مالك أخرجنا منها فإنا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من طبعة أم القرى ، وعبارتها : عالٍ زفيرها ، شراب أهلها الحميم ... » الخ .

(٢) في طبعة أم القرى : تمزقت ونضجت .

لا نعود . فيجيبهم بعد زمان : اخسأوا فيها ولا بد من الخلود . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ونادَوا يا مالكُ ليقضِ علينا ربُّك ، قال إنكم ماكِثون . لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركَم للحقّ كارهون . أم أبرَمُوا أمراً فإنّا مُبْرِمون . أم يحسَبون أنّا لا نسمَعُ سِرَّهمْ ونَجْواهم ، بلى ورُسلُنا لديهم يكتبون (١)) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

الحمد لله الذي يعلم سر كل نفس ونجواها . أحاط علمه بكل شيء وعلِم مسالك النمل وعدد الرمل وأحصاها . أحمده سبحانه حمد من ارتقى في رتب الإخلاص إلى منتهاها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من طهر نفسه من الشرك وزكّاها . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأكمل الشرائع وأسناها . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين عضوا على سنته بالنواجذ وتمسكوا بعراها . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وألجموا النفوس عن تعديها وطغواها . فليس لها والله إلا ما قدمت يداها . ولو كان لها يوم القيامة ملء الأرض ذهباً ما نفعها ولا أجداها . أما والله لتبعثن ليوم عظيم (٢) يجمع الله فيه الأمم أولاها وأخراها ، ولتحشرن كما بدأكم أول مرة

(١) سورة الزخرف آية ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) عبارة طبعة السلفية : ليوم يجمع فيه الأمم .... الخ .

ولتحاسبن بأكبر الأعمال وأدناها ، [ولتؤدن المظالم من الظلمة على الرغم منهم كبراها وصغراها ، ولتكونن إلى دار نعيم أبدي ينسي عناء الدنيا وشقاها ، أو إلى دار عذاب مفضح يذهل عن نعيم الدنيا وحلاها] (١) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أأنتم أشدُّ خلْقاً أمِ السماءُ بناها رَفَعَ سَمْكَهَا فسوّاها وأغْطَشَ ليلَها وأخرجَ ضُحاها . والأرضَ بعدَ ذلك دَحاها . أخرجَ منها ماءها ومرْعاها والجبالَ أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم. فإذا جاءَتِ الطامّةُ الكبرى يومَ يتذكّرُ الإنسان ما سعى . وبُرِّزَت الجحيمُ لِمَنْ يرى . فأمّا مَن طغى وآثر الحياةَ الدنيا فإن الجحيمَ هيَ المأوى . وأمّا من خافَ مَقَامَ ربّهِ ونهى النفسَ عنِ الهوى فإن الجنةَ هيَ المأوى) (٢) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

الحمد لله الذي فتح أبواب المشاهدات على أرباب المجاهدات بمفتاح لا إله إلا الله . وأحيا نفوس العارفين وملأ كؤوس الذاكرين من أقداح لا إله إلا الله . أبدع المصنوعات وأوجد المخلوقات ووسمها (٣) بميسم لا إله إلا الله . خلق الجنين من ماء مهين ليعبده بلا إله إلا الله . أرسل الرسل لأجلها مبشرين وعن ضدها محذرين فدعوا الناس كلهم إلى العمل بلا إله

---

(١) ما بين القوسين ساقط من طبعة السلفية .
(٢) سورة النازعات من آية ٢٧ إلى آية ٤٠ .
(٣) في طبعة السلفية : ورسمها .

إلا الله . فهي رأس الملّة والدين ، وهي حبل الله المتين ، فما خاب من تعلق بحبل لا إله إلا الله ، غَوِيَتْ أحلامُ الجاهلين وضلّتْ أفئدة المعاندين حيث جعلوا إلهين اثنين بعد ما طلع بدر لا إله إلا الله . أحمده سبحانه وأشكره إذ جعلنا من أهل لا إله إلا الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها إذا خاب أهل الشرك ونجا أهل لا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جدد الله به ما دَرَسَ من مَعالم لا إله إلا الله . ومع ذلك قال له (فاعلم أنه لا إله إلا الله) . فصدع بها ونادى ، ووالى عليها وعادى ، وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق لا إله إلا الله (١) » . فدعا إلى الله سراً وجهاراً ليلا ونهاراً حتى انكشف الغطاء عن وجه لا إله إلا الله . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين حموا بمرهفاتهم حَوْزَة لا إله إلا الله . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى ، وجددوا إيمانكم في المساء والصباح بتأمّل معنى لا إله إلا الله ، فيا ذوي العقول الصحاح ويا ذوِي البصائر والفلاح ، نادوا بالفلاح فلا فلاح إلا لأهل لا إله إلا الله . فكلمة الإسلام ومفتاح دار السلام لا إله إلا الله . فلا قامت السموات والأرض ولا صحت السنة والفرض ولا نجا أحد يوم العرض إلا بلا إله إلا الله . ولا جردت سيوف الجهاد وأرسلت الرسل إلى العباد إلا ليعلموهم العمل بلا إله إلا الله . فانقسم

---

(١) رواه : البخاري ومسلم إلا أنه عند البخاري بلفظ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » البخاري (١ : ٧٥) ، مسلم (١ : ٢١٠ — ٢١٢) .

الناس عند ذلك فريقين وسلكوا طريقين : فريق انقاد للعمل بلا إله إلا الله . والآخر حاد لعلمه أن دين آبائه تبطله (١) لا إله إلا الله . فسبحان من فاوت بين عباده بمقتضى حكمته ومراده ذلك من أدلة لا إله إلا الله . فطوبى لمن عرف معناها فارتضاها ، وعمل باطناً وظاهراً بمقتضاها ، فيكون قد حقق لا إله إلا الله ، وويل لمن صاده الشيطان بالأشراك ، فرماه في هوة الإشراك ، فأبى واستكبر عن الانقياد للا إله إلا الله . ألم تسمعوا قول الله (ولا يملِكُ الذين يَدْعونَ مِن دونهِ الشفاعةَ إلا مَن شهِدَ بالحقّ وهم يعلمون) حقيقةَ لا إله إلا الله . الذي هو إفراده بجميع العبادات وتخصيصه بالقصد والإرادات . ونفيها عما سواه من جميع المعبودات . التي نفتها لا إله إلا الله . وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . الذي لا يبقى في القلب شيئاً لغير الله . ولا إرادة لما حرّم الله . ولا كراهة لما به أمر الله . هذا والله هو حقيقة لا إله إلا الله . وأما من قالها بلسانه ونقضها بفعاله فلا ينفعه قول لا إله إلا الله . فمن صرف لغير الله شيئاً من العبادات . وأشرك به أحداً من المخلوقات . فهو كافر ولو نطق ألف مرة بلا إله إلا الله . قيل للحسن رحمه الله تعالى : إن أناساً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قالها وأدى حقها وفرضها أدخلته الجنة لا إله إلا الله . وقال ابن منبه لمن قال له : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله . قال : بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك لأنك في الحقيقة لم تقل لا إله إلا الله . فياذوي الأسماع العتيدة ، لا تظنوا أمور الشرك منكم بعيدة . فإن هاهنا مهاو شديدة .

(١) في طبعة السلفية : يبطله .

تقدح في لاإله إلا الله . أين من وحّد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة . أين من خصه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد وأفرده بالتوكل فجعل عليه اعتماده . كل هذا من معاني لا إله إلا الله . فسارعوا عباد الله إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين الذين قاموا بواجبات لا إله إلا الله . ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكمْ منه نذيرٌ مـُبين . وتمسكوا بعرى لا إله إلا الله فمن نفى ما نفته وأثبت ما أثبتته ووالى عليها وعادى رفعته إلى أعلى عليين منازل أهل لا إله إلا الله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يومَ يقومُ الرُّوحُ والملائكةُ صَفاً لا يتكلـّمون إلا مَن أذِنَ له الرحمنُ وقال صَوابا) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضاً

الحمدُ لله الوليّ فلا وليّ من دونه ولا واق . الغني فلا تنفد خزائنه على كثرة الإنفاق يحلم على من عصى ، وينتقم بما لا يحصى ، ولا يكلف مالا يطاق . أحمده وله الحمد وحده على الاستحقاق . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ذاق طعم الإيمان فوجده حلو المذاق . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ففتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صما ليس للحق إليها استطراق . اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة بالعشيّ والإشراق . وسلم تسليما

(١) سورة عم آية ٣٨ .

كثيراً . أما بعد فيا عباد الله ، اتقوا الله تعالى . ولا تجعلوا الدنيا أكبر همكم ومبلغ علمكم . واعتبروا بمن مضى قبلكم من الأمم الخالية ، أهل المراتب العالية كيف طحنتهم الدنيا طحن الحصيد ، وأسكنتهم بعد القصور بطن الصعيد ، سبقونا بتقضي الأعمار ، ونحن على الآثار ، فرحم الله امرءاً لم يجعل الدنيا على باله . واشتغل بالآخرة فكانت أهم اشتغاله . واستعدوا رحمكم الله للموت وأعماله . والقبر وأهواله ، والملك وسؤاله ، والرب وجلاله ، وهل يعطى كتابه بيمينه أو بشماله ، وهل يدعى إلى النعيم وظلاله ، أم إلى الجحيم وأغلاله . والله يقول وأصدقُ القول مقاله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فأمّا مَن طَغى وآثر الحياةَ الدنيا فإنّ الجحيمَ هي المأوى . وأمّا مَن خاف مَقَامَ ربِّه ونهى النفسَ عن الهوى فإنّ الجنةَ هيَ المأوى) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضا

الحمدُ لله الذي أذهب البأس ، ووهب لباس التقوى فهو خير لباس . صدقت مواعيده فما توالتْ كالأنفاس . وسبقت رحمته غضبه فالرجا للعبد خير من اليأس . تفرد في وحدانيته فلا شك فيها ولا التباس . ومن آياته أن خلق وصور وشق السمع والبصر وجميع الإحساس . فسبحان رب الناس . ملك الناس ، إله الناس ، أحمده سبحانه وحمده عنوان السعادة . وأشكره وعلى الشكر وعد الزيادة . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) سورة النازعات من آية ٣٧ إلى آية ٤١ .

له شهادة أتقلدها يوم القيامة والعمل بها يومئذ قلادة . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ظللتْ عليه الغمامة ، ودلت بين كتفيه العلامة ، وسبح الحصا في كفه وفقه الناس كلامه . فكم من معجزة له وكم من كرامة ، اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه أهل النجدة والشهامة . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوه . عباد الله شدوا الرحال ، فقد قرب الارتحال . وأصلحوا الأعمال ، فقد قربت الآجال . وأعدوا الجواب فقد وجب السؤال . فبينما المرء مغرور بتقلبه . مغمور بتكسبه ، إذ تبدّى له ملك الموت الذي كان عنه محتجبا ، فقضى فيه بالذي به أمره ، قبل شهادة السمع والبصر ، يوم الوعد والوعيد ، يوم الخجل والوجل من رب العبيد . يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . فالحذر الحذر فمن نجا منها إنه لسعيد . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وقال قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيد . ألقِيا في جهنمَ كلَّ كفّار عَنِيد ، منّاعٍ للخيرِ مُعْتَدٍ مُرِيب . الذي جَعَلَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ فألقياهُ في العذابِ الشديد . قال قَرِينُه ربّنا ما أطغَيْتُه ولَكنْ كان في ضلالٍ بعيد . قال لا تختصموا لَدَيَّ وقد قَدّمْتُ إليكم بالوَعِيد . ما يُبَدّلُ القولُ لديّ وما أنا بِظلاّمٍ للعبيد . يوم نقول لجهنّمَ هَلِ امْتَلأتِ وتقولُ هل من مَزِيد . وأُزْلِفَتِ الجنةُ للمتقينَ غيرَ بعيد . هذا ما تُوعَدونَ لكلِّ أوّابٍ حَفِيظ . مَن خَشِيَ الرحمنَ بالغيب وجاءَ بقلبٍ مُنيب . ادخلوها بسلامٍ ذلك يومُ الخلود . لهمْ ما يشاءونَ فيها ولَدَيْنَا مَزِيد)(١) . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم

(١) سورة ق من آية ٢٧ إلى آية ٣٥ .

بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضا

الحمدُ لله معزّ من أطاعه واتقاه . ومذل من أضاع أمره وعصاه . الذي وفق أهل طاعته للعمل بما يرضاه . وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه . أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب لنا سواه ، ولا نعبد إلا إياه . وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كمل به عقد النبوة فطوبى لمن والاه وتولاه . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده . وكان هواهم تبعاً لهداه . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته . ابن آدم اتق الله وأطعه فيما أمر ، وفكر في نفسك فأنت أحق من فكر . هل ينفعك من الله مال أو جاه أو معشر . أنعم عليك وآواك ، وتفضل عليك وأعطاك ، ومنّ عليك بالسمع والفؤاد والبصر . فكيف حجتك إذا سألك عن شكر نعمه عليك يوم الفزع الأكبر . وكيف جوازك على الصراط وهو أدق من الشعر وأحر من الجمر وأحد من السيف الأبتر . يؤمر بالجواز عليه فمن نجا فإلى جنة المستقر . ومن هوى بذنوبه ففي سقر . روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترسل الأمانة والرحم يوم القيامة فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق ثم كالريح ثم

كالطير ثم كأجاود الخيل والركاب تجري بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول : اللهم سلم سلم ، حتى تعجز أعمال العباد وحتى أن الرجل لا يستطيع أن يمر إلا زحفاً ، وعلى جنبتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت بأخذه فناج مسلم ومكردس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفا . والله لتملأن » (١) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشياطينَ ثم لَنُحْضِرَنَّهُمْ حولَ جهنمَ جِثِيّا . ثم لَنَنْزِعَنَّ من كلِّ شِيعةٍ أيُّهُمْ أشدُّ على الرحمَنِ عِتِيّا . ثم لنحنُ أعلمُ بالذين هم أولى بها صِليّا . وإنْ منكمْ إلا وارِدُها كان على ربِّكَ حتما مَقْضيّا . ثمّ نُنَجِي الذينَ اتقّوا ونَذَرُ الظالمينَ فيها جِثِيّا) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضا

الحمدُ لله الكريم المنان ، العزيز ذي السلطان ، خلق الإنسان من تراب ثم قال له كن فكان . يعطي ويمنع . ويخفض ويرفع . ويصل ويقطع . ويشتت ويجمع . كل يوم هو في شأن . يجيب المضطر إذا دعاه . ويغفر للمسيء إذا تاب ما أتاه . ويجبر المنكسر إذا لاذ بحماه . ينزل كل ليلة

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (١ : ١٨٧) بلفظ قريب منه ، وهو جزء من حديث طويل .

(٢) سورة مريم من آية ٦٨ إلى آية ٧٢ .

إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فنادي : هل من سائل فيعطى سؤله ، هل من تائب فيتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ما جناه . أحمده سبحانه على نعمه التي من أجلّها نعمة الإسلام . وأشكره على تبيين الدين والأحكام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا أعوان . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان . بعثه رحمة لأهل الإيمان وحجة على أهل الظلم والطغيان . نبي رجفت لهيبته قلوب الجبابرة فكسر كسرى وقصر قيصر وقال سيملك هذا النبي موضع قدمي هاتان . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والعرفان . وذوي الحفظ والاتقان . عدد ما أضمره الجنان ، ونطق به اللسان ، وتحركت به الأركان ، وما هو في علم الله كائن أو قد كان ، وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى . عباد الله قد أويتم من الدنيا إلى ركن غير شديد . ورأيتم إيثارها على الآخرة رأياً غير سديد . ما كأنها إلا عمايةٌ عن الذكرى حينئذ لا تفيد . أو جرأةٌ على الجبار فاحذروا أخذه إن أخذه أليم شديد . أو جَلَد على النار فما جَلَد على النار بجليد . أوشك في ورودها فما لأحد عن ورودها محيد . أليست التي يقال لها هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد ، فالحذر الحذر فمن نجا منها إنه لسعيد . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وكذلك أخْذُ رَبّكَ إذا أخذ القُرى وهي ظالمةٌ إنّ أخْذَهُ أليمٌ شديد ، إن في ذلك لآيةً لِمَنْ خاف عذاب الآخرة ، ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهود ، وما نؤخّرُه إلاّ لِأجَلٍ معدود ، يومَ يأتِ لا تَكَلّمُ نفسٌ إلا بإذنه ، فمنهم شقيٌ وسعيد ، فأما الذين شَقُوا ففي النارِ لهم فيها زَفيرٌ وشَهيق ،

خالدين فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربُكَ ، إن ربّكَ فعال لما يُريد ، وأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ إلا ماشاء ربُّك عَطاءً غيرَ مَجْذُوذ) (١) ، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضا

الحمد لله الكريم الودود . المعروف بالكرم والجود . المحيط علمه بالحد والمحدود . أحمده سبحانه وهو الرب المعبود . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من هول اليوم الموعود . وتدخله جنات تجري أنهارها بغير أخدود . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب اللواء المعقود والحوض المورود والمقام المحمود اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما أضاءت البروق وسبحت الرعود . وسلم تسليما كثيراً (٢) أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى عباد الله ، هبوا من هذه الرقدة والمنام . واهجروا الفواحش والآثام . وارجعوا إلى طاعة الملك العلام . من قبل أن يأتي يوم تشقق السماء فيه بالغمام . فياله من يوم ما أطوله . ومن حساب ما أثقله [ومن جزاء ما أجزله ومن عقاب ما أهوله] (٣) يوم عظيم جمعت

(١) سورة هود من آية ١٠٢ إلى آية : ١٠٨ .

(٢) هكذا في طبعة السلفية (وفي طبعة أم القرى : ... والمقام المحمود ، أكرم نسيمه على الله وأفضل مولود، وأصحابه الذين هم بالليل رهبان، وبالنهار على أعداء الله أسود، وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد : .... الخ .

(٣) ما بين القوسين غير موجود في طبعة السلفية .

فيه القيامة أهوالها . ووضعت فيه الحوامل أحمالها . وزلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها ، يومئذ تحدّث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . وشاب الوليد . وحق الوعيد . وعظم الهول الشديد (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفله من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) . وخضعت الرقاب لرب الأرباب . وذل كل فاجر كذاب . فالسعيد من استعمل نفسه في طاعة المعبود . وخاف أن لاينجو من النار بعد الورود . فانتبهوا رحمكم الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيُّها النّاسُ اتقوا ربّكم إنّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم . يوم تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عمّا أرضَعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرى الناسَ سُكارى وما هم بسُكارى ولكنّ عذابَ اللهِ شديد) (١) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة أيضا

الحمدُ لله المعبود ، القريب بعلمه من العبيد ، العالم بخفيات السرائر وما تنطوي عليه الضمائر من عزم أو ترديد . الملك الحق الذي بيده الملك ليس له معين ولا نديد . وله الحكم يحكم في خلقه بما يريد . من ادعى لغيره أنه ينفع أو يضر فهو شيطان مريد . ومن جادل في توحيده سبحانه

---

(١) سورة الحج آية ١ ، ٢ .

فهو في النار مع أبي جهل والوليد . قال تعالى مخاطباً الأنبياء والأولياء والسادة والعبيد (يا أيُّها الناسُ أنتمُ الفقراءُ إلى الله واللهُ هو الغنيُّ الحميد . إن يشأ يُذْهِبْكُمْ ويأتِ بِخَلْقٍ جديد ، وما ذلك على الله بعزيز) (١) أحمده سبحانه وأشكره وأطلب بذلك من نعمه المزيد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من العذاب الشديد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من العذاب الشديد . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قام لله في بطحاء مكة بنصرة التوحيد . ولم تأخذه في الله لومة لائم من قريب أو بعيد . فحفظه الله تعالى منهم بدرع العصمة لا بدرع الحديد . حتى ظهر توحيد الله في المشارق والمغارب على رغم الشرك العنيد . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه فاتحي الأقطار وسيوفهم كانت المقاليد . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى . ابن آدم اتق الله فانما خلقت في الدنيا للعبادة لا للتخليد . وأنت من ذلك في بحر الغفلة يا بليد . أفق فان الساقط في هوة الهوى فقيد . فان قدامك المقام العتيد ، والحساب الشديد ، والميزان الذي يطير بالحية فلا يحيد ، والكتاب الذي يطير فيصير قلادة في الجيد ، والصراط الذي يقال مر عليه وهو أحدُّ من الحديد ، وهو منصوب على جسر جهنم التي يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد ، « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنتَ في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد ، ألقيا

(١) سورة فاطر آية : ١٦ ، ١٧ .

في جهنم كلّ كفار عنيد ، منّاع للخير معتد مريب ، الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد » (١) إن أحسن الزواجر عن الذنوب ، وأصدع المواعظ للقلوب ، كلام الله علام الغيوب . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيُّها الناسُ اتّقوا ربّكم إنّ زلزلَةَ الساعةِ شيء عظيم . يوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مرضعة عما أرضعت . وتَضَعَ كلُّ ذاتِ حملٍ حَمْلَها ، وترى الناسَ سُكارى ولكنّ عذابَ الله شديد) (٢) . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة ق من آية ١٩ إلى آية ٢٦ .

(٢) سورة الحج آية ١ ، ٢ .

صفحة

الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب

صفحة

المركز الاسلامي للطباعة والنشر
٤٩٣ ش الاهرام ـ الهرم